جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس
كلية الآداب و العلوم الإنسانية
ظهر المهراز- فاس

مركز دراسات الدكتوراه: الجماليات وعلوم الإنسان
تكوين الدكتوراه : التعابير والأشكال الرمزية
تخصص: اللغة العربية وآدابها

ترجمة كتاب:

HISTOIRE DES BIBLIOTHEQUES AU MAROC

تاريخ المكتبات في المغرب

لأحمد شوقي بينبين

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

إعداد الطالبة: **سمية بالحاج**
الرقم الوطني: **0220803138**

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:
رضوان الخياطي

السنة الجامعية:

2020/2019 م

الباب الثاني:
بنية المكتبات المغربية

الفصل الأول

أزمة المكتبات المغربية

لقد عرفت خزاناتنا مثل كل مكتبات العالم العديد من المحن التي تعزى إلى الحشرات القوارض وإلى الفتن السياسية، وإلى السرقة والنهب، فالعديد من العوامل المخربة استطاعت أن تتلف المكتبات المغربية، فهل بذل مختلف الملوك المغاربة مجهودات معينة قصد إعادة ترميم المجموعات المخربة وجمع التراث الوطني المكتوب المتفرق داخل البلد وخارجه؟

I- اختفاء المخطوطات

1. الأسباب الطبيعية: الحشرات

إن الحشرات القارضة للكتب، والعث المخرب لها، كل هذه الأعداء المخربة استفادت من شروط الحفظ غير المناسبة للقيام بعملها، وأغلب المستودعات القديمة وغير الملائمة حيث تم تخزين الوثائق، لم تكن تضمن حفظها الجيد فقط، بل أسهمت بشكل كبير في إتلافها. وعندما نقف على السرعة التخريبية للأرضة والحشرات الأخرى المخربة للكتب، ندرك بسهولة الآلاف من المخطوطات التي كان يجب أن تتلف تباعا بدون أن نتمكن من فعل أي شيء تجاهها. فلا تخل مكتبة في المغرب من مخطوطات متلفة كليا أو جزئيا بواسطة الحشرات، لقد كان الأدباء يقولون في السابق بخصوص ثروات خزانة القرويين المتآكلة بواسطة الأرضة: « إن الذي يدخل إلى القرويين يسمع العث وهو يلتهم الكتب»[1].

[1]- "دوكستر" "S.I.H.M "H.de Castries "المصادر الدفينة لتاريخ المغرب"، فرنسا، ج 1، ص 246.

وقد تم اتخاذ مجموعة من الإجراءات بهدف الحماية من الهجمات الخبيثة للحشرات القارضة، وعرض لنا مؤلف "التيسير في صناعة التسفير" الوسائل التي اتخذت سابقا للقضاء على العث وذلك في الفصل الأخير من كتابه: «يجب تبخير الكتب بأعضاء وريش الهدهد فإنها تقضي على الأرضة»[2].

ويخبرنا نفس المؤلف أيضا بأنه علم من سيدي محمد الساموي أن الذي يكتب على أول وآخر ورقة من المخطوط الحروف: ي- ك - ي - ك- ت- ج، يضمن حفظها للأبد، ويؤكد الإشبيلي بأن هذا الفعل قد سبق تجريبه وضمن جدواه[3]. وعلى الرغم من كل المحاولات، و الوسائل الكثيرة المستعملة في هذا الباب، فإن العث والأرضة قد أضاعت عددا غير يسير من المخطوطات إلى الأبد.

2. الأسباب البشرية

1.2. الإهمال وظاهرة إخفاء الكتب

لقد أدى الإهمال وإخفاء الكتب إلى حرمان المغرب من جزء كبير من تراثه الوطني المكتوب، فبالإضافة إلى الشروط الرديئة لحفظ الكتب هناك إهمال الناس وغيرة العلماء التي أتلفت المخطوطات أو أغلقت عليها إلى الأبد، فكثير من المجموعات اختفت بسبب الإهمال، ونذكر على سبيل المثال بعض المكتبات الغنية لزاوية سوس في جنوب البلد التي زارها المختار السوسي، وقد أخبرنا هذا الأخير بأنه في زيارته للزاوية اليعقوبية في "تكركوست" لاحظ هو بنفسه أن أغلب المخطوطات العديدة التي تتطرق إلى الحديث والفقه، التي كانت تشكل ثروة خزانته، قد ضاعت منذ زمن بعيد بفعل الإهمال، ويضيف أن التي بقيت منها، لم تكن محفوظة جيدا إلى درجة أنها كانت معرضة للمطر[4].

وقد زار السوسي أيضا واحدة من أغنى المكتبات الخاصة في تلك المنطقة، بل وحتى في المغرب وهي خزانة محمد بن عثمان التمنرتي المتوفي سنة 1050هـ، فقد حكى أحد أحفاد هذا الأخير، وكان جاهلا بأنه

---

[2]- الإشبيلي: "**التيسير في صناعة التسفير**"، ينظر الفصل الأخير، ط 1959.

[3]- نفسه.

[4]- المختار السوسي، "**من خلال جزولة**"، ج 3، ص 161.

قد ورث فعلا جزءا من مكتبة جده الأسبق؛ وكانت الكتب مكدسة في صندوق والتهمت كلها تقريبا بواسطة العث قبل أن يلقيها في بئر بأمر من أحد أصدقائه[5]. إن هذه الحالات من الإهمال الناتجة عن البلاهة، وعن غياب الاهتمام الناتج عن الجهل لم تكن الوحيدة مع الأسف، ففي الواقع، كثيرة هي الخزانات العمومية والخاصة التي ضاعت إلى الأبد وكانت ضحية لنفس الأوضاع[6].

وفيما يخص إخفاء الكتب للإستئثار بها إلى الأبد، وذلك من أجل ألا يستفيد منها الآخرون، وهذا معروف عند العلماء، فنحن نعرف موقفهم الحسود في الغالب وذلك عندما يتعلق الأمر باكتشافات أو أشياء فريدة من نوعها. وإذا ما تم صدفة الإخبار بمنافسة أو إذا ما أثير الفضول في هذا المجال الذي يسعى إليه الناس أو الذي ينوون امتلاكه فإنهم يستعيرون بسرعة، ويشترون، ويحصلون بأية طريقة على الوثائق المتعلقة به. ويصبح عمل المنافس الذي نخشاه مستحيلا، ونحن نعرف أمثلة عن ذلك؛ يخبرنا "التوري" في كتابه "تاريخ الشرفاء" بأنه التقى بربريا كان يتباهى بكونه الوحيد الذي يمتلك مفتاح مغارة كانت تضم عددا من المؤلفات منذ زمن المسيحيين، وأنه لا يمكن لا "لتوري" ولا لأي كان أن يكتشف هذه الذخائر ويستفيد منها[7].

ورفض مستأثر آخر بالكتب من الزاوية اليعقوبية، أن يطالع العلماء على خزانته الثرية التي ورثها عن أجداده، وقد بذل المختار السوسي كل جهوده من أجل أن يحصل عليها ولكن بدون جدوى[8]. إن ظاهرة إخفاء الكتب كانت معروفة عند العلماء المغاربة في الماضي كما في الحاضر، فالعديد من المخطوطات الفريدة تم حفظها في المكتبات الخاصة ويستفيد منها مالكوها فقط [9]. يقول "شارم" G.Charmes: "إنه إذن عند الخواص حيث نستطيع القيام بأبحاث هامة أكثر منه في المساجد، ولكن إذا عرف الخواص قيمة ذلك صدفة فسيكونون غيورين جدا على ما يملكون، ولا يريدون بأي ثمن أن يثيروا

---

[5]- المرجع السابق، ص 9.

[6]- سبق لنا أن أشرنا أن خزانة مدرسة بن يوسف في مراكش كانت مغلقة لمدة خمسين سنة، كثير من الكتب ضاعت بسبب الفئران والأرضة وعدم الإعتناء.

[7]- "توري" Torrés، "تاريخ الشرفاء" Histoire des Chérifs، ط 1667، ص 152.

[8]- المختار السوسي: "**من خلال جزولة**"، ج 3، ص 161.

[9]- بعض هذه المخطوطات هي ملك الدولة، وكانت بعض الشخصيات الكبرى تستعيرها دون أن ترجعها مستغلة لمسؤولياتها العليا.

الشكوك حول وجوده"[10]، فالإهمال وإخفاء الكتب يشكلان إذا جرحين من ضمن الكثير التي أنزفت تراث المكتبات المغربية.

2.2. إحراق الكتب

كان حرق الكتب أحد العوامل وراء ضياع العديد من المجموعات الثمينة، فهذا الأمر عام في كل الدول الإسلامية، وليست ظاهرة خاصة بالمغرب، ففي القرون الأولى من الهجرة ولأسباب عقائدية فقد كانت مجموعة من المؤلفات غنيمة للنيران، وكان التراث الشيعي والمعتزلي الأكثر تضررا، ففي إسبانيا المسلمة أحرق الأمير ابن عباد من اشبيلية مؤلفات ابن حزم في قرطبة لأنها كانت تبشر بالظاهرية[11]. كما أن كتب الفيلسوف الأندلسي ابن مسرة قد لاقت نفس المصير وذلك في الساحة الكبرى بقرطبة[12].

وقد كان إحراق الكتب في المغرب عملة رائجة، وبالأخص في القرن (12م)، فالمرابطون والموحدون قد انكبوا، كل دولة من جهتها، على إبادة حقيقية لمؤلفات الفلسفة وشروحات المذهب المالكي، الشيء الذي حرمنا من عدد من الكتب التي لا نعرف منها إلا العناوين، والتي تبقى الصدفة وحدها القادرة على مساعدتنا على إيجادها اليوم، فقد اعتبر الفقهاء المرابطين ذوو المذهب المالكي المتطرف بأن الفلسفة حداثة دخيلة على الدين وكانت نتائجها تؤدي في الغالب، بالنسبة لأنصار المذهب المالكي، إلى اختلال في الإيمان، بحيث أن كتب الفلسفة وأصول الدين التي أنكرها الفقهاء، قد أصبحت موضوع استنكار إلى درجة أصبح حضورها خطرا في مجموعة كتب معينة، إبادتها ضرورة لكل متدين. أصبح الملوك المرابطون أشد عداوة للفلسفة إلى درجة منعها، مع عقاب شديد لكل من درسها وتملكها. وقد كتب المراكشي[13]: «ولما دخلت مؤلفات الغزالي من الغرب أمر الأمير علي بن يوسف بن تاشفين 536هـ، بحرقها وهدد بعقوبة

---

[10]- سفارة المغرب، ط 1887، ص 300.

[11]- المقري: "**نفح الطيب**"، ج 2، ص 141.

[12]- ابن الفرضي: "**تاريخ علماء الأندلس**"، ج 1، ص 120، يخبرنا الصفدي أن محمد بن عبد الله بن أبي عامر المنصور وزير الموعياد في إسبانيا المسلمة أحرق مؤلفات علوم الأوائل، ينظر: "**الوافي بالوفيات**"، ج 4، ص 160، مخطوط مكتبة أحمد الثالث في اسطنبول رقم 2920. ينظر أيضا العش: "**المكتبات العربية**"، ص 298.

[13]- صدمت هذه المؤلفات المالكيين لأسباب عقائدية ولموقفها المعادي للفقهاء. فلقد أظهر الغزالي في كتابه "**الإحياء**" أن الفقه كما يفقهه المالكيين ليس إلا انشغالا مؤقتا ليس له ارتباط بالدين، وأدان تدخلات الفقهاء في السياسة.

الموت وبمصادرة الممتلكات كل من وجد حاملا لجزء من هذه الكتب»[14]، فمؤلفات المذهب المالكي هي وحدها التي كانت مقبولة وتستخدم كمنهج، فالفقهاء المرابطون ضاعفوا شروحاتها إلى درجة أنهم أهملوا القرآن والحديث تقريبا، وهو الأمر الذي أغضب خلفهم، فقد أدان الموحدون العلماء المالكيين الذين تخلوا عن دراسة المصادر والترجمة لدراسة مؤلفات مشتقة من مصنفات انحدرت نفسها من كتب التابعين، ولكي يختصروا المؤلفات.

فقد منعت مؤلفات علم الفروع رسميا من طرف الملوك الجدد، إذ أن الخليفة يعقوب المنصور المتوفى سنة (594ه) أمر بحرق كتب المذهب المالكي بعد تجريدها من فقرات مأخوذة من الحديث والقرآن: «وهكذا فإن مجموعة من المؤلفات قد أحرقت في سائر البلاد[15]، كمدونة سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ومختصر بن أبي زيد القيرواني، ومؤلف التهذيب للبراذعي، وواضحة عبد الملك ابن حبيب، ومؤلفات أخرى مشابهة، وأنا بنفسي رأيتها عندما كنت في فاس، يؤتى بها بالأحمال فتوضع ويضرم فيها النار»[16].

وهكذا، اختفى علم الفروع الذي حث الناس على التخلي على المصادر الرئيسية الإسلامية أي القرآن والحديث، وقد اقتنع الخلفاء الموحدون أن الإكثار من المؤلفات المرتبطة بنفس الموضوع تضر باكتساب العلوم التي تعالجها[17]، وليست مؤلفات الفقه المالكي وحدها هي التي كانت عرضة للنار في عهد الموحدين، فالعديد من مؤلفات الفلسفة رمي بها في النار في عهد يعقوب المنصور. هذا الأخير الذي كان

---

[14]- المراكشي: "**المعجب**" ص 148. المكان الذي أحرقت فيه مؤلفات الغزالي في مراكش عاصمة المرابطين هو اليوم مقر الزاوية الكتانية، ويجب الإشارة إلى أن كتب الغزالي قد أحرقت هي بدورها في "قرطبة". ينظر "**تراس**" Terrasse"، " **تاريخ المغرب**"، ج 1، ص 251.

[15]- أحرقت الكتب في كل مدن الإمبراطورية.

[16]- المراكشي، "**المعجب**"، ص 400 من الترجمة.

[17]- يؤكد ابن خلدون أن من بين الأسباب التي حالت دون تحميل المعارف العلمية والتعمق فيها، كثرة التآليف في نفس الموضوع واختلاف الإصطلاحات المستعملة في التعليم... وأضاف أن علم الفقه كما نجده في المدونة وفي التفاسير يطور فقه هذا المؤلف، مثلا كتاب ابن يونس واللخمي وابن بشير، فالمؤلفات التي كرست مقدمات لهذه الدراسة، والمصنفات هي مؤشرات ضرورية عليه. (الواقع الذي نشتكي منه).
المقدمة: ترجمة دوسلان، ج 3، ص 271.

متحمسا مؤيدا للظاهرية أمر بحرق مؤلفات ابن رشد (549هـ)، وذلك بنصيحة بعض مؤازريه الذين أرادوا ذلك للفيلسوف الكبير.

فقد اتهم ابن رشد بكونه اعتبر الإله فينوس إلها من الآلهة، كان يقول: «إنه من الواضح بأن فينوس هو أحد الآلهة». وقد كتب المراكشي: «لقد طرد أمير المؤمنين ابن رشد بطريقة مخزية ونفاه هو وكل من كان يتحدث في شيء من هذه العلوم، وأرسلت الأوامر لكل الأقاليم[18] من أجل حظر السكان من دراسة كل هذه العلوم وبإحراق كل كتب الفلسفة، باستثناء ما يتناول الطب والحساب وجزء من علم التنجيم الضروري لحساب أوقات الليل والنهار، واتجاه القبلة[19]، هذه التعليمات أرسلت لكل الجهات قصد التنفيذ»[20].

وهكذا فإن الخلافات المذهبية والنزاعات الإيديولوجية قد حرمتنا من مجموعة من المؤلفات المرتبطة بالفلسفة التي لا نعرف عنها اليوم إلا العنوان[21].

3.2. إعارة الكتب

كانت الإعارة إحدى المميزات الرئيسية للمكتبات العمومية والخاصة في المغرب، وهي عادة قديمة في هذا البلد حيث كان يستطيع القراء أن يستعيروا المؤلفات إما لتفحصها في عين المكان، أو أخذها معهم لمدة محددة[22]، لكننا نعترف أنه على الرغم من أن مسألة الإعارة كانت إجراء ممتازا، إلا أنها كانت مخربة للمكتبات الغنية بالمخطوطات؛ ففي البداية لم يتردد المحسنون بالسماح بإعارة المخطوطات من أجل أن

---

[18]- نقل لنا ابن الآبار في كتابه التكملة بأن كتب ابن رشد قد أحرقت في تونس أيضا.

[19]- بعبارة أخرى المعارف الضرورية للممارسات الدينية.

[20]- المراكشي: "**المعجب**" ص 266-267 من ترجمة.Fagnan.

[21]- من بين مؤلفات ابن رشد التي ضاعت أو التي وصلت إلينا باللاتينية أو بالعبرية والتي أحرقها العاهل الموحدي بعض المؤلفات في الفيزياء، كتاب النفس والماجست. وكتاب النفس هو شرح لكتاب الروح لأرسطو. فقد اختفى النص العربي وتوجد الترجمة اللاتينية. و لم يصلنا أبدا النص العربي من كتاب "الماجست" ، إذ توجد الترجمة العبرية وحدها في عدة نسخ.

[22]- تجدر الإشارة إلى أن الإعارة خارج المكتبات كانت موجودة أيضا، فالخزانة الملكية وخزانة زاوية تمكروت كانتا تعيران الكتب لبعضها البعض.

يستفيد منها الباحثون، لكن هؤلاء سرعان ما خانوا أمانة مالكي الخزانات، وذلك بعدم إرجاعهم للكتب إلى الأبد.

يخبرنا الجزنائي أن العاهل المريني أبا عنان كان قد سمح بإعارة الكتب عند بناء خزانة القرويين: «عين أبو عنان موظفا مكلفا بمسك سجل إعارة الكتب عند الخروج والدخول، وذلك من أجل حفظها وتأمين حمايتها وذلك عندما ينتهي الزبناء من العمل بها»[23]. ولكن بمجرد أن لاحظنا أن الكتب المعارة لم تكن ترجع كلها وأن عددا من المخطوطات كانت تضيع، أصبحت إعارة الكتب تمنع في بعض الأحيان، وخاصة في الخزانات العمومية، وأبو عنان نفسه الذي كان قد أجاز الإعارة، وقف مؤلفا[24] على القرويين، وينص أحد شروط هذا الوقف على منع الإعارة الخارجية.

وأجاز محسنون آخرون إعارة الكتب المحبسة وذلك مقابل تعهد تذكاري كما فعل ابن خلدون عندما وقف كتاب العبر على خزانة القرويين، ومنعت إعارة الكتب في عهد الوطاسيين والسعديين بسبب ضياع التراث الوطني، وأثار هذا الحدث اختلافات بين الفقهاء، وهذا ما قاله اليوسي بهذا الصدد: «لقد اختلفت آراء الفقهاء بخصوص إعارة الكتب فبعضهم رفضها صونا للكتب من الضياع وبعضهم أقرها لأنها كانت ذات فائدة كبيرة بالنسبة للباحثين»[25].

من أجل تقديم فكرة واضحة عن سلبيات إعارة الكتب سنحاول دراسة لائحتين للإعارة وذلك بطريقة مختصرة ترتبطان بمكتبتين كبيرتين في المغرب ألا وهما القرويين في فاس، وابن يوسف في مراكش، ففيما يخص مكتبة ابن يوسف فإن سجلا[26] يحيلنا على تراثها القديم وعن أسلوب الإعارة الذي تبناه القيمون على المكتبات قد عثر عليه سنة (1938م) لحظة تجديد هذه الخزانة[27] وذكر فيه بأن 148

---

[23]- الجزنائي: "**زهرة الآس**"، ص 150 من ترجمة "ألفرد بيل"A Bel.

[24]- يتعلق الأمر بشرح ابن الجلاب في أربعة أجزاء، وتوجد الوقفية في الورقة الأولى من الجزء الرابع. ينظر الفاسي: "**الخزانة العلمية**" ص 29.

[25]- اليوسي: "**القانون**"، ملزمة 24، ص 2.

[26]- حرر هذا السجل في عهد المولى إسماعيل سنة 1700.

[27]- دوفردان Deverdun: "سجل الإعارة" Un registre de prêt في مجلة هسبريس، ج XXXI سنة 1944.

عملية إعارة لم ترجع منها إلا 24، ويوجد على رأس قائمة المؤلفات المعارة، والتي لم ترجع، المصحف المنسوخ بيد العاهل الموحدي عمر المرتضى في القرن (13م). وكان هذا المصحف قد أعير إلى المحتسب العربي الناصري في سنة (1736م)[28].

وتضم اللائحة كتبا في علوم القرآن الكريم، والفقه، والقضاء، واللغة، والنحو...الخ، فقد كان الأمير علي بن السلطان محمد الثالث قد استعار سنة (1177هـ/1764م) الكتاب الوحيد باللغة التركية الذي كان يوجد في الخزانة. ومن بين المستعيرين من هذه الخزانة القضاة، والفقهاء، والأئمة، والفلكيون، والنظراء، والطلبة....الخ، ويمكن أن نجد أيضا اسم الباشا رحمون بن سعيد بن الخياط. ومن بين العلماء المستعيرين نجد الكاتب الكبير الإفراني مؤلف "النزهة"، ومحمد بن علي المنبه، وحتى الملك مولاي حفيظ استعار منها[29].

ومع مطلع القرن العشرين لا نجد، أو لا نكاد نجد، الكتب التي كانت مسجلة في هذا السجل، فهذا الجرد يجعلنا نقف على خزانة ضاعت عن آخرها بواسطة الإعارة. ولم تسلم خزانة القرويين هي الأخرى من المستعيرين الانتهازيين، فهي تضم سجلات[30] للإعارة تشير إلى عناوين المؤلفات المستعارة وأسماء المستعيرين، ويكفينا أن نذكر هنا نبرات الشكوى وآهات عالم كبير عرف جيدا هذه الخزانة[31]، «ويمكن أن نقول أنه إذا كانت هذه الخزانة مثل ما وصفناها فإنها ستضم اليوم على الأقل مآت الآلاف من المجلدات فهل هو كذلك؟ للأسف فإن جوابي مخيب وذلك لأن كبار المدينة وحكامها، وحتى العلماء قد استعاروا كتب هذه الخزانة بالمئات، لهم ولأبنائهم وأقاربهم ومعارفهم، فمضت قرون ولم ترجع الكتب»[32].

---

[28]- لم تبق سنة 1933 إلا أربعة أجزاء من أصل عشرة التي كان يتكون منها هذا المصحف.

[29]- يجب القول أن الجزء الكبير من المؤلفات المطبوعة من خزانة ابن يوسف أهديت من طرف مولاي حفيظ.

[30]- السجل رقم 835 و 836 ينظر "**فهرسة القرويين**"، ج 2، ص 503- 506، ينظر أيضا: الفاسي، "**الخزانة العلمية**"، ص31- 33.

[31]- يتعلق الأمر بالعلامة عبد الحي الكتاني المتوفي سنة 1963.

[32]- "ألفردبيل"A.BEL : "Catalogue de la Qarawiyyim"، ص 4- 5.

ونستخلص من هذه اللوائح أن المستعيرين بدءا من رجال السلطة[33] إلى القارئ العادي، قد أسهموا بجزء وافر في تفريق، بل حتى ضياع المخطوطات. ويحدث أحيانا أن الكتب المستعارة كانت تباع ويستعيدها القيمون على المكتبات في بعض الأحيان بإعادة شرائها. ويشير فهرست القرويين إلى أن مصحفا أعارته هذه الخزانة بيع من طرف المستعير، فتم العثور على الكتاب وأرجع إلى الخزانة[34]. وعلى هذا النحو، فإن رجال السلطة في المغرب لم يتوقفوا أبدا عن المطالبة بإرجاع الكتب المستعارة إلى المكتبات العمومية في المملكة.

ووعيا منه بالمسألة، عمل الملك العلوي الحسن الأول المتوفى سنة (1894م)، على إعادة الكتب التي أعارتها القرويين، بظهير ينص بأنه على المستعيرين أن يرجعوا الكتب التي كانوا قد استعاروها[35]. وعلى ورثة الكتب إعادتها إذا توفي المستعيرون، وكان يجب على النظراء والمحافظين السهر على تنفيذ هذه العمليات مرافقين بأربعة عدول أو موثقين[36].

إن قانون تنظيم هذه الخزانة والخزانات العمومية في فاس الذي أنجزه المسؤولون عن الثقافة في عهد الملك مولاي يوسف في بداية الحماية، يمكن أن يسهم في إرجاع الكتب المستعارة. ويتضمن الفصل الخامس البند التالي: «إن المحافظين مكلفان بالبحث خصوصا في الكتب التي تم إخراجها من هذه الخزانة عن طريق الإعارة والتي لم ترجع وذلك بأن يطلباها من المعار له أو من ورثته وذلك بشتى الوسائل الشرعية والإدارية والقضائية إلى أن يعملوا على استرجاع ما يستطيعونه رده أو أن يلزموا المستعير أن يعيد مجلدا مشابها للنسخة المعارة أو بأداء ثمنها»[37].

ويجب أن نشير إلى أن تلك المحاولات لاسترجاع الكتب لم تؤد إلى نتيجة، فقد استمرت العائلات في الحفاظ باعتناء على المؤلفات التي ورثوها عن آبائهم والبعض من هذه المؤلفات التي سبق أن رأيناها،

---

[33]- حسب الكتاني إبراهيم فإن الحكومة الفرنسية استعارت مجموعة من الكتب من ضمنها نزهة المشتاق للإدريسي. هذا المؤلف لم يتم إرجاعه أبدا حسب ما جاء في برنامج "ألفردبيل"، تنظر "**مجلة البحث العلمي**" سنة 1965.

[34]- يتعلق الأمر بمصحف أودع تحت رقم 3. ينظر: "**فهرست القرويين**"، ج 1، ص 41.

[35]- يعير المستعيرون الكتب الواحد تلو الآخر ولكن لا يرجعونها إلا نادرا.

[36]- الفاسي، "**الخزانة العلمية**" ص 72.

[37]- "ألفردبيل"، A.BEL "**برنامج القرويين**" "Catalogue de la Qarawiyyin"، ص 14.

تحمل صيغة الوقف على إحدى المكتبات العمومية في المملكة. ولم تكن الإعارة إذن أقل خطورة من إحراق المخطوطات فقد كتب المولع بالكتب المسمى "بكسركور" "Pixérécourt" على باب مكتبته هذه العبارة البليغة: «هذا هو المصير المؤلم لكل كتاب معار، فهو غالبا ضائع ودائما مبدد»[38].

4.2. نهب الكتب وسرقتها

يستحيل علينا تحديد قائمة المخطوطات والمكتبات المنهوبة في المغرب، فليست هناك خزانة ملكية أو خاصة أو عامة لم تتعرض كليا أو جزئيا للنهب، فقد تعرضت المؤسسات العلمية المغربية للحروب الداخلية والغزوات الأجنبية، والاضطرابات السياسية، وفي مثل هذه الظروف وقعت سرقة خزانة الملوك السعديين التي انتهت إلى الإسكوريال في إسبانيا.

وكانت مسؤولية القيمين على هذه المؤسسات ثابتة في نهب جزء كبير من التراث الوطني المكتوب، فهؤلاء القيمين، ونظرا لانعدام أمانتهم لم يكونوا وراء ضياع أغلب تلك الثروات فقط، وإنما كانوا هم الأوائل الذين أسهموا في ذلك في غالب الأحيان، وقد كتب المؤرخ أحمد بن المعز[39] «كانت السرقة تتم من كل الجهات، وهو أول نموذج على ذلك»[40]. ففي بداية الحماية تكلف عالمان كبيران هما "ألفردبيل" وعبد الحي الكتاني بإحصاء وفهرسة ثروات خزانة القرويين. وحسب شهود عيان فإن هذين الرجلين لم يفوتا أن يحتفظا بعدد من المخطوطات لاستعمالهم الشخصي.

وحسب الكتاني إبراهيم[41]، فإن "ألفردبيل" قد عرض أثناء معرض للكتب في تلمسان بالجزائر سنة (1936م) كثيرا من مخطوطات القرويين[42]. ويبدو لنا أن القيمين الذين كانوا يستغلون مهمتهم للاستحواذ على الكتب، كانوا يعتمدون بدون شك على المقولة المعمول بها لدى بعض هواة الكتب وهي:

---

[38]- نومي "Neumayer": Bilbliophilon، فصل: الإعارة.

[39]- كان أحمد بن المعز محافظا على الخزانة الملكية في عهد العاهل العلوي الحسن الأول.

[40]- **"الوثائق المغربية"** Archives Marocaines، ص 357، سنة 1912.

[41]- الكتاني، الكتاب المغربي في مجلة البحث العلمي، ص 25، سنة 1965.

[42]- لإيقاف هذا النوع من التهم كتب "ألفردبيل": " خلال إقامتي بفاس، استطعت شراء أو نسخ لمكتبتي الخاصة مجموعة من المخطوطات التي بعضها يظل نادرا". **"برنامج القرويين"**، ص 15، ج 1، سنة 1918.

«سرقة كتاب ليست سرقة». لأنه لا أحد يشك مثلا في استقامة ونزاهة العلامة عبد الحي الكتاني، ومع ذلك فهذا الأخير لم يتردد أبدا في الاستحواذ على مخطوط قيم لا يوجد، حسب معرفته، في أماكن أخرى، فبسبب السرقة فإن مجموعة من المخطوطات المحبسة على المكتبات العمومية سقطت في أيادي الخواص أو انتهت إلى المكتبات الأجنبية[43]، فالأوربيون، وكما أشرنا إلى ذلك سابقا، لم يكونوا يستطيعون شراء المخطوطات العربية في المغرب، إذ كانت المكتبات مسدودة أمامهم بشكل قطعي[44].

إن المحن التي مرت منها المكتبات المغربية لا تحصر في العوامل التي سبق ذكرها، فالصراعات السياسية والغزوات الأجنبية كانت أيضا الأصل في تفريق ونهب عدد كبير من المخطوطات.

معلوم أنه بانتهاء أية سلالة من السلالات التي حكمت الدولة المغربية، كان يختفي معها جزء كبير من خزانتها الملكية التي جمعها ملوكها باعتناء، فقد سبق أن أشرنا إلى أن صاحب "الذيل والتكملة" أخبرنا أن الخزانة الملكية الموحدية أبيدت في جزء منها لحظة الحروب الأهلية بين الأمراء الموحدين في بداية القرن (13م)، فهذا هو السبب الذي جعل العاهل "العابد" يدعو العالم الكبير والقاضي ابن القطان لإعادة تنظيمها، وقد تأثرت المكتبات الخاصة بدورها بهذه النزاعات.

إن أحد أعظم المكتبات الخاصة ونعني بها خزانة كتب العلامة ابن الصقر قد خربت عبر مرحلتين، أولا أثناء الصراعات البربرية في إسبانيا حيث يستقر ابن الصقر، وبعد ذلك في مراكش في اللحظة التي استولى فيها العاهل الموحدي عبد المومن[45] على هذه المدينة.

ويتعذر علينا تحديد قائمة حصرية للخزانات الخاصة المنهوبة أو المخربة، لأن هذه الأخيرة تعد بالمئات، وإذا كانت الحروب الأهلية قد سبق أن عطلت المكتبات المغربية، فإن الغزوات الخارجية كانت هي

---

[43]- كثير من المخطوطات المغربية انتهى إلى المكتبة الوطنية في باريس ومكتبات فرنسية أخرى. ينظر "فاجدا" Vajda، Notes de bibliographie maġribine في مجلة هسبريس 1954.

[44]- هاجم بعض المثقفين المغاربة المعاصرين المستشرقين الفرنسيين الذين في نظرهم انتهزوا المهمة التي أوكلت إليهم لإعادة تنظيم المكتبات المغربية لأخذ ما بدا لهم صالحا للأخذ. ونحن نظن أنه يجب مؤاخذة أولا العلماء والقيمين أنفسهم الذين هم أوائل من نهب الخزانات المغربية وسرقها.

[45]- ابن فرحون: "**الديباج المذهب**"، ج 1، ص 211.

أيضا أكثر ضررا لهذه المؤسسات العلمية، وأن نهب المخطوطات بدأ فعليا في القرن (15م) وخاصة في القرن (16م) مع احتلال السواحل المغربية من طرف البرتغاليين والإسبانيين[46].

ويخبرنا مؤلف "ممتع الأسماع" أن المتصوف سيدي رحال الكوش الذي كان مسجونا لدى امرأة برتغالية في مدينة أزمور على الساحل الأطلسي تسلم من هذه المرأة، عند خروجه من السجن، عددا كبيرا من المخطوطات العربية التي كانت بحوزتها[47]. فهذا المثال لايتعدى كونه نموذجا واحدا وشأنه أن يساعدنا على تكوين فكرة عن نهب المكتبات المغربية من طرف البرتغاليين.

كما أن الحروب المغربية الإسبانية واحتلال تطوان في القرن(19م) كان جد مؤذ للمكتبات العمومية والخاصة في تلك المدينة، إذ استولى الإسبانيون على تطوان. وعلاوة على إزهاق الأرواح وتخريب خيرات أخرى ثمينة، فإن عددا خياليا من المجلدات التي لا تقدر بثمن قد نهبت أو أتلفت عمدا من طرفهم وأن الكتب التي سلمت من الضياع أخذت كغنيمة حرب، ونقلت إلى إسبانيا، وأدمجت في خزانات كتب هذا البلد. ودليل ذلك وجود عدد من المخطوطات التي تحمل علامات التملك باسم المغاربة[48] في الخزانة الوطنية بمدريد.

ولكن النكبة الأكثر مرارة التي عانتها الخزانة المغربية هي خطف الخزانة الملكية للسعديين إلى المحيط الأطلسي من طرف القراصنة الإسبان. ونظرا لأهمية هذا الحدث في التاريخ الثقافي للمغرب، فإنه من الضروري أن نذكر باختصار الشروط التي خطفت فيها هذه الخزانة الهامة والغنية[49]؛ فالمكتبة الملكية للسعديين التي أسست بعناية من طرف الكتبي المولع بالكتب أحمد المنصور الذهبي كانت أروع خزانة لم يؤسس مثلها قبله. ومن وجهة النظر الخطية والزخرفية فإن بعض المخطوطات كانت تحفا

---

[46]- بسبب هذه الإحتلالات انتهت المخطوطات إلى الزوايا التي تكاثرت تقريبا في أي مكان بالمغرب انطلاقا من هذه الفترة.

[47]- المهدي الفاسي: "**ممتع الأسماع**"، ص 87، فاس 1305هـ

[48]- أكد العالم المغربي الشهير عبد الله كنون في مقال منشور في مجلة المخطوطات للرابطة المغربية أن المكتبات العمومية في إسبانيا تحتفظ دائما بمخطوطات كتبت أو امتلكت من طرف ناس من تطوان وقد راجع هذا المؤلف عددا منها. وأضاف أن إعلان الحماية الاسبانية سنة 1912 حرم شمال المغرب خاصة مدينة تطوان من مجموعاتها الأدبية الغنية. تنظر مجلة معهد المخطوطات العربية، ج 2، ص 170، سنة 1955.

[49]- نشر مقال في غاية الأهمية عن خطف الخزانة من طرف "دوكستر" في Journal des débits في 20 أكتوبر 1907. ينظر أيضا مقالنا: "**الخزانة المراكشية بالإسكوريال**" في مجلة كلية الآداب، عدد 9، سنة 1982.

عجيبة. وقد آلت هذه الخزانة التي تعد مفخرة المنصور إلى ولده ووارث عرشه مولاي زيدان، الذي كان محبا للكتب، لكنه كان مشغولا عنها بالحروب المستمرة التي نشبت بينه وبين إخوته، فقد كان يجب عليه أن يودع نفائس المخطوطات في آمان.

وفي (1610م)، وفي الوقت الذي نعمت فيه مراكش بالسلم من جديد، علم بتمرد أبي محالي[50]، خرج هذا المرابط من الصحراء وتقدم منتصرا نحو مراكش وأرغم مولاي زيدان، الذي لم يكن يحس أبدا بالأمان، على مغادرة عاصمته بشكل نهائي. فعاد إلى آسفي مصحوبا بحريمه وثرواته وخاصة خزانته القيمة. ومن هناك انطلق نحو سوس حيث قرر تنظيم المقاومة، وتطلب تنقله هو وعائلته الكبيرة وحاشيته وثرواته استعمال باخرتين للوصول إلى أكادير، فاستأجر مولاي زيدان سفينة هولندية للوصول هو ونساؤه إلى أكادير. وحمل ثروته وخزانته في "نوتردام دولاغارد" سفينة القنصل الفرنسي "جان فليب دوكستلان" "Jean philippe de Castellane"، الذي قبل أن يبحر تجاه أكادير بمقتضى معاهدة فرنسية - مغربية، وبمبلغ ثلاثة آلاف دوكا.

وبتاريخ 16 يونيو 1612، وصلت السفينتان الهولندية و "نوتردام دولاغارد" إلى ميناء أكادير: فالسفينة الأولى أوصلت اليابسة مولاي زيدان وحريمه وخدامه، بينما سفينة "دوكستلان" رفضت إنزال الخزانة والثروات الأخرى قبل أن يدفع له الثلاثة آلاف دوكا؛ وهو الثمن المتفق عليه لاستئجار سفينته. وبقي "كستلان" ستة أيام في أكادير بدون أن يتوصل من الملك بثمن للاستئجار، وباتفاق مع طاقمه هرب من ميناء أكادير وذهب في عرض البحر حاملا في سفينته الخزانة، « وكان قصده أن يذهب بسفينته إلى مرسية. وأن يسلم "الدوف دوغيز" ثروات الشريف مولاي زيدان طالبا منه أن يعوضه بمبلغ الاستئجار الذي يخص سفينته»[51]. ونظرا للرياح المعاكسة وجد مولاي زيدان نفسه من جديد في مياه سلا بتاريخ 5 يونيو 1612، وذلك حينما التقى بأربعة مراكب إسبانية طاردت السفينة الفرنسية التي كانت لهم محطة

[50]- يجب الاطلاع بشأن هذا المرابط على مقال "لوتورنو" المنشور في "Les Mélanges" للمستشرق الإيطالي "جورجيو ليفي دولافيدا" Geogio levi Della Vida، 1959.

[51]- دوكستير "H.de Castrises": Auteur d'une bibliothèque marocaine : في Journal des débats في 20 أكتوبر 1907، ص8.

شبهة فاستولوا عليها بسهولة. وكانت السفينة تحمل علاوة على أكياس تضم ثروات السلطان السعدي، سبعين كيسا من الكتب العربية.

وصل عدد الكتب إلى (4020) وكانت مزينة في أغلبها بأغلفة مزخرفة «ولوحظ من ضمنها كمية كبيرة جدا من المصاحف المذيلة بالتفسير وغير المذيلة بذلك، ومؤلفات الفلسفة، والشرع، والسياسة، ومؤلفات في المفردات، والطب والجراحة»[52]. وأرسلت الخزانة أولا إلى لشبونة في البرتغال[53]، لكي تفهرس قبل أن تنقل إلى الإسكوريال التي كانت ستبقى فيها برمتها لو لم يدمر حريق (16 يونيو1671) جزءا كبيرا منها. وعلى كل حال فإن ما تبقى منها[54] سمح مع ذلك للمستشرقين بالقيام باكتشافات جد هامة.

لقد خلفت مصادرة هذه الخزانة[55] شعورا مؤلما لدى المغاربة إلى درجة جعلت العلويين يلومون الإسبان بعد ذلك عشرات السنين. وتشكل خزانة أحمد المنصور الذهبي اليوم جزء من المجموعات العربية في الإسكوريال.

فماذا عن المحاولات المتعددة التي قام بها المغاربة لاستعادة تراثهم، وخاصة آلاف المخطوطات المنحدرة من قصر السلطان السعدي؟

II- محاولات إرجاع المخطوطات

إن مصادرة الخزانة الملكية السعدية ونقلها إلى الإسكوريال كان الدافع الأساسي الذي حث المغاربة على عدم الاكتفاء بمطالبة الإسبان بإرجاع هذه الخزانة فقط بل كل المخطوطات العربية التي استولى عليها المسيحيون في زمن الاستعمار. فإذا كانت مطالبة الملوك السعديين تقتصر على إرجاع مكتبتهم

---

[52]- نفسه.

[53]- كانت البرتغال في بداية القرن 17 مستعمرة إسبانية.

[54]- كان عدد الكتب العربية في خزانة الإسكوريال قبل الحريق هو 10.000 كتاب، لم يبق من هذا الحريق الذي حدث في القرن 17 إلى 2000. ينظر "دوكستر" "المصادر الدفينة لتاريخ المغرب" S.I.H.M، فرنسا، السلسلة 1-2، 541.

[55]- تذكرنا هذه المصادرة بالخزانة التونسية التي كانت تضم 36.000 كتاب التي أسسها أبو زكرياء الكبير (625-641)، والتي نهبها جيش "شارل كانت" سنة 1535/924. ويضم المحتوى العربي لخزانة الفاتكان بعض الشهود الجليلة على هذا الحدث. من ذلك بعض المخطوطات التي تم التبرع بها على المسجد الكبير في تونس والتي تحمل أثرا مكتوبا. ينظر "دمرسمان" Demeersmann: Les données de la controverse autour du problème de l'imprimerie، ص 34.

الملحقة في القصر الملكي الإسباني، فإن مطالبة أتباعهم العلويين كانت أوسع من ذلك، وكانت ترمي إلى إرجاع كل المخطوطات العربية المحفوظة داخل البلد أو في الخزانات الأوربية[56]، فمراسلات الملوك العلويين مع ملوك فرنسا بهذا الخصوص، وكذا الظهائر التي كانوا يصدرونها لاستعادة المخطوطات لدليل قاطع على ذلك.

1. جهود الملوك السعديين

كان الملوك السعديون يلجأون إلى التهديد والدبلوماسية في نفس الوقت لإرجاع كتبهم، فحينما علم مولاي زيدان بهرب سفينة "كستلان" غضب غضبا شديدا، وأقسم أن يسجن كل الفرنسيين الذين كانوا يوجدون في المغرب[57]، إلا أن غضب الملك لم يمنعه من أن يلجأ إلى الدبلوماسية، فبعث سفيرا إلى الأراضي المنخفضة(هولاندا).

وطلب من أصدقائه الأوفياء الوكلاء العامين أن يسمحوا بمرور مبعوثه إلى فرنسا والذي كان يحمل رسائل إلى لويس الثالث عشر[58]. وإلى "دوق دوغيز"، وأن يبذلوا كل جهدهم لإرجاع خزانته من قصر فرنسا[59]، ففرنسا في نظر مولاي زيدان هي المسؤولة عن هذا الحادث، لكن المجهودات التي بذلها لويس الثالث عشر تجاه قصر إسبانيا لم تنجح، إلا أن مولاي زيدان، وهو يقف على النتائج غير المرضية لاحتجاجاته، قرر أن يقيم علاقات ودية مع القصر الإسباني طمعا في استرجاع خزانته الثمينة[60].

---

[56]- ابتداء من القرن 16م امتلك الأساتذة والأطباء والسفراء الأوربيون في المغرب مخطوطات مغربية التي انتهى جزء كبير منها في المكتبات العمومية والجامعات الأوربية مثل المكتبة الوطنية في باريس والمكتبة الجامعية في "لندن" في هولندا. ينظر: "دوفردان" "**مراكش**"، ج 1، ص 436. وينظر أيضا "دوكستر" "Agent et "de Castries" voyageurs Français au Maroc، 1530- 1660، باريس 1911.

[57]- حسب "توماسي" فإن مولاي زيدان وهو غاضب سجن كل الفرنسيين الذين أمسك بهم، وفقد كثير منهم كل خيراتهم، وما هو مثير في هذا الواقع، هو أنه، ولتسويته، كان يجب تدخل السلطان "إستانبول"... لذلك فإن وزير هذا السلطان أمر سفراء مولاي زيدان بإطلاق سراح كل الفرنسيين. ينظر "توماسي" العلاقات مع المغرب Relations avec le Maroc : Thomassy، ص 118- 119، الطبعة 3.

[58]- اقرأ رسالة مولاي زيدان إلى لويس الثالث عشر في المصادر الدفينة لتاريخ المغرب، السلسلة الأولى، الدولة السعدية، ج 2، ص597، وثائق وخزانات فرنسا.

[59]- فتح هذا الحدث الباب أمام مشاكل غير منتهية بين فرنسا وإسبانيا والإمبراطورية العثمانية والبرتغال والمغرب والأراضي المتحدة (الأراضي المنخفضة) التي ساندت في تلك الظروف متطلبات مولاي زيدان. ينظر "دوكستر" "**المصادر الدفينة لتاريخ المغرب**"، السلسلة الأولى، الدولة السعدية، ج 2، ص 541، وثائق وخزانات فرنسا.

[60]- اقترح مولاي زيدان مبلغ ستين ألف دوكا لاسترجاع خزانته.

وقد باشر علماء الدين البرتغاليين من الجديدة في الاتصال وذلك بحثهم فيليب الثالث عشر على قبول عرض مولاي زيدان: «فقد فرض الأمير كشرط أولي للمصالحة، إطلاق الفوري لكل الإسبانيين المسجونين في المغرب. الشيء الذي كان مقابله الرفض، فمولاي زيدان لم يكن له ما يكفي من السلطة في إمبراطوريته ليقوم بإجراء من هذا القبيل، إذا ما أراد ذلك»[61].

ومع ذلك فقد جدد مولاي زيدان في مناسبات عديدة محاولاته لكن دون جدوى، ومات سنة (1627) دون أن يسترجع مخطوطاته. ولم يتوقف أتباعه عن الوعود والتهديدات لدى قصر إسبانيا: «حتى إن أحدهم قد أهلك بتوسلاته الفرانسيسكان "جان دول برادو" الذي اعترف بأنه هو المسؤول عن رفض ملك إسبانيا»[62] وكانت آخر محاولة السعديين لإرجاع المكتبة هي محاولة مولاي محمد حفيد مولاي زيدان وخليفته الثالث. فقد كلف الأب "بدرو دالكانتارا" Pedro d'Alcantara كبير دير "فرانسيسكان" في مراكش بالتفاوض وأرسله لدى فيليب الرابع. وأعلن كبير المحققين بعد أن استشير في الأمر بأن إعادة هذه الكتب إلى المغرب «هو تعاون عملي مع روح الإسلام»[63]. وقد رجع الأب "فرانسيسكان" خاوي الوفاض إلى مراكش[64] حاملا معه فقط رسالة إلى السلطان، وكان آخر مجهود للسعديين لكن دون جدوى.

2. جهود الملوك العلويين

إن الملوك العلويين، وكبار العلماء، ومحبي الكتب، الذين تم إخبارهم بالأمر، لم يقتصروا على طلب المخطوطات العربية المحفوظة في إسبانيا، بل اتصلوا بملوك فرنسا أملا في استرجاع، ولو جزء من المخطوطات العربية التي توجد في المكتبات الفرنسية، وكانت المحاولة الأولى هي التي شرع فيها الملك مولاي

---

[61]- "دوكستر" Autour d'une bibliothèque Marocaine : de Castries، 20 أكتوبر 1907، ص 8.

[62]- نفسه.

[63]- "دوكستر" de Castries :"**المصادر الدفينة لتاريخ المغرب**".S.I.H.M "، السلسلة الأولى، الدولة السعدية، ج 2، ص 542، الهامش 1، وثائق وخزانات فرنسا.

[64]- لقد وعد مولاي زيدان السماح ببناء كنيسة في مراكش إذا نجح في مهمته.

إسماعيل، إذ طلب من لويس الرابع عشر الكتب العربية التي كانت في فرنسا، والتي لم تكن مستعملة[65]. ويظهر أن السفير ابن عيشة هو الذي أدى هذه المهمة لدى ملك فرنسا[66].

أما فيما يخص محاولات مولاي إسماعيل لدى ملك إسبانيا، فقد كانت أول مهمة في هذا الإطار معهودة إلى الوزير ابن عبد الوهاب الغساني الذي وصفه مترجموه بكونه ولوعا بالكتب وخطاطا[67]، فكان يجب أن يتفاوض في استرجاع المسلمين المسجونين في هذا البلد، ويقترح على شارل الثاني تبادل المسجونين الإسبانيين[68] مقابل خمسة آلاف مخطوط عربي موضوعة في الإسكوريال[69].

ولما علم الغساني رسميا بالحريق الذي حصل في الإسكوريال في (1671م)، لم يلح على أن يحصل على مجموع المخطوطات العربية، وقبل، حسب أوامر الملك، بأن تستبدل الأربعة آلاف مخطوط بخمسمائة سجين مغربي[70]. ويجب أن نوضح أن المخطوطات التي كان قد منحها الملك شارل الثاني[71] لسفير[72] العاهل العلوي ليست من مكتبة الإسكوريال، فقد كتب ابن عثمان المكناسي في رحلته[73] أن البابا قد منع إخراج كتب هذه الخزانة وخاصة جزء من المخطوطات العربية المتبقية في المساجد الأندلسية[74] القديمة، التي ألحقها الإسبان بالإسكوريال.

---

[65]- ظن مولاي إسماعيل أن هذه الكتب قد تصلح للتبادل بالعبيد، ينظر "توماسي" "Thomassy" "العلاقات السياسية والتجارية بين فرنسا والمغرب" " Relations politiques et commerciales de la France avec le Maroc"، ص 73، ط 1642.

[66]- كتب "توماسي" أن سفير الملك مولاي إسماعيل عبد الله بن عيشة لدى لويس الرابع عشر طلب خدمة خاصة وذلك بأن تقبل وتوضع على رأسه رسالة زعم مسلموا الأندلس أن رسول الإسلام كتبها إلى الإمبراطور هرقليوس، ومرت من عنده إلى ملوك فرنسا الذين حافظوا عليها بعناية كبيرة، وحسب مسلمي الأندلس كانت سبب كل نجاحات الملكية الفرنسية. ينظر "**العلاقات السياسية والتجارية بين فرنسا والمغرب**" "Relations politiques et commerciales de la france avec le Maroc". ينظر أيضا: رسالة الملك مولاي إسماعيل إلى لويس الرابع عشر في "**المصادر الدفينة لتاريخ المغرب**" S.I.H.M، السلسلة 2 الدولة الفيلالية ص 293-294، وثائق وخزانات فرنسا.

[67]- بخصوص ترجمة الغساني ينظر: "**نشر المتاني**"، "**التقاط الدرر**"، "**سلوة الأنفاس**"، و"**الدرر البهية**".

[68]- استولى المولى إسماعيل على العرائش سنة 1689 وسجن الحراس الإسبان.

[69]- بخصوص هذا الحدث يجب أن ينظر: "**تاريخ الضعيف**" و "**الأتحاف**"، ج 2، ص 64، و "بري" "M.Pérés" "الأندلس حسب الرحالة المسلمين" " l'Espagne vue par les voyageurs musulmans"، ص 6.

[70]- الغساني، "**الرحلة**"، ص 73، طبعة 1940.

[71]- حكم شارل الثاني ابن الملك فيليب الرابع و "ماري آن" من النمسا من 1665 إلى 1700.

[72]- تجدر الإشارة إلى أنه أثناء المدة التي تمتد من بداية القرن 17 إلى وسط القرن 19 كان المغرب تقريبا القوة الوحيدة المسلمة التي نسجت علاقات دبلوماسية مع إسبانيا. وحدهم السفراء المغاربة الذين كانوا مؤهلين للحديث مع الإسبان في موضوعات المخطوطات العربية، لأنه كان يجب انتظار النصف الثاني من القرن 19 لكي يشرع الإسبان في السماح للمستشرقين للقدوم والاستفادة من المخطوطات العربية. وأرسلت أول بعثة من طرف الخليفة التركي عثمان عبد الحميد.

[73]- الإكسير في فكاك الأسير، ص 144.

[74]- أكد الغساني في رحلته أن الإسبان قد نقلوا المخطوطات العربية من قرطبة وإشبيلية ومدن أخرى إلى الإسكوريال.

وعلى الرغم من كون مهمة الغساني كانت هامة على مستوى إطلاق السجناء فإنها لم تكن مفيدة بالنسبة للمخطوطات[75]، فالمجهودات المحمودة التي بذلها مولاي إسماعيل بهدف استرجاع المخطوطات العربية ستستمر في عهد حفيده السلطان محمد بن عبد الله. فقد أرسل هذا الأخير، الذي كان فقيها وكاتبا شغوفا بالكتب، سفيرين لدى قصر إسبانيا، وكان استرجاع المخطوطات وخاصة مخطوطات الإسكوريال هو إحدى بنود معاهدات السلم الموقعة مع هذا البلد، وعهد بالسفارة الأولى إلى العالم أحمد المهدي الغزال الفاسي في(1179هـ/1765م)[76].

ونظرا لكون أحمد المهدي الغزال الكاتب الخاص للسلطان محمد الثالث، فقد كلف من طرف الملك بالتفاوض من أجل السلم مع إسبانيا. ويبدو أن الغزال، وعلاوة على رغبته في تحرير الأسرى، كان يريد أن يغتنم فرصة العلاقات الودية مع الملك شارل الثاني لتملك أكبر عدد من المخطوطات التي كثيرا ما كان العاهل يرجع إليها. وبالفعل، فقد شرح لماذا بقي شهرا في مدريد قائلا: «كنت أنتظر ما وعد به الأمير المسيحي من كتب الإسلام التي كانت بمدينة مدريد، لكن لم يكن الملك حاضرا في العاصمة وقت المغادرة، فأمر بإخراج الكتب من المكان الذي كانت فيه محفوظة، وتسليمها لنا. وتنضاف إلى هذه المجموعة كتب مصحوبة من غرناطة وأخرى أرسلها الملك الإسباني إلى قادس بعد سفرنا من مدريد كهدية لنا»[77].

ويتضح من هذا المقطع أن الغزال لم يحمل معه مخطوطات الإسكوريال ولو أنه كان يجب عليه أن يولي هذه الأخيرة أهمية بالغة، وكان عدد المخطوطات المسترجعة هو 300، يقول «دخلنا إلى مراكش مصحوبين بثلاثمائة من الأسرى، كل واحد منهم يحمل معه واحد من المخطوطات العربية التي أنقدها الله من بلاد الكفار»[78].

---

[75]- كتب الغساني عند عودته إلى المغرب رحلة أسماها رحلة الوزير في افتكاك الأسير، وكان لكاتب الملك المولى إسماعيل الفضل في كونه الأول من ألف رحلة عن سفره إلى إسبانيا.

[76]- كتب الغزال عند عودته إلى المغرب حكاية رحلته بعنوان "**نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد**". نتيجة المجهود الشخصي في البحث عن السلام والجهاد.

[77]- الغزال: "**الرحلة**"، ص 145 ينظر أيضا: "**بري**" "H.Pérés" "l'Espagne vue par les voyageurs musulmans"، ص 29.

[78]- الغزال: "**الرحلة**"، ص 145.

وفيما يخص السفارة الثانية فقد عهد بها محمد الثالث إلى عالم مكناس محمد ابن عثمان المكناسي المتوفي سنة 1213هـ/1799م[79]. فقد ذهب هذا الأخير إلى مكتبة الإسكوريال لمعاينة المخطوطات العربية، وأثناء خروجه، لم يتمكن ابن عثمان من ضبط مشاعره، داعيا العرب إلى الانتقام بهدف استرجاع تراثهم. وحينما لم يتلق جوابا عن طلبه تأسف بشكل كبير على زيارتهم[80]. وأكد ابن عثمان أن ملك إسبانيا شارل الثالث قد أهداه عدد من المخطوطات مصحوبة باعتذاراته بخصوص مخطوطات الإسكوريال قائلا بأن البابا كان قد قرر أن لا يتم التصرف في هذه المخطوطات. إلى درجة أن هذا القرار البابوي قد كتب باللاتينية على مدخل مكتبة الإسكوريال[81].

وهذا هو الدافع الذي من أجله لم يقم السفراء المغاربة في إسبانيا بمحاولة التدخل للمطالبة بهذه المخطوطات وذلك بعد التدخلات المشار إليها أعلاه، فالكردودي المعين سفيرا لدى المملكة الإسبانية سنة (1885) من طرف السلطان حسن الأول، لم يكلف نفسه حتى بزيارة الإسكوريال، وهذا ما قاله بهذا الصدد: «... قيل أن عندهم فيه (الإسكوريال) ألفي كتاب[82] من كتب المسلمين، كانت قد وجدت بقرطبة ونقلت إلى هناك، وطلبوا مني أكثر من مرة أن نتوجه لهذا المكان لزيارة ومعاينة كتب المسلمين الموجودة فيها، ولم يقدر الله ذلك»[83].

تلك كانت المحن التي عانتها ثروات المكتبات المغربية، وإذا كانت كثير من المخطوطات التي عانت من الأيادي المدنسة والتي اختفت ربما إلى الأبد، فإن مخطوطات أخرى أيضا انتهت إلى الخزانات الأجنبية، وإن بلدا مثل المغرب الذي وحسب تقدير المؤرخين، قد كان في زمن معين أحد أكبر مراكز المخطوطات في

---

[79]- قام ابن بطوطة بأربع رحلات رسمية بصفة سفير، وبعودته من أول رحلة من إسبانيا كتب عن رحلة بعنوان، الإكسير في فك الأسير، وتجدر الإشارة أن "هنري بري" "H.Pérés" لم يذكر هذه الرحلة المهمة في كتابه الهام: "l'Espagne vue par les voyageurs musulmans".

[80]- ابن عثمان، "**الرحلة** " ص 144 و 194.

[81]- نفسه: لقد اعتبرت ترجمة الفهرس الأول لمخطوطات الإسكوريال: " Bibliotheca-Arabico-Hispana Escurialensis " 1760-1770 في عهد الملك العلوي مولاي سليمان من طرف الباحثين المغاربة كمحاولة لاسترجاع المخطوطات العربية المحفوظة في الإسكوريال.

[82]- بقيت من العشرة آلاف مؤلف مخطوط التي كانت تضمها خزانة الإسكوريال وحدها ألفان بعد الحريق الذي وقع سنة 1971. ويؤكد "برانليوجوستل كالبورو" " Branlio Justel Calaboro" المحافظ السابق لخزانة الإسكوريال أن الخزانة كانت تضم قبل الحريق 4500 مخطوط.

[83]- "الكردودي": H.Pérés: "l'Espagne vue par les voyageurs musulmans"، ص47.

العالم الإسلامي، قد رأى ثروته تنتهي إلى المنفى في أوربا[84] وفي الخارج، وقد كان ذلك ربحا بالنسبة للمكتبات الأجنبية، ولكن خسارة لا تعوض بالنسبة للمغرب.

[84]- نجد في فهرست مكتبة "بودلين" في إنجلترا أربعة مخطوطات تاريخية بخط مغربي منحدرة من هدايا "نارسيس مارش" مرقمة DCCL XIV. DCCCIX. DCCCXXVI. DCCCXXX. ولم يكن آخرها إلى روض القرطاس.

ينظر: "دوكستر" "De Castries" "**المصادر الدفينة لتاريخ المغرب**" S.I.H.M، الدولة السعدية. الأراضي المنخفضة VI ص105-106، الهامش (2).

وقف الكتب في المغرب

شكل وقف المخطوطات في المغرب عبر التاريخ المصدر الأساسي لإغناء المكتبات العمومية، شأنه شأن الأقطار الإسلامية الأخرى. وسنعالج في هذا الفصل أصل وقف المخطوطات، ومواقف الفقهاء إزاء العمل به سواء في الشرق الإسلامي أو في المغرب. وسندرس بعد ذلك كيفية تشكل وقف المخطوطات، وسنوضح مختلف أنواع الوقف، والإجراءات القانونية المتبعة في إنجازه، وطبيعة المؤلفات المحبسة، وأخيرا مختلف طرق تسجيل وقف المخطوطات. وفي النهاية سنشير إلى الإيجابيات والسلبيات التي تترتب عن وقف المخطوطات بالنسبة للمكتبات العمومية المغربية.

I- أصل وقف المخطوطات

1. وقف المخطوطات في الدول الإسلامية

1.1. اختلاف آراء الفقهاء حول وقف المخطوطات

قبل عرض موقف الفقهاء بخصوص وقف الكتب، من المفيد أن نقول كلمة عن الوقف أو التحبيس. إن كلمة تحبيس من حيث الاشتقاق هي مرادفة للوقف، وهي تعني: «وقف تم وقفه، ويحفظ من كل تصرف تقديري ويبقى إلى النهاية»[1] فالوقف إذن هو إجراء قانوني يتخلى عبره شخص عن شيء أو أشياء من ممتلكاته ويعزله عن التجارة ويبقى مخصصا إلى الأبد لهدف خيري إحساني أو اجتماعي ابتغاء

[1]- ينظر: "**سيدي خليل**": ترجمة بيرون (Perron V)، ص 24.

مرضاة الله، فعادة التحبيس تعود إلى بداية الإسلام، ولكن لعدم ذكره في القرآن فإن بدايته تبقى غير واضحة.

ويتفق المفكرون المسلمون على القول أنه ينحدر من حديث رواه البخاري، فقد أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم ابن الخطاب الذي سأل كيف يمكن له التصرف في أرض خيبر ليرضي الله: «أوقفها بشكل يمنع فيها البيع والعطاء والإرث وتخصص عوائدها للفقراء»[2].

فما هو، موقف فقهاء مختلف المذاهب من وقف المخطوطات؟ نظرا لعدم وجود أساس له في سنة الرسول(ص) فإن وقف المخطوطات كان موضوع نقاش وجدال بين فقهاء الإسلام، وكان يلزم قرنان من الزمان ليتم الإجماع عليه، ويتفق الجميع على العمل به. ولعل المخطوطات الأولى التي من المفروض أنها وقفت رغم أن المصادر لم تذكرها هي المصاحف التي أودعها الخليفة الراشدي عثمان بن عفان في المساجد الكبرى للعالم الإسلامي.

وهكذا فممارسة تحبيس المصاحف منذ عثمان يرجع قانونا لوقف لمخطوطات حسب مبدأ العرف الذي ينص حسب التهانوي على تحالف واتفاق العامة على استعمال شيء واحترام هذا الاستعمال في الاتفاقات التي تتعلق بكل ما هو مدني أو ديني[3]، ولم يتفق الفقهاء على ما سبق ذكره، فالبعض منهم سمح بوقف المصاحف دون السماح بوقف باقي المخطوطات التي لم تكن تعتبر في نفس مكانة النص القرآني الذي تقرر فيه استعمال الوقف وهو مثلا موقف الفقيه الحنفي محمد بن سلامة (المتوفي سنة 891/278)[4]. وسمح آخرون بوقف المصاحف كما هو الشأن لباقي المخطوطات التي تنص على ما جاء به القرآن لما تحمله من امتيازات للدين وتساعد على فهمه، والمثال على ذلك موقف الفقيه "نصير بن يحيى"

---

[2]- ليشيوني (Luccioni): "**التحبيس في المغرب**" "Le Habous au Maroc"، ص 3، ط 1928.

[3]- التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، مقال العرف Calcutta، 1862، ينظر أيضا: العش، "**المكتبات العربية**" Les Bibliothèques Arabes، ص 69، ط 1967.

[4]- العش، "**المكتبات العربية**" Les Bibliothèques Arabes، ص 73.

(المتوفي سنة 268هـ/881م)[5]، والموقف الثالث هو لابن حنيفة رواه أحد أتباعه حسن بن زياد (المتوفي سنة 204هـ/819م).

لقد أجاز مؤسس المدرسة الحنفية وقف القرآن، لكن إذا ما رغب الواقف يوما ما يمكن له التراجع عن ذلك، ويمكن لورثته بعد موته أن يقوموا بنفس الشيء[6]. إن وقف المصاحف حسب أبي حنيفة هو جائز ولكنه محدود، فهو يتعلق بالرغبة الكلية للواقف، وبعده برغبة ورثته، هذا التسامح الملحوظ عند أبي حنيفة يرجع إلى المرونة الذهنية التي اشتهر بها مذهبه. وفيما يخص باقي المذاهب، فالفقهاء الثلاثة الكبار مالك بن أنس (المتوفي سنة 241هـ/ 795م)، ومحمد بن ادريس الشافعي (المتوفي سنة 204هـ/819 م)، وأحمد بن حنبل (المتوفي سنة 241هـ/855م)، قبلوا ضمنيا وقف الكتب إلا أن العمل بذلك لم يتم في تلك المرحلة. فكان يجب الانتظار حتى القرن الثالث من الهجرة لكي يتفق الفقهاء على وقف المخطوطات ويشرعونه[7].

2.1. طبيعة المؤلفات المحبسة

كما رأينا سابقا، فقد أجيز وقف المصاحف بالعرف، ولم يتم الإجماع عند الفقهاء على الكتب الأخرى التي ترتبط بمختلف الميادين المعرفية فبعضهم وافق على وقف المؤلفات الدينية مثل كتب التفسير والأحاديث النبوية التي اعتبرت مثل القرآن.

إن تساهل هؤلاء الفقهاء كانت مفيدة لتطور الأبحاث الدينية العربية في القرون الهجرية الأولى، ورفض فقهاء آخرون كليا وقف الكتب المعارضة للقرآن مثل العهد القديم والجديد أو الكتب المرتبطة بالعلوم غير المطابقة لكتاب الله[8]، لأن هذه المؤسسة - حسب رأيهم- تتعارض مع مبدأ القيم للوقف سواء

---

[5]- نفسه.

[6]- نفسه.

[7]- نشير بهذا الصدد إلى أطروحة "روب" M.Robe الذي يؤكد أن أن التحبيس ليس له مثيل في القوانين الأوربية، فهو ليس بوصية، ولا عطاء ولا توكيل بمعناه الصحيح. ينظر: ليشيوني Luccioni، ص 17.

[8]- لقد جرد الملك العلوي محمد بن عبد الرحمان من خزانات المساجد وخاصة خزانة القرويين من المؤلفات العلمية، التي تتعارض وموقف الفقهاء الذين رفضوا هذا النوع من المؤلفات.

من الناحية الدينية أو بالنسبة للواقفين أو المستفيدين منه[9]، فقد اعتبر أحد فقهاء القرن الخامس الهجري وهو الماوردي أبو الحسن (450هـ/1058م) علم الفلك والفلسفة والعلوم التي ظهرت له متعارضة مع القرآن محظورة[10]، ويخبرنا مؤلف "الوافي" أن محمد بن عبد الله بن أبي عمير المنصور وزير المؤيد بالله الأموي في إسبانيا المسلمة أحرق مؤلفات علوم الأوائل باستثناء مؤلفات الحساب والطب، فقد اعتبر أن هذين العلمين مفيدين في القضايا اليومية، وليس من المحتمل أن تمس قضايا الإيمان[11].

وعلى الرغم من هذه القوانين الفقهية التي ذكرها بعض الفقهاء المرتبطة بوقف كتب العلوم، نلاحظ بعد الاطلاع على فهارس مخطوطات خزانات الكتب العمومية سواء في الشرق أو في الغرب الإسلامي، أن مجموعة من المؤلفات العلمية أو المرتبطة بديانات أخرى في الواقع، وقفت لصالح هذه المكتبات التي سبق ذكرها[12].

فهل كان لفقهاء المغرب بخصوص مسألة وقف المخطوطات نفس موقف فقهاء الدول الإسلامية الأخرى؟

2. وقف المخطوطات في المغرب

1.2. موقف الفقهاء

إن السماح بوقف المخطوطات في المغرب لم يثر من الخلافات ما أثاره في الأقطار الإسلامية الأخرى، فإجماع الفقهاء كان حينما شرع المغاربة في وقف المجموعات لصالح المكتبات العمومية التي لم تظهر إلا مؤخرا في المغرب، ومبدأ العرف[13] الذي ارتكز عليه المشارقة لتشريع وقف المخطوطات لم يكن موضوعا للنقاش بين الفقهاء المغاربة، فالمسألة لم تكن قد طرحت بعد. فقد حصر الفقهاء دراساتهم في حالات خاصة

---

[9]- العش: "**المكتبات العربية**" Les Bibliothèques Arabes، ص 297، حسب الفقهاء فإن وقف "العهد" Testament له غاية متناقضة، فهو يدفع إلى الزندقة، خصوصا وأن الكتاب المقدس تعرض للتحريف والإلغاء.

[10]- العش "Eche": "**المكتبات العربية**" Les Bibliothèques Arabes، ص 298.

[11]- الصفدي (الخليل): "**الوافي بالوفيات**" ج 4، 160 مخطوطات استانبول (خزانة أحمد الثالث رقم 2930). ينظر أيضا العش: "**المكتبات العربية**" Les Bibliothèques Arabes، ص 298.

[12]- تضم مكتبة القرويين ترجمة بالعربية لأناجيل سانت ليك Sant Luc ينظر: ليشيوني Bull.econ et Soc. du Maroc، ص237، هامش 4.

[13]- اعتبر الحنفيون العرف مصدرا شرعيا طالما أنه ليس هناك ما يعارضه.

فقط، وفي إعطائها حلولا، وفي استخراج قواعد شرعية كلما دعت الضرورة إلى ذلك، وسنذكر بعض الأمثلة التي أخبرنا بها عبد الواحد الونشريسري (المتوفي سنة 914 ه) في كتابه المعيار المعرب[14].

لقد سئل الفقيه أبو محمد عبد الله سيدي محمد ابن القاسم القوري رحمه الله عن المصاحف المحبسة لضريح ملوك بني مرين في شالة[15]، التي وجدت عند أحمد اللحياني الذي أخذها من الضريح المذكور، فأعلن المفتي أو الفقيه عن إمكانية استرجاع مصاحفه وتحبيسها لصالح مختلف مساجد المملكة، واقترح الفقيه القوري إما أن توقف كل المصاحف على مسجد أو عدة مساجد في الدولة، وإما أن تحبس بعضها وتباع الأخرى لتستعمل مثلا في ترميم أحد المساجد، فالمفتي قد ترك حرية استعمال المصاحف لفائدة الجماعة الإسلامية[16]. وكان يجب على الفقيه نفسه أن يحسم في إمكانية إعارة الكتب والمصاحف المحبسة لفائدة مسجد محدد، فأجاب فيما يخص الكتب بأنه يجوز للطلبة أن يأخذوها معهم للاستفادة منها. لهذه الغاية وقفت في المساجد حيث كانت تعطى الدروس، أما فيما يخص المصاحف فيجب أن تحترم بنود وقفية الواقف. فإذا كانت بنود الوقف لا تسمح بإخراج المصاحف، فيجب أن لا تفارق مكان التحبيس، وخاصة المصاحف المحبسة، فهي موجهة للقراء الراغبين في تلاوة كلام الله في المساجد[17].

لقد حبست الكثير من المؤلفات لصالح المسجد الكبير في غرناطة، والواقف يوضح أن بعض الكتب لا يجب أن تتم المطالعة فيها إلا في هذه المساجد، بينما يمكن أن تستعار الأخرى ولكن برهن. فلم يحسم مفتي غرناطة[18] في إمكانية إخراج الكتب التي حظرت الوقفية إخراجها، وأن بنود الوقفية يجب أن تنفذ بحرفها وأجاب بأن القراء يجب أن يستفيدوا من المخطوطات المحبسة مع احترام رغبة الواقف[19].

وقد سئل المفتي المغربي أحمد القباب سؤالا مماثلا تقريبا حول ما إذا كان نص وقفية مؤلف يشير إلى أن المخطوط المحبس لم يوضع إلا للقراءة والمطالعة، فهل يمكن انتساخه؟ فأجاب بأنه إذا لم تذكر في

---

[14]- هذا المتن الحقيقي لنوازل فقهاء إفريقيا الشمالية وإسبانيا المسلمة يقدم كمًا من الوثائق القيمة سواء من وجهة النظر الشرعية أو من وجهة النظر الاجتماعية.

[15]- شالة: مدينة رومانية بجانب الرباط.

[16]- الونشريسي: "**المعيار المعرب**" ج 7، ص 18- 19- 20- 21.

[17]- نفسه، ص 37.

[18]- الفقيه أبو القاسم بن السراج.

[19]- المرجع السابق، ص 227- 228.

الوقفية كلمة نساخة، فهذا المؤلف لا يجب أن ينسخ، فيجب أن تحترم شروط الوقف عن آخرها. وأضاف المفتي أن هذه الفتوى مماثلة لتلك التي أعطاها القاضي ابن رشد جد الفيلسوف في إجابته عن سؤال من هذا القبيل[20].

وسنذكر في النهاية رأي فقيه بخصوص تحبيس الذي تنص بنوده على أن المخطوطات المحبسة يجب أن تقرأ الواحدة تلوى الأخرى؛ فلا يجب على القارئ لا يجب أن يراجع كتابين دفعة واحدة. وأجاب أنه إذا كان الطالب مستقيما وجديرا بالثقة، يمكن أن يحصل على مؤلفين يراجعهما في نفس الآن، لأنه يجب أن تؤخذ نية الواقف بعين الاعتبار وليس كلامه؛ فالمفتي بهذه الفتوى قد ساير مبدأ "العرف" المتبع في إعادة الكتب المحبسة لصالح المدارس في المغرب.

وعلى الرغم من خطر إخراج الكتب الموقوفة، إلا أنه كان يمكن إعارتها بموافقة المدرسين وفي حضورهم[21]. وليس هناك من ضمن كل الفتاوى الفقهية[22] التي سبق ذكرها ما يطابق الوقف في ذاته، فقد أفتى الفقهاء دون أن يعارضوا هذا المبدأ الذي اعتبر شرعا بعد أن أثار لمدة طويلة صراعات حامية بين الفقهاء المسلمين في المشرق. فالوقف كان منذ البداية، قاعدة شرعية مقبولة من طرف الفقهاء في المغرب.

ففي أي فترة بدأ المغاربة يوقفون مجموعات مخطوطاتهم؟ وما هي المؤسسات القابلة لأن يتم فيها هذا الوقف؟ تلك هي الأسئلة التي يجدر بنا الآن الإجابة عنها.

2.2. تحبيس المخطوطات

[20]- المرجع السابق ص 293 (وتجدر الإشارة إلى أن الطلبة حسب بعض الفقهاء لا يجب أن يتعاطوا نساخة المخطوطات لأنها تعوق تعلم العلوم، فلهذا السبب هناك العديد من الوقفيات لا تضم كلمة "نسخ").

[21]- الونشريسي: "**المعيار المعرب**" ج 7، ص 340.

[22]- ترتبط هذه الفتاوى بالمخطوطات التي سبق تحبيسها ولا ترتبط بالوقف كما يجب أن يكون.

في المغرب كما في باقي الأقطار الإسلامية الأخرى، فإننا لا نعرف إلا الشيء القليل عن المخطوطات الأولى المحبسة في المغرب؛ فحسب الأنصاري (825هـ)، كانت مكتبة عالم سبتة الشاري[23] هي أول مجموعة من المخطوطات المحبسة في المغرب، فقد كتب أنها أول مكتبة في المغرب محبسة لفائدة أهل العلم، نفعه الله بها (في آخرته)[24]. ولم يصلنا شيء من تلك الخزانة التي تعود إلى عصر المرابطين يؤكد قول الأنصاري[25]. وبالفعل، فأقدم عينة من المخطوطات المحبسة التي وصلتنا تعود، فقط، إلى النصف الأول من القرن الثالث عشر.

ونجد نصا ذكره ابن أبي زرع متعلقا ببناء مستودع القرويين، هذا النص يجعلنا نعتقد بأن هذا المستودع كان يضم مخطوطات محبسة لفائدة خزانة القرويين. وهذا ما قاله صاحب القرطاس في هذا الصدد: « ... تكلف ببناء المستودع أبو الحسن، وجعل له ثلاثة مفاتيح لبابيه ووضع بداخله صناديق كثيرة، ولكن هذا لم يمنع من تعرض أموال المسجد ومداخيل الأحباس والكتب وأمانات قيمة أخرى للسرقة، ولم يعلم أبدا من فعل ذلك»[26].

الشخصان المذكوران في النص كانا في خدمة دولة المرابطين، ومن المحتمل أن تكون المخطوطات التي كانت بالمستودع محبسة في تلك الفترة. فمبدأ وقف الكتب يحتمل أن يكون قد ظهر ابتداء من القرن(5هـ/11م). وعموما، فبداية وقف الكتب تزامنت مع ظهور الخزانات العمومية في المغرب، وقد سبق أن أشرنا إلى هذا النوع من المكتبات ذات الطابع العمومي التي أسست في عهد الملوك الموحدين في القرن (6هـ/12م). وأقدم عينات المخطوطات المحبسة التي نتوفر عليها تعود إلى تلك الفترة؛ ويتعلق الأمر بنسختين من كتاب "التوحيد"[27] لابن عبد البر (المتوفي سنة 463هـ)، وكتاب "الأنجاد"[28] لابن أصبغ[29]

---

[23]- بخصوص ترجمة الشاري يجب العودة بالإضافة إلى المصادر التي قدمناها في الصفحة 51 إلى "**التكملة**" رقم 1922. و"**الجذوة**" ص 486-483 و"**برنامج الرعيني**" 74-76 و"**الإحاطة**" ج 7 ص 187- 190، و"**إفاضة الناسخ**" 105-112 و"**غاية النهاية**" ج 1، ص 574.

[24]- الأنصاري: "**اختصار الأخبار**" ص 132 من الترجمة، توركي A.Turki، مجلة هسبريس، العدد 2120 سنة 1982م- 1989م.

[25]- وجدت بعض الخروم المنتمية إلى خزانة الشاري في القرويين ولكنها لا تضم الوقفية.

[26]- ابن أبي زرع: "**روض القرطاس**" ص 43، النص 87 من الترجمة.

[27]- النسختان محفوظتان في الخزانة الملكية في الرباط وفي خزانة ابن يوسف في مراكش تحت رقمي 927 و 658.

[28]- مخطوط محفوظ في خزانة ابن يوسف تحت رقم 216.

اللذين حبسهما العاهل الموحدي عمر المرتضى (المتوفي سنة 665هـ) لصالح المدرسة التي أسسها خليفته في مراكش يعقوب ابن يوسف (المتوفي سنة 594هـ).

حسب الوقفية التي توجد في الأوراق الأولى من هذه المؤلفات، تمت الإشارة إلى أن هذه المخطوطات حبسها أمير المؤمنين عمر المرتضى على مدرسة القصبة للقراءة أو النساخة أبد الدهر، وتوجد أجزاء من القرآن تعود إلى نفس الفقرة وتحميل صيغة التحبيس محفوظة إلى يومنا هذا في مختلف مكتبات المملكة ويتعلق الأمر بالمصحف الذي أنجزه الخليفة الموحدي عمر المرتضى وحبس على المسجد الكبير لابن يوسف في مراكش[30].

ويوجد التحبيس في أول صفحة من الجزء الرابع من المصحف نذكر جزءا منه: «حبس رضي الله عنه هذا المصحف الموجود في عشرة أجزاء، وهذا الجزء الرابع وهو محفوظ في صندوق من خشب الأنبوس مزين بزخارف من النحاس المذهب، حبس هذا المصحف الذي نسخه بيده خادم الله عمر المرتضى، تقبل الله العلي منه وجزاه به خير جزاء على المسجد الكبير العتيد والجليل المسجد الكاتدرائي للسقاية[31] الذي رممه... وقد خصص هذا المصحف للقراء المسلمين أبد الدهر للاطلاع عليه ولا يمكن منع أحد من استخدامه في المسجد المذكور، ولا أحد يمكن منعه إعارته... وهذا التحبيس دائم ويستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين»[32] وقد أدرج الواقف كل أجزاء هذا المصحف في صيغة التحبيس لكي تبقى دائما في المسجد المذكور. وتحمل الصيغة الموافقة الأصلية للخليفة الواقف «هذا صحيح، فقد أمرنا بإنجازه وكتبنا نحن بأنفسنا ابتغاء مرضاة الله العلي القدير». ويوجد تحبيس من نفس

---

[29]- بخصوص ترجمة ابن الصباغ يجب ملاحظة "**الذيل والتكملة**" ج 8، ص 345، ط 1984.

[30]- لم يبق من هذا المصحف المكتوب حتى الإستقلال إلا أربع أجزاء من هذا المصحف المكتوب في 10 أجزاء، يتعلق الأمر بالأجزاء 4 و 9 و 10 وجزء آخر غير مشار إليه، ورأينا الجزء 7 معروضا في خزانة المتحف البريطاني في لندن. وتجدر الإشارة إلى أن تقسيم القرآن إلى 10 أجزاء قليل الانتشار، فعادة ما يعد الكتاب المقدس اثنا عشر جزءا كل واحد منها في خمسة أحزاب.

[31]- يتعلق الأمر بمسجد ابن يوسف في مراكش.

[32]- "دوفردان""Deverdin": Deux taḥbis almohades، مجلة هسبريس، ص 416، سنة 1954.

النوع في الصفحة الأولى من الجزء الرابع من مصحف "ربعة"[33] من حجم كبير، الذي لم يبق منه إلا هذا الجزء الموجود حاليا في مكتبة مسجد بن يوسف في مراكش.

تلك كانت أقدم صيغ وقف المخطوطات التي نتوفر عليها اليوم في المغرب، وهي تعود إلى القرن (6هـ/13م).

وقد تكاثرت المكتبات العمومية مثلها مثل المساجد الكبرى والجوامع والمدارس والزوايا تقريبا في كل مكان في المغرب في نهاية القرن (13) وبداية القرن (14). وكان الوقف تقريبا هو العنصر القانوني الوحيد والمعتاد الذي تعتمده مؤسساتهم، وحافظ على خدمة الكتب فيها. وبمجرد الانتهاء من تشييد أحد هذه المؤسسات ذات الطابع العمومي، كان الواقفون يعلنون تحبيسها على طلبة العلم ابتغاء وجه الله العظيم. ومازالت واجهة العديد من هذه الخزانات العمومية تحتفظ بتقييد الوقف نذكر على سبيل المثال صيغة التحبيس المنقوشة على أسكفية مدخل مكتبة القرويين والتي كتبها السلطان المريني أبو عنان مؤسس هذه الخزانة: «... لقد جعل هذه الكتب أيده الله لفائدة جميع المسلمين. هذا التحبيس دائم، حتى يوم الأبدية، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها رغبة في نشر دراسة العلم المجيد وارتقائه من أجل أن تنتشر المعرفة ومانحة لكل من يهمه الأمر تسهيلات للمطالعة والنسخ»[34].

ولعل خزانة مدرسة الصفارين التي شيدها وحبسها الأمير المريني يوسف أبو يعقوب خير مثال على ذلك؛ فقد وقف هذا الأمير المؤلفات التي تنازل عنها الملك "كاستلان دوسانش" على هذه المكتبة العمومية أثناء السلم الذي انتهى إليه هذان العاهلان سنة 1285م[35]. وتم تطبيق نفس أسلوب الوقف في مكتبات المدارس التي أسسها الخليفة المريني أبو الحسن، وهذا ما قاله صاحب المسند في هذا السياق: «جعل أبو

---

[33]- ربعة: هذه الكلمة تدل في الأصل على صندوق يضم أجزاء القرآن، لكنها تدل فيما يلي على هذه الأخيرة. ينظر "**دوزي**" "Dozy (R)" Supplément aux dictionnaires Arabes، ج 1، ص 503.

[34]- ألفردبيل ""A.Bel": Inscription de Fès ص 156.

[35]- ابن أبي زرع: "**القرطاس**"، ص 525 من الترجمة.

الحسن وقفا في مختلف المؤسسات (المدارس) مجموعة من الكتب الثمينة والمؤلفات المفيدة: وكان هذا سبب وراء ازدهار العلم وارتفاع عدد العلماء خلال فترة حكمه»[36].

إن كل الملوك تقريبا الذين توالوا على عرش المغرب، وخاصة العلويين قد حبسوا المخطوطات والمجموعات وفي بعض الأحيان المكتبات برمتها على كل مسجد أو مدرسة بنيت في عهدهم والأمثلة على ذلك كثيرة، وسنرى فيما يلي، أن هؤلاء الملوك ابتغاء لوجه الله، واقتداء سنة نبيه، حبسوا المخطوطات والمصاحف على الأماكن المقدسة في الإسلام.

كما أن مكتبات الزوايا التي هي النوع الثالث من الخزانات العمومية كانت دائما تستفيد من تحبيس المخطوطات، فقد شكل التحبيس دائما أحد العناصر الهامة لإغناء المؤسسات الدينية، وقد أشرنا في الفصل المخصص لتلك الخزانات إلى مبادرة شيوخ الزوايا والجمعيات الدينية لإغناء هذه المكتبات بالكتب، فقد حبست في الغالب مجموعات ورثت لفائدة هذه المكتبات من طرف شيوخ الدين المعروفين بعلمهم ابتغاء وجه الله. وتضم خزانة زاوية تمكروت، على سبيل المثال، العديد من النماذج. نستنتج من كل هذه المعطيات، أن وقف المخطوطات قد ظهر بالفعل، في عهد الموحدين ووصل قمته في الفترات الموالية، خاصة ابتداء من المرينيين.

لكن ماذا عن وقف المخطوطات وتنظيمها؟

II- بنية وقف المخطوطات

1. مختلف أنواع الوقف

1.1. أصناف الأفراد الو اقفين

بعد استعراضنا لعدد كبير من الوقفيات الموجودة في الأوراق الأولى من المخطوطات المحبسة والمحفوظة إلى يومنا هذا في مختلف المكتبات المغربية. استخرجنا منها مختلف أنواع الوقف التي

[36]- ابن مرزوق: "**المسند الصحيح**"، هسبريس، ص 70 سنة 1925، فالمدارس التي أسسها العاهل المريني جديدة ومتفرقة في مختلف المدن المغربية، فحسب الونشريسي بنى هذا العاهل مدارس في تونس، مرفقة بخزانات حبس فيها عددا من المخطوطات. ينظر "**المعيار**" ج 7، ص 335. ونشير إلى أن هذا الملك هو الذي وقف المؤلف الشهير لابن رشيد "**البيان والتحصيل**" الذي أنجزه كله على الرق (جلد الغزال) على مدرسة عدوة الأندلس سنة 728هـ

سنحددها في خمسة أنواع، ألا وهي: الوقف الملكي، والوقف الخاص، والوقف الإسترعائي، والوقف المعقب، وأخيرا الوقف، على أرواح الموتى.

1.1.1. الوقف الملكي

لقد رأينا بأن أقدم أوقاف المخطوطات التي وصلتنا هي الأوقاف الملكية فالملوك المغاربة منذ الموحدين إلى العلويين المعاصرين لم يدخروا أي جهد من أجل تحبيس الكتب على المؤسسات العلمية من أجل أن يستفيد طلبة العلم منها فائدة كبيرة، ذلك أن التراث الذي حبسوه على المكتبات العمومية كبير، فحسب قول ابن مرزوق، فقد حبس العاهل المريني أبو الحسن مجموعات قيمة لفائدة مكتبات المدارس التي شيدها في مختلف المدن المغربية مثل فاس وتازة ومكناس وسلا وطنجة وسبتة وأزمور وآسفي ومراكش وأغمات والقصر[37]. وقام بنفس الشيء أبو عنان فقد حبس تقريبا في كل المساجد والمدارس التي شيدها في عهده مخطوطات قيمة. وقد رأينا أن هذا الملك كان قد زود خزانة القرويين بعدد من المخطوطات اختارها من مكتبته الشخصية.

وبالفعل، فالعديد من المخطوطات التي حبسها الملوك تحمل صيغة التملك باسمهم، والأمثلة على ذلك عديدة[38]. كما أن خزانة القرويين وبعد أن أعاد بناءها الخليفة السعدي أحمد المنصور في نهاية القرن (16م) أوقف عليها مخطوطات قيمة من ضمنها مصحف من ذهب[39]، أنجز خصيصا لهذا الأمر، فكثيرة هي الكتب التي حبسها هذا الخليفة على القرويين وعلى خزانات كتب أخرى عمومية في المملكة.

وقد حبست الدولة العلوية الحالية مجموعة من الكتب على المكتبات العمومية، حبس الجزء الأكبر منها السلطان محمد بن عبد الله (1790/1204م)، فقد وقف هذا الملك مكتبة جده الملك المولى

---

[37]- ابن مرزوق: "**المسند الصحيح**"، هسبريس ص 71 سنة 1925.

[38]- تحتوي مكتبة القرويين نسخة من "خريدة القصر" للأصفهاني التي حبسها الخليفة السعدي المنصور، وعلى الورقة الأولى من الجزء 6 توجد علامة التملك باسم الذهبي، ونشير إلى أن المخطوطات التي حبسها الملك قد تحمل صيغة التملك باسم مالك آخر، وقد حبست نسخة من "**الشفاء**" لعياض المحفوظة في القرويين تحت رقم 254 على الخزانة السابقة الذكر من طرف الملك العلوي عبد الله بن إسماعيل. ويوجد في أعلى الورقة الأولى صيغة التملك في اسم أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمان المزكيطي، ينظر "**فهرس القرويين**" ج 1، ص 264.

[39]- مازال هذا المصحف موجودا في القرويين.

إسماعيل على مكتبات كل مساجد الدولة، تقريبا، بغية نشر العلم بين رعيته. وإلى حين الاستقلال لم يكن هناك، تقريبا، مسجد لا يضم مصحفا أو مخطوطا متضمنا لصيغة التحبيس واسم السلطان محمد الثالث.

ولازالت بقايا أوقاف هذا الملك محفوظة اليوم في المكتبات العمومية والعامة في المملكة، وفيما يلي الصيغة التي سجلها محمد بن عبد الله في أحباسه « تعلن أحباسا كل الكتب الإسماعيلية التي كانت توجد في الخزانة الصغيرة في مكناس والتي عددها اثنا عشر ألف مجلد، فهذه الكتب محبسة على كل خزانات المساجد في المغرب»[40].

حظيت مكتبات الزوايا باهتمام علماء الدين والملوك المغاربة أيضا؛ فخزانة تمكروت تضم مخطوطات حبسها الملك العلوي محمد بن عبد الله، كانت على ما يبدو تعود إليه [41].

لم يكن الوقف الملكي حكرا على المكتبات العمومية داخل المغرب، فقد كانت عادة الملوك أن يحبسوا الكتب القيمة، خاصة المصاحف على الأماكن المقدسة في الإسلام، نذكر على سبيل المثال، المصحف الذي أنجزه الخليفة المريني أبو الحسن في ثلاث نسخ، وحبسه على ثلاثة أماكن مقدسة كبرى وهي مكة والمدينة والقدس، فالوقفية الموجودة في الورقة الأولى من كل نسخة أعاد نسخها لنا بالكامل الوردي (المتوفي سنة 750ه) في كتابه التاريخ[42]. وتضم تلك الأماكن المقدسة أيضا مجموعات قيمة حبسها الخليفة السعدي المنصور الذهبي، ونذكر أخيرا أحباس الملك العلوي مولاي عبد الله بن إسماعيل على هذه الأماكن المقدسة نفسها وكان يوجد ضمن المجموعة الوافرة التي بعث بها لتوقف على مسجد المدينة مصحف عقبة بن نافع صحابي الرسول (ص) وفاتح المغرب.

---

[40]- فيما يتعلق بتقسيم مخطوطات المكتبة الإسماعيلية يجب الرجوع إلى الزياني: "**البستان**" مخطوط المكتبة الملكية تحت رقم 242. "**الترجمان الكبرى**"، ص 12، ط 1967، "**الإستقصا**" للناصري ج 4، ص 159. "**الأتحاف**" لابن زيدان ج 3، ص 185. و"ألفردبيل" "**برنامج القرويين**" Catalogue de la Qarawiyyin، ص 9- 10 طبعة 1918.

[41]- "ليشيوني" Les Fondations pieuses « habous » au Maroc : Luccioni، ص 57.

[42]- ابن الوردي، "**التاريخ**"، ج 2، ص 348.

هذا المصحف استنسخه عقبة بن نافع من مصحف الخليفة الراشدي عثمان بن عفان. ويحدث أخيرا أن يحبس الملك مخطوطا سبق وأن كان موقوفا على خزانة معينة، وهذا ما يجعله يحمل وقفيتين في صفحة الوقاية، فقد لوحظت هذه الظاهرة بشكل خاص في المؤلفات التي حبسها ملوك القرن (19م). لقد كانت غاية هؤلاء علمية تتيح توزيع مخطوطات الخزانة العمومية بين علماء المملكة والاحتفاظ بعدد منها لأنفسهم، وكانت المخطوطات التي يتوفر عليها الملوك تحبس من جديد على نفس المكتبات.

2.1.1. الوقف الخاص

بالرغم من أن الوقف الخاص لم يكن دائما في مستوى الوقف الملكي، فلا تخلو خزانة عامة من مخطوطات حبسها الخواص، فالوقفيات الموجودة في صفحات المخطوطات المحبسة تمثل كل الفئات المختلفة للوطن المغربي ابتداء من أصحاب الرتب العليا في الدولة إلى الأشخاص الأكثر فقرا، فالوقف بالنسبة للأفراد المحسنين وسيلة جيدة للتقرب من الله وتحقيق أمنياتهم[43]. ويمكن أن تكون المخطوطات المحبسة مصحفا[44] للقراءة أو مجموعة من الكتب أو نصف خزانة أو ثلثيها أو حتى خزانة كتب برمتها. وتضم الحوالات أو مجموعة العقود المتعلقة بتراث الأحباس العديد من الأمثلة من هذا النوع[45].

لقد كانت ممارسة الوقف الخاص عملة رائجة، وتشهد على ذلك الأمثلة القليلة، فقد أخبرنا صاحب "الجذوة"[46] أن الأمير المريني أبا محمد عبد الله الطريفي شيد مكتبة المسجد الكبير لسوق فاس وزودها بوقف من الكتب الثمينة، وبقيت بعض المخطوطات من تلك المجموعة إلى يومنا هذا[47].

كما شيدت مسعودة الوزكيطية أم العاهل السعدي المنصور مسجد باب دكالة، وجهزته بوقف مكون من مجموعة هامة من الكتب التي يوجد جزء هام منها اليوم في القرويين، وفي مكتبة ابن يوسف في

---

[43]- تحمل وقفية بعض المصاحف المتمنيات بارتزاق الأطفال يضعها زوجين عقيمين.

[44]- تبقى النماذج من القرآن المحبسة للمطالعة الأكثر توفرا في المغرب.

[45]- تحتوي "الحوالة" المارستانية المحفوظة في المكتبة العامة في الرباط في الميكروفيلم رقم 160 نماذج ثلثي 3/2 الخزانات المحبسة على مسجد أو مدرسة أو حتى مارستان.

[46]- ابن القاضي، "**الجذوة**"، ص 289.

[47]- من بين هذه المؤلفات: "**المنتقى**" للباجي (متوفي سنة 494) وكتاب "**الجامع في السنن**" لابن أبي زيد القيرواني محفوظ في القرويين تحت رقم 172 و 645. هذا الأخير حبسه الطريفي على خزانة المسجد الذي بناه في فاس، ينظر: "**فهرست القرويين**" ج 2، ص 225.

مراكش. ونذكر أيضا تحبيس كتب للا فاطمة الزهراء بنت الملك الحسن الأول على خزانة القرويين[48]. ومن بين المخطوطات المحبسة من تلك المجموعة التي كانت تضم 273 مجلد[49] يوجد كتاب "اختصار النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام"[50] لابن هارون الكتاني (المتوفي سنة 750هـ)[51] و "شرح الحكم"[52] لابن عطاء الله الذي قام به ابن عياد الرندي[53].

وعلاوة على تحبيس الأمراء والأميرات، فالعلماء[54] والتجار والموظفون[55] لم يفتهم أن يحبسوا كتبهم على مختلف المكتبات العمومية، ولعل ما تبقى من المؤلفات المحبسة هو دليل على ذلك.

3.1.1. الوقف الإسترعائي[56]

يشكل الوقف الإسترعائي كل مؤلف اعتبر محبسا على خزانة معينة دون أن يكون مرفقا بوقفية تؤكد ذلك. ويدخل في إطار الوقف الإسترعائي أيضا كل مخطوط أو مجموعة من الكتب تم اقتناؤها بواسطة أموال منحدرة من ثروة موقفة على خزانة معينة.

ويتم تسجيل هذا النوع من الوقف عموما أمام عدلين أو موثقين يوقعان فيشرعان بذلك الوقف. وتكون وقفية هذا النوع من الوقف بشكل عام موجزة، ونذكر على سبيل المثال وقفية مصنف الملك محمد بن عبد الله الموقفة بالوقف الإسترعائي «الحمد لله، هذا المؤلف المبارك واحد من الكتب التي حبسها مولانا الإمام سيدي محمد ابن عبد الله أمير المؤمنين الحسني العلوي لفائدة طلبة العلم»[57].

---

[48]- الفاسي: "**الخزانة العلمية**" ص 28، ينظر أيضا "**الدرر الفاخرة**" ص 969 و 968، ينظر أيضا "**جامع القرويين**" ص 669.

[49]- الفاسي: "**فهرست القرويين**"، ج 2، ص 508.

[50]- محفوظ في القرويين تحت رقم 838.

[51]- الكتاني هو أحد شراح المختصر لابن الحاجب المتوفي سنة 647هـ

[52]- محفوظ في القرويين تحت رقم 839.

[53]- هذه المجموعات التي حبستها الأميرات هي دليل على إسهام المرأة المغربية في وقف الكتب وقد حبست نساء أخريات مثل عائشة بنت المدني الحمومي مجموعات قيمة، ينظر "**الخزانة العلمية**" ص 28.

[54]- حبس الجزء 1 من كتاب حسن نتائج الفكر للزرقاني على مكتبة القرويين الفقيه الصغير الطالبي، وحبس الجزئين 3 و 4 الشرايبي. ينظر "**فهرست القرويين**" ج 1، ص 424 و 425.

[55]- حبس الجزء 7 من كتاب "**البيان والتحصيل**" لابن رشد على مكتبة القرويين التاجر عبد الوهاب السكريج سنة 1162هـ، واحتفظ بها تحت رقم 329.

[56]- الفعل "استرعى" انحدر من الجذر الأصلي راعى وتعني طلب الانتباه، الاعتناء بشيء معين، مراعاة شيء معين، ففي تحبيس الأشياء الجامدة يسمى هذا الوقف "استثناء من السيادة". ينظر أيضا: "**ميلوت**" L.Milliot: Introduction à l'étude du droit Musulman، ص 633 طبعة 1953م.

[57]- توجد الوقفية في الورقة الأولى من كتاب الأجوبة لابن سحنون، ينظر: الفاسي، "**الخزانة العلمية**"، ص 64.

ويذكر أيضا المصاحف المحبسة على ضريح الملوك المرينيين في المدينة الأثرية شالة، فعدد من تلك المصاحف لا يحمل الوقفية، فقد باشر النظراء بحضور العدول الوقف الإسترعائي لتحبيسها على هذا الضريح أو على خزانة أخرى عمومية.

وفيما يخص الكتب التي تم شراؤها بواسطة أموال منحدرة من ثروة خصصت لفائدة مكتبات معينة، فقد طبق عليها النظراء الوقف الإسترعائي، ونذكر على سبيل المثال التحبيس الإسترعائي لكتاب "البيان والتحصيل"[58] لابن رشد (المتوفي سنة 520هـ) على المكتبة الأحمدية في فاس. ويحمل وجه الورقة الأولى الوقفية التالية «تشهد صيغة التحبيس أن هذا المؤلف قد وقف على الخزانة الأحمدية [59] حرسها الله لفائدة الطلبة، هذا المؤلف اشتري بالمال المحبس للناظر الفقيه سيدي العربي بن عزيز الأندلسي». على غرار النوعين للوقف المذكوران، فقد كان الوقف الإسترعائي وافر في المغرب، فعدد المخطوطات المحبسة في إطار هذا النوع من الوقف كبير في المكتبات العمومية المغربية.

4.4.1. الوقف المعقب

نجد في صيغة التحبيس أن عبارة الوقف المعقب مختلفة عن الوقف الشرعي أو العمومي. فإذا كان تعليق الثروات فوري ومباشر وبدون أي قيد، فالأمر يتعلق بالتحبيس العمومي وإذا كان الشخص الواقف يحتفظ بمنفعة الثروات الموقفة على أشخاص معنيين، فالأمر يتعلق بالتحبيس المعقب أو تحبيس العائلة. وبعبارة أخرى، إن العقد التحبيسي على مؤسسة دينية أو جمعية خيرية بشكل مباشر وبدون وسائط يسمى "تحبيسا"، والتحبيس الذي يستفيد من مجموعة من الوسائط قبل أن يصل إلى المؤسسة الدينية التي هي آخر وسيط يسمى "التعقيب"[60]، مثله في ذلك مثل وقف العقارات، فالتعقيب يمارس في ميدان تحبيس الكتب، وتضم المكتبة الصبيحية في سلا حاشية الأمير علي بن عبد الباقي على شرح

---

[58]- مؤلف من ستة أجزاء لصالح مكتبة القرويين تحت رقم 372.

[59]- المكتبة الأحمدية في اسم أحمد بن سودة هي خزانة عائلة بن سودة وسميت أيضا الخزانة السودية، وتوجد اليوم في درب الكباص في فاس.

[60]- "ليشيوني" Les Fondations pieuses : Luccioni ، ص 14، ينظر أيضا "ميشوبلير" Michaux- Bellaire "الثروات المحبسة وثروات المخزن" " Les Biens habous et les Biens du Makhzen" في "مجلة العالم الإسلامي" .R.M.M ، ع 5، 1908م.

الزرقاني لمختصر خليل الذي يوجد في جزءه الأول الوقفية التالية «أوقف هذا المؤلف الشيخ المالكي علي مصطفى الدردير لفائدة ابنه الشيخ محمود ثم إلى أخيه الأصغر حسين ثم إلى ذريتهم وذرية ذريتهم جيلا بعد جيل. وبعد انقراضهم يحبس المؤلف برواق طلبة الصعايدة بجامع الأزهر»[61].

وفيما يخص تنفيذ هذا الوقف في المغرب، يكفينا الإشارة إلى الأمثلة الثلاثة التالية؛ حبس العلامة والكتبي المحنك الملك العلوي سليمان كثيرا من الكتب القيمة على مكتبات عمومية متنوعة[62]. وبعد موت معلمه العالم والعلامة أبو عبد الله محمد ابن عبد السلام الفاسي (المتوفي سنة 1214م)، اشترى الملك مولاي سليمان بماله الخاص مجموعته الغنية والثمينة من المخطوطات وجعلها وقفا على أبناء الفاسي بشرط أن ينتفع بها ذريتهم وحدهم وأصبحت مجموعة المخطوطات محبسة على خزانة القرويين[63]. وتوجد صيغة التحبيس التي أثبتها وأكدها المولى سليمان في الورقة الأولى من كتاب " تفسير الجلالين"[64]، وهو كتاب في التفسير ألفه جلال الدين السيوطي وجلال الدين أبي محلي في القرن 15م.

ومثالنا الثاني هو تفسير جسوس أبو عبد الله محمد بن قاسم (المتوفي سنة 1182هـ) على المختصر للدكتور المالكي الشيخ خليل (المتوفي سنة 767هـ). هذا المخطوط الأصلي في تسعة أجزاء حبسه الكاتب نفسه على أبنائه، هذه هي صيغة التحبيس الموجودة في الجزء 3 من المؤلف «هذا الشرح حبسه الفقيه، العلامة سيدي محمد ابن سيدي قاسم جسوس على أولاد أولاده وأولاد أولادهم إلى آخر واحد من ذريتهم. فإن انقرضوا يجب أن يرجع هذا المؤلف إلى خزانة القرويين وقفا مخلدا لمن يريد قراءته من الطلبة ويبقى

---

[61]- الخزانة الصبيحية، مخطوط محفوظ تحت رقم 651.

[62]- شيد المولى سليمان مكتبة مسجد الرصيف في فاس وزودها بنفائس الكتب، وتوجد هذه الكتب محفوظة اليوم في القرويين، ومازالت تحمل صيغة التحبيس هذا الملك.

[63]- تجدر الإشارة إلى أن الوقف المعقب يشبه الوقف الاسترعائي الذي درسناه سابقا. إذ يعلن القاضي أو الناظر في حصر خلف الشيخ الفاسي وبحضور العدول، هذه المجموعة محبسة على خزانة القرويين.

[64]- هذا المخطوط الذي أنجز بيد ابن عبد السلام الفاسي والذي يحمل وقفية تعود إلى 1214هـ للملك مودع بمكتبة القرويين تحت رقم 40/17. ينظر أيضا "**الخزانة العلمية**" 57.

إلى أن يرث الله الأرض وما عليها وهو خير الوارثين»[65]. صيغة هذا التحبيس سجلها الواقف بنفسه في نهاية شهر رجب سنة (1982 م)[66].

ويتعلق مثالنا الثالث والأخير بالجزء الثامن من كتاب "حلية الأولياء"[67] لأبي نعيم (المتوفي 430هـ)، المبتدئ من الجزء الثاني من سيرة ابن محيزر والمنتهي بسيرة كعب الأحبار. وتوجد صيغة التحبيس التالية في وجه الورقة الأولى «هذا المؤلف حبس على الكرسي الذي يوجد قرب محراب جامع الأندلس، والمسؤول عن هذا التحبيس الإمام أبو زكرياء يحي النقري، خطيب هذا الجامع، وإذا عاقه عائق يرجع هذا المؤلف لخزانة القرويين» وفي أسفل الورقة توجد فقرة للموثقين تشهد على وقف هذا المؤلف[68].

5.1.1. الوقف على أرواح الموتى

يندرج وقف الكتب ضمن أعمال الخير، فهو يعوض بالأجر وأبعد من ذلك ينسب إلى الأعمال الدينية، وهو أيضا قابل لأنه يتم باسم الآخر ومن أجل سعادته الأخروية. فقد أوقف أمير المؤمنين الموحدي عمر المرتضى "ربعة" قرآنية مهداة إلى روح إحدى نسائه أم ابنه الأمير إسحاق. ونقدم ترجمة حرفية للنص الموجود في الورقة الأولى:

أ- البسملة والتصلية، ب- حبس هذا القرآن المبارك الشريف سيدنا ومعلمنا الخليفة الإمام أبو حفص عمر المرتضى أمير المؤمنين ابن سيدنا ومعلمنا الأمير الظاهر إبراهيم ابن سيدنا ومعلمنا الخليفة الإمام ... أعانه الله وآزره ووفقه للوصول إلى هدفه الشريف! تحبيسا دائما الذي صيغته توجد بالجزء الأول على الشكل التالي: «حبس هذا القرآن الشريف الخليفة على روح أم ابننا إسحاق رحمها الله وهداه إلى الصراط المستقيم ما دام قبر أمه على العتبة الثمينة لرحمته... وحبس هذا القرآن على من أراد تلاوته بحضور واعظين... جعلنا الله العلي ممن يحظون بنعمه التي وعد بها المتقين!، والله العظيم مستجيبا عند

---

[65]- ذكر قرآني، سورة 21 الآية 89.

[66]- هذا المخطوط مودع في القرويين تحت رقم 457.

[67]- تضم "الحلية" 800 ترجمة من تراجم المبجلين.

[68]- تاريخ تقييد الوقف غير مقروء، فالمخطوط مودع تحت رقم 194، ينظر "**فهرس القرويين**" ج 1، ص 205 و 209.

طلبه. كتبت هذه الكلمات اليد الهالكة لعبد الله العلي، أمير المؤمنين!" يعود العقد إلى صفر (650هـ/1252م)[69].

تلك كانت مختلف أنواع الوقف[70] التي عايناها من عدد من الوقفيات التي استطعنا استخراجها، ويجب الآن أن نحدد محتويات المؤلفات المحبسة وأن نوضح الأسباب التي كانت وراء وقف المخطوطات.

2.1. طبيعة المؤلفات المحبسة

سبق أن قلنا، إن الكتاب المثالي في نظر المسلمين في المغرب كما في باقي الأقطار الإسلامية والمفروض أن يشكل عندهم نواة كل مكتبة هو، بالتأكيد القرآن، فقد كان القرآن هو أول كتاب يحبس على المساجد دون أن يحدد الواقفون المسلمون الأوائل طبيعة هذا التحبيس، فبفضل القرآن فتح الباب لتحبيس الكتب على مختلف المؤسسات العلمية الإسلامية هذا ما جعل المصحف الشريف يكون دائما على رأس المجموعات الموقوفة. ويبدو أن المغاربة لم يخالفوا القاعدة المتبعة من طرف أسلافهم المشارقة، فقد كانت كل مجموعات المخطوطات التي يحبسها الملوك المغاربة تضم أولا نسخا من القرآن التي كانت غالبا بيد كبار الخط العربي. وسبق أن أشرنا إلى أن الملك العلوي مولاي عبد الله بن إسماعيل حبس مجموعة من المخطوطات على مسجد الرسول(ص) في المدينة على رأسها مصحف عقبة بن نافع صحابي رسول الإسلام (ص)[71]. وأشرنا أيضا إلى أن العاهل المريني أبو الحسن حبس ثلاثة مصاحف على ثلاث أماكن مقدسة في الإسلام ونعني بها مكة والمدينة المنورة والقدس، فبالنسبة لمصحف القدس فقد عاينه ووصفه الموسوعي المغربي أحمد المقري في القرن (11هـ/17م)[72].

وأرسل عاهل مريني آخر وهو أبو يعقوب يوسف إلى المدينة سنة (703 هجرية) مصحفا مرصعا بالأحجار الكريمة توخيا لتحبيسه هناك، فقد كانت عادة المغاربة أن يوقفوا نسخا من القرآن على كل

---

[69]- "دوفران" Deux taḥbis Almohades : Deverdun في مجلة هسبريس ص 412 و 413 سنة 1954.

[70]- هناك نوع آخر من وقف المخطوطات يسمى وقف الوصية في المغرب لكنه نادر، ويقوم على أن الواقف يحبس خزانته على مسجد أو مدرسة، شرط أن التحبيس لا يدخل في التنفيذ إلا بعد وفاته، وهو في النهاية نوع من الهدايا أو الهبات المزاولة في أوروبا.

[71]- الناصري: "**الاستقصا**"، ج 2، ص 4، ينظر أيضا الكتاني "**المكتبات الإسلامية**" ص 20، مخطوط الخزانة العامة رقم 3002/5 وحسب الكتاني فقد أرسل الملك مولاي عبد الله 23 مصحف إلى مكة والمدينة.

[72]- المقري: "**نفح الطيب**" ج 4، ص 149، طبعة 1968.

خزانة جديدة عمومية تم افتتاحها. والمثال على ذلك وقف المريني أبو عنان والسعدي أحمد المنصور[73] غداة بناء وإعادة بناء مكتبة القرويين في القرن (16/14م)[74].

وتأتي بعد المصاحف كتب التفسير وأحاديث الرسول والفقه، وهذا ما يظهر من أغلب لوائح المؤلفات المحبسة وصيغ الوقف التي تمكنا من الوقوف عليها في مختلف المكتبات العمومية والخاصة في المملكة، ونذكر على سبيل المثال بعض اللوائح التي وقفها الملك محمد بن عبد الله في القرن (18م) على خزانة كتب المسجد الكبير في طنجة أثناء توزيع المكتبة الملكية الإسماعيلية: قائمة المؤلفات منحها سيدي محمد بن عبد الله للمسجد الكبير، ومن ضمن كتبها "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي (911ه)، و"سيرة ابن إسحاق" و"الشمائل" للترمذي، و"الشفاء" لعياض إلخ... القائمة 4: وتضم بالإضافة إلى نسخ من القرآن، "تفسير الجلالين" و "الشمائل" للترمذي إلخ...

وتأتي في المرتبة الثالثة مؤلفات النحو والأدب وفقه اللغة وكتب الشروح وكتب النجود والنقد تسمى كتب الحواشي[75]، والأمثلة على هذا النوع من الوقف عديدة، ولم تكن تحبس كتب العلوم إلا نادرا بالمقارنة مع مؤلفات العلوم القرآنية والدينية؛ وهذا راجع في رأينا إلى سببين أساسيين؛ الأول، هو ندرة مؤلفات العلوم النظرية في المغرب، فهذه العلوم، كما نعلم، لم تكن تلقن بما فيه الكفاية كما كان عليه الأمر بخصوص العلوم الدينية، وهذا ما أشار إليه المقري في كتابه "أزهار الرياض"[76]. والسبب الثاني، بكون نظرة المسلمين لوقف المؤلفات العلمية لا يسمح بالوصول إلى الفضل والعفو المنشودين من طرف الواقفين[77]. وفي هذه الحالة، فالمؤلفات الدينية التي تتعلق بالإيمان والآخرة هي وحدها القابلة، في نظر

---

[73]- لازالت مكتبة القرويين تحتفظ دائما بنسخة من القرآن، كتبت فيها أسماء الله بالذهب وأنجزت خصيصا لكي تحبس على الخزانة السابقة الذكر أثناء افتتاحها من طرف المنصور الذهبي في سنة 1011ه.

[74]- دشن العاهلان الأماكن الجديدة لهاته المكتبة بتزويدها بوقف مخطوطات مختارة من مكتباتهم الملكية الخاصة وكانت المصاحف المذهبة على رأس هذه المجموعات.

[75]- ليس هناك تقريبا أي مؤلف للفقه أو الحديث لم يلحق بحاشية، وعددها يعد بالآلاف في الخزانات المغربية.

[76]- المقري: "**أزهار الرياض**"، ج 3، ص 26.

[77]- لقد علمنا أن الملك محمد بن عبد الرحمان استدعى في القرن 19 كل العلماء واستخرج من خزانات المساجد كل المؤلفات التي لم تكن تعالج مواضيع دينية. ينظر "**رونو**" "J.Renaud" Un prétendu Catalogue في هسبريس 1934، ج 18، ص 79.

الجماعة الإسلامية، لأن توقف، فمن أجل سعادتهم الأخروية تنافس الملوك والأمراء والعلماء والأغنياء والفقراء في وقف الكتب وخاصة الكتب الدينية.

2. تنظيم وقف المخطوطات

1.2. تنفيذ وقف المخطوطات

1.1.2. المبادئ

يرتكز إنجاز تحبيس المخطوطات على مبدأين أساسيين؛ ونعني بهما احترام رغبة الواقف وتنفيذ بنود صيغة الوقفية حرفيا، كما أنه لا يمكن تغيير رغبة الواقف، فحسب بعض الفقهاء، لهذه البنود مكانة النص القانوني. فأغلب صيغ التحبيس التي استعرضناها تضم الجملة التالية: «هذا المخطوط محبس على هاته المؤسسة أو تلك، ومن يغيره فقد عادى الله، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»[78].

وفيما يخص بنود التحبيس، فيجب أن تنجز حرفيا، مطابقة لرغبة الواقف فإذا استثنى هذا الأخير ما حبسه من المخطوطات من الإعارة، فلا يجب أن تخرج تلك الكتب من المكتبة. وفي بعض الأحيان يتيح عقد التحبيس، إعارة الكتب مقابل رهن تذكاري، كما هو الحاصل في وقفية ابن خلدون المقيدة في الجزء الثالث من تاريخ البرابرة المحفوظ في القرويين. فهل تم احترام تلك المبادئ دائما في المكتبات المغربية؟

بالرغم من الموقف المتشدد للفقهاء تجاه التنفيذ الحرفي لرغبة الواقف وبنود وقفه، يحدث في بعض الأحيان لهؤلاء الفقهاء أنفسهم أن يتخذوا قرارا مخالفا لقرار الواقف نذكر من ضمن العديد من الأمثلة مثال صيغة التحبيس، تمنى فيها الواقف ألا تراجع الكتب المحبسة إلى الواحد تلو الآخر، وبأنه لا يسمح بإخراج كتابين في آن واحد، وقرر المفتي أنه حينما يظهر الواقف رغبته بعبارات قابلة للتأويل فيجب البحث في نواياه والتصرف كما يتصرف هو إذا رجع إلى الحياة.

[78]- سورة الشعراء، الآية 228، ترجمة "Melle Masson".

بعد الأخذ بعين الاعتبار نوايا الواقف السابق يصدر الفقهاء فتوى بمراجعة مؤلفين دفعة واحدة من طرف طلبة جديين وجديرين بالثقة[79]. وتمت ملاحظة نفس الحالة بخصوص وقفية طلب فيها الواقف ألا يستخدم المؤلف المحبس إلا للقراءة والمراجعة، وقد سمح الفقهاء متبعين في ذلك نوايا الواقف بنسخ المؤلف المحبس.

وعلاوة على هذه الحالات التي درسها الفقهاء، تجدر الإشارة إلى أن المكتبات المغربية تضم مخطوطات تحمل تحبيسين أنجزهما شخصان في فترتين مختلفتين. فالوقفية الثانية غير شرعية قانونا، ومع ذلك فإن الفقهاء لم يحذفوها بحجة أن رغبة وبنود الواقف الأول لم تحترم. فنذكر على سبيل المثال الجزء التاسع من كتاب مفاتيح الغيب[80] للرازي (المتوفي سنة 606ه) توجد على الورقة الأولى من هذا المؤلف صيغتين من التحبيس: وضع الأولى الفقيه الوزير أبو الحسن بن أحمد المريني على خزانة جامع "رندة" في فاس سنة (741ه). وأسفل الورقة توجد وقفية أنجزها أبو عبد الله محمد بن فرج المراكشي في 24 صفر (906 ه)[81]. ولم تؤخذ بعين الاعتبار إلا بنود الوقفية الأخيرة.

فما هو الإجراء القانوني المتبع في وقف الكتب حاليا؟

2.1.2. الإجراء القانوني

يجب على الواقف ومن أجل أن يكون وقف مخطوط أو مجموعات من الكتب شرعيا أن يتبع إجراء يبدو أنه لم يتغير منذ بداية وقف المخطوطات في المغرب. وبعد استعراض العديد من الوقفيات، نلاحظ أن ثلاثة أشخاص هم المؤهلون لاستقبال المجموعات المحبسة ونعني بهم الحاكم أو القاضي والناظر أو المنظم للثروات المحبسة وأخيرا القيم أو المكتبي. فالواقف أو ممثله يذهب إلى هؤلاء الأشخاص ليعهد إليهم بالمخطوطات التي يرغب في تحبيسها على هذه المؤسسة أو تلك، وهذا بحضور عدلين أو موثقين ليكون

[79]- الونشريسي، "**المعيار**"، ج 7، ص 340.

[80]- فهرست القرويين، ج 1، ص 48.

[81]- فهرست القرويين، ج 1، ص 48.

الوقف شرعيا. ويحضر في بعض الأحيان هذا الحدث شاهد أو العديد من الشهود المحترمين يتم اختيارهم في أغلب الأوقات من أعيان المدينة.

وإذا لم يحضر هؤلاء الشهود فإن صيغة التحبيس التي يحملها هذا المخطوط تظل دون جدوى[82]، فالتحبيس، إذن، موكل به إلى القاضي أو الناظر أو القيم، ولإعطاء مثال على ذلك نستعرض بعض بنود الوقف موضحة للحالات الثلاثة، توجد في خزانة القرويين نسخة من كتاب الجامع الكبير للسيوطي في ست مجلدات الذي يحمل الجزء الرابع منه صيغة التحبيس التالية: «جعل السعديين رضي الله عنهم قاضي فاس ليكون في مكتبة الجديدة للقرويين»[83].

فالخلفاء بوجه خاص هم الذين يعهدون بتحبيساتهم إلى القاضي، لأنه يحدث لهذا الأخير أن يكون مكلفا من طرف الملك بالإشراف ومراقبة عمل محافظ الخزانة. وهكذا، فقد عين الملك العلوي عبد الرحمان بن هشام القاضي عبد الهادي بن عبد الله ابن التهامي العلوي ليساعد قيم القرويين في مهمته[84]. وفي هذا الإطار أيضا أرسل السلطان العلوي الحسن الأول ظهيرين إلى قاضيي فاس محمد العلوي المدغري وحامد بناني يحثهما على المساعدة في إعادة تنظيم مكتبة القرويين بتعاون مع القيم والناظر[85].

وحينما كان يعجز الملوك عن القيام بإجراءات لوقف المخطوطات نظرا لمسؤولياتهم كانوا يكلفون عنهم أحد ممثليهم. فالنائب يكون في أغلب الأحيان هو القاضي، فعند وقف المخطوطات يحضر القاضي رفقة شهود، فحضور الشهود يعطي مصداقية للوقف ويعتبر كاملا في غياب الواقف. فهؤلاء الشهود يدلون بشهادتهم "إشهاد".

ويحدث أيضا أن يعين الملك القاضي أو الناظر للقيام بالإجراءات لوقف المخطوطات وتضم إحدى لوائح المؤلفات التي حبسها على المسجد الكبير في طنجة السلطان محمد بن عبد الله المقطع التالي: "لقد أرسل الكتب المذكورة السلطان، ووضعت لائحتها تنفيذا للأمر الشريف، ونفذ ذلك القاضي أيت التايدي والناظر

---

[82]- يحدث أن تحمل صيغة التحبيس وتوقيع العدول وشهادة شهود محترمين وفي بعض الأحيان تحمل عنصرا دون آخر والأمثلة على ذلك عديدة.

[83]- الفاسي: "**الخزانة العلمية**" ص 49. ينظر أيضا "**فهرس القرويين**" ج 1، ص 26.

[84]- الفاسي: "**الخزانة العلمية**"، ص 71.

[85]- المرجع نفسه، ص 72- 73.

مفرج"[86]. وقد يكون نائب الملك أديبا أو فقيها في خدمة البلاط، فالجزء الأول من "شرح الخطاب على مختصر الخليل" يحمل الوقفية التالية: «حبس الملك محمد بن عبد الله العلوي شرح الخطاب في ثمانية أجزاء على خزانة ضريح أبي العباس السبتي تحبيسا دائما إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهذا بالتبادل مع كتاب الأغاني في ثمانية أجزاء الذي أخذه الملك من المكتبة المذكورة. فالسلطان كلف الفقيه العلامة سيدي عبد العزيز بن حمزة لإرجاعه بمحضر الشهود إلى قيم الخزانة في شهر ذي القعدة سنة (1280هـ)»[87].

وحبس الملك مولاي سليمان كتاب نسيم الرياض على مسجد الرصيف في فاس وأناب عنه العلامة سيدي الحبيب بن عبد الهادي السجلماسي[88]. ولم يكن الملوك هم وحدهم الذين يناب عنهم في تحبيس المخطوطات، فالشخصيات البارزة توكل من ينوب عنها هي بدورها من يمثلها للقيام بهذا العمل. ويضم الجزء الثالث من كتاب "المنتقى" المحفوظ في القرويين وقفية على خزانة مسجد الرياض في فاس[89]، وقد كتب الوقفية السابقة الذكر نائب أرسله الوزير المريني عبد الله الطريفي.

وتعهد أيضا المؤلفات المحبسة إلى ناظر المدينة أو مدير المسجد الذي يضم الخزانة المعنية بالوقف. كما عهد السلطان العلوي مولاي سليمان بكتاب نسيم الرياض الذي وقفه على خزانة كتب مسجد الرصيف لناظرين مكلفين بإدارة المسجد، يتعلق الأمر بالفقيه سيدي محمد بن المرحوم محمد بن عبد الرحمن الدلائي والفقيه سيدي الطيب بن الخياط برادة[90]. وحبس نفس العاهل كتاب "التاج والإكليل" لمختصر خليل للعبدري المواق (المتوفي سنة 897هـ) على خزانة كتب مسجد الرصيف في فاس. وأعيد المؤلف المحبس إلى الناظر على الجامع الحاج عبد النبي بن الحاج الواحد في 21 رمضان من سنة (1214هـ)[91].

أما بالنسبة للمؤلفات المحبسة التي عهد بها مباشرة إلى محافظي المكتبات، فهي عديدة، وسنكتفي هنا بذكر كتاب "عمل من طب لمن حب" لابن الخطيب السلماني الذي حبسه على مكتبة القرويين السلطان العلوي مولاي إسماعيل، فالمخطوط حسب الوقفية عهد به إلى القيم أو المحافظ على المكتبة[92].

---

[86]- ميلار "Maillard": Bibliothèque de la grande mosquée de Tanger، في "**مجلة العالم الإسلامي**""R.M.M"، ج 2، ص 355، سنة 19/1918.

[87]- الخزانة الصبيحية، مخطوط رقم 23.

[88]- الفاسي: "**الخزانة العلمية**"، ص 65.

[89]- فهرس القرويين، ج 1، ص 176.

[90]- الفاسي: "**الخزانة العلمية**"، ص 65.

[91]- فهرس القرويين، ج 1، ص 408.

[92]- الفاسي: "**الخزانة العلمية**"، ص 65.

إن دراسة عدد من الوقفيات قد مكننا من تسجيل الملاحظات التالية: كانت تعهد إلى الناظر المؤلفات المحبسة على الجامع المكلف به مدير الثروات المحبسة. أما فيما يخص المؤلفات الموقوفة على المكتبات العمومية، خاصة الجوامع، كان يعهد بها غالبا إلى القيم أو المكتبي.

ولننظر الآن إلى شكل ومحتوى الوقفيات المكتوبة على المؤلفات المحبسة.

2.2. طرق تدوين وقف المخطوطات

1.2.2. شكل الوقفية

تمثل الوقفيات في أشكال مختلفة ابتداء من الوقفية الكاملة إلى الوقفية المختزلة، فالوقفية الكاملة تضم العناصر التالية: صيغة الوقف واسم الواقف والمكتبة وشروط الوقف وصيغة الحظر وتاريخ الإيداع. وبعد ذلك يوجد إشهاد الشهود، وموافقة العدول أو الموثقين، وأخيرا الإثبات الأصلي للتحبيس في أعلى الورقة وأسفلها التي تحمل صيغة الوقف.

وصيغ الوقف الكاملة المعروفة التي أنجزها الملوك المغاربة ونذكر منها على سبيل المثال: الوقفية المسجلة على الجزء الرابع من كتاب الجامع الكبير للسيوطي (المتوفي سنة 911هـ) الذي أوقفه الملك أحمد المنصور على جامع القرويين. وهذا نصها: « بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسوله الكريم، مولانا إما منا خليفة الله على الأرض وكافل الأمة الإسلامية القوي بالسيف وصاحب الفتوحات وإمام أهل الأرض أبو العباس المنصور، أمير المؤمنين ابن الخلفاء الراشدين حفظه الله للإسلام والأمة ... حبس هذا المؤلف المعنون "الجامع الكبير" للسيوطي في ست مجلدات على طلبة العلم على خزانة القرويين بفاس حماها الله! هذا المؤلف لا يطلع عليه إلا داخل قاعات المطالعة داخل الخزانة ومن يغير هذه البنود بعد أن سمعها سيعاقبه الله وهو سائله يوم القيامة ... هو تحبيس دائم وأبدي دون أن يلغى ابتغاء وجه الله، حرر في شهر ذي القعدة سنة (1008هـ)».

ويوجد في الهامش الأعلى للورقة الشهادة الأصلية للمنصور تؤكد صحة التحبيس[93]. أما في هامش الورقة أو الهامش الذيل فقد كتب ما يلي: «بحضور شاهدين[94] أعهد بالمؤلف لقاضي فاس الذي أخذه لإيداعه بالمكتبة». ووقع العدلان في الأسفل[95]. يضم هذا العقد تقريبا، كل عناصر الوقفية الكاملة.

وفيما يتعلق بالوقفية الأكثر اختزالا فإن الواقف يكتفي فيها بذكر العناصر الأساسية لكي تكون مقبولة هذه العناصر حسب "الدسوقي" هي صيغة الوقف وتعيين المستفيدين منه ومكان الإيداع[96].

غير أن الواقف يبقى حرا في أن يمدد أو يختزل الوقفية، وهو حر أيضا في اختيار الشهود العيان الذين يكون عددهم غير محدود.

وهناك نصوص تضم توقيع ثلاثة شهود شأن النص الموجود في الورقة الأولى من كتاب "القول المعتبر في حل ألفاظ المختصر"[97] للعجماوي. وفي بعض المؤلفات لا يوجد إلا توقيع واحد ويغيب هذا التوقيع في مؤلفات أخرى.

وفيما يخص العدول فمن المبدئي أن يكون هناك عدلان، وهناك صيغ لا تشير إلا إلى عدل واحد مثل ذلك الذي كتبه الوزير المريني الطريفي على كتاب المنتقى المحبس على المسجد الجديد والذي انتهى إلى القرويين وهو محفوظ تحت رقم 172[98] وتفتقد صيغ التحبيس الأخرى إلى إشهاد العدول.

أما فيما يخص صيغة الحظر، فهي توجد في أغلب المؤلفات المحبسة وهدفها الوقاية من ضياع الكتب، فبعض الواقفين يتساهلون ويسمحون بإخراج المؤلفات المحبسة ولكن مقابل رهن تذكاري، كما فعل ابن خلدون في الوقفية التي توجد في بداية الجزء الخامس من كتاب العبر المحبس على القرويين[99].

---

[93]- توجد الشهادة الأصلية للملوك السعديين في رأس الصفحة بينما توجد شهادة الملوك المرينيين والعلويين في أسفل الصفحة.

[94]- كلمة "شاهد" ليست واضحة يمكن أن تشير إلى العدول أو تشير إلى مجرد شاهد عيان.

[95]- الفاسي: "**الخزانة العلمية**"، ص 49.

[96]- الدسوقي: "**حاشية على شرح الدردير**" 4 ص 71، ينظر أيضا العش "**المكتبات العربية**"، ص 312.

[97]- مخطوط محفوظ بالقرويين تحت رقم 455.

[98]- المؤلف هو أبو الوليد الباجي المتوفى سنة 494 هـ ينظر "**فهرس القرويين**" ص 176.

ونلاحظ أخيرا، أن أغلب صيغ التحبيس تضم العبارة التالية: «حبس هذا المخطوط على طلبة العلم أو الباحثين في العلوم». فالمؤلفات التي تحمل هذه العبارة هي في الغالب تلك التي تم توقيفها على المكتبات العمومية الملحقة بمراكز التدريس مثل الجوامع أو المدارس أو الزوايا. ويظهر جليا أن الواقفين كانوا يحصرون وقف مخطوطاتهم على الراغبين في العلم قصد إبعاد الفضوليين والجهلة الذين كانوا يتظاهرون بالعلم، واكتفى واقفون آخرون بذكر كلمة "تحبيس" دون الإشارة إلى طبيعة القراء. كان هذا التحبيس لفائدة كل المسلمين ويوجد هذا النوع بوجه خاص على المصاحف أو على الكتب القديمة المخصصة لمكتبات المساجد.

ويبدو لنا من المفيد في ختام هذا الفصل، أن نشير إلى سلبيات الوقف وإيجابياته بالنسبة للمكتبات المغربية، فكما هو الأمر بالنسبة للدول الإسلامية الأخرى فقد شكل وقف الكتب في المغرب عائقا أمام تطور الفن أو تقنية الفهرسة، وحينما نعلم أن الخزانة المجاورة لحكم الثاني (ت 366هـ) في الأندلس كانت تتوفر على أربعة وأربعين فهرسة، تضم كل فهرسة عشرين ورقة لم يدرج فيها إلا أسماء الآثار الضخمة[100]، حتما سنعتقد أن تقنية الفهرسة كان يجب أن تعرف وتتطور في المغرب لكي تسهل مطالعة الكتب، كتب العش «مع الأسف الشديد فإن تطور هذا الفن الذي وصل إلى نسبة حقا تستحق التقدير أحبطت بالمبدأ القطعي للوقف الذي كان يربط فهرسة الكتب برغبة الواقفين»[101]، فالكثير من قوائم الجرد الصغرى التي أسست بشكل مستقل تشكل الرأسمال العالي لمكتبة القرويين[102].

ورغم هذا العائق فإن وقف المخطوطات له مع ذلك صفات وإيجابيات قيمة تساهم في تأسيس وتطوير المكتبات العمومية في المغرب، ويجب القول بأن الثروة الأساس لهذه الخزانات تنحدر من الوقف الأصلي للواقفين الذين وابتغاء وجه الله ساهموا بشكل واسع في تطوير وإغناء المؤسسات العلمية. فالمجموعات

---

[99]- لم يبق اليوم إلا المجلدات 3 و 5 وحدها من بين 7 مجلدات من تاريخ العبر، أهداها ابن خلدون إلى خزانة القرويين على شكل تحبيس. ويؤكد المقري في الجزء 4 من "**نفح الطيب**" أنه رأى المؤلف كله في هذه الخزانة. ويبدو أن المؤلف بقي كله إلى القرن 19م، وكان "دوهامسو" أول أوروبي يشير إليه كله حسب "ليفي بروفانصال" L.Provinçal. ينظر "**الصحيفة الأسيوية**" Journal asiatique، 1923.

[100]- ابن خلدون: "**العبر**" IV ص 146. ينظر أيضا "**نفح الطيب**" ج 1، ص 326، ط 1949.

[101]- العش: "**المكتبات العربية**" Les Bibliothèques Arabes، ص 324.

[102]- من المؤسف أن فهارس الخزانة قد أنجزت انطلاقا من هذه القوائم بدون أي منهج ولا أي ترتيب.

المنحدرة من التحبيس كانت تنتمي إلى أشخاص كل طبقات المجتمع المغربي. ومن صفات تلك الصيغة أن أهم المكتبات الخاصة لم نتعرف عليها إلا في طريق المؤلفات التي حبسها أصحابها، فنحن لم نعرف خزانة الأميرة مريم بنت العاهل المريني محمد إلا من خلال مصحف أنجز لخزانتها وحبس على الخزانة العمومية ويوجد هذا المصحف اليوم محفوظا في المكتبة العامة في الرباط تحت رقم (ج 656).

يجب القول، بالإضافة على هذه الميزة، أن دراسة الوقفية ستكون ذات فائدة كبيرة بالنسبة للمختص في علم المخطوطات، خاصة فيما يتعلق بتاريخ المخطوطات غير المؤرخة، فإذا كان علم المخطوطات اليونانية والعبرية قد تطور، فإن علم المخطوطات العربي لم يتطور بعد، فالحاجة ماسة اليوم إلى دراسة علمية وتطبيقية لصيغ الوقف وذلك قصد حل عدد من مشاكل تنظيم علم المخطوطات المرتبطة بالمخطوطات العربية[103].

[103]- لقد أحدث قسم داخل معهد البحث وتاريخ النصوص التابع للمركز الوطني للبحث العلمي في فرنسا لدراسة علم المخطوطات العربية.

الوراقة والمكتبات

I- الوراقة:

1. الوراقة: تعريفها ووظائفها

إن مصطلح وراقة هو مصطلح عربي مشتق من الجذر "ورق" وتعني ورق، والوراقة تعني تصفح كتاب معين، والوراق هو الذي يعنى بالكتب، وهو المعنى الاشتياقي للكلمة. وقد أخذت "الوراقة" مع الزمان مفهوما واسعا للغاية، فقد كانت تعني أولا: صناعة الورق وكان الوراقين حسب ابن النديم تجارا للكتب[1]. فالوراق هو تاجر الكتب وكان ابن النديم حسب ما قال مترجموه وراقا يبيع الكتب. والوراق هو أيضا الذي يقرأ مؤلفا صفحة صفحة في حلقة دراسية. ويعني الوراق أيضا الناسخ.

يخبرنا البكري أن العديد من الوراقين كانوا في قصر الخليفة الإدريسي يحيى الرابع يعلمون في نسخ الكتب[2]، ولعل التعريف الذي يبدو لنا كاملا وأكثر دلالة هو الذي قدمه العلامة ابن خلدون في مقدمته يقول: «هكذا تشكل فن المكتبات، بالذين يعملون على نسخ المجلدات وتصحيحها وتجليدها، ويهتمون أخيرا بكل ما يتعلق بالكتب والمصنفات، فهو فن مميز جدا في المدن الكبرى حيث كانت الحضارة جد متقدمة[3]». فالوراقة أو فن المكتبات[4]، تتمحور، إذن، حول نسخ المؤلف وتصحيحه وتجليده، وبالجملة

---

[1]- ابن النديم : "**الفهرست**"، ط 1870، ص 21.

[2]- البكري: "**المسالك والممالك**"، ص 132.

[3]- ابن خلدون: "**المقدمة**"، ص 268.

[4]- كلمة "مكتبي" لا تتضمن كل ما يتضمنه مفهوم المصطلح العربي "وراق".

فن صناعة الكتاب. وسنحاول أن نقف على كل واحد من هذه المصطلحات الجوهرية الواردة في مفهوم الوراقة الذي قدمه ابن خلدون.

1.1. النساخة

كانت النساخة أهم العناصر الرئيسية في الوراقة، ففي أي وقت بدأ المغاربة ينسخون المخطوطات؟ وما هو الخط الذي اعتمدوه؟ وما هي مواد هذه الكتابة؟

إن هذه الأسئلة هي التي يجب الإجابة عنها من أجل تحديد الدور الذي لعبته النساخة بشكل خاص، والوراقة بشكل عام، في تطور المكتبات المغربية، فمنذ نهاية القرن الثالث للهجرة أصبحت النساخة مزدهرة، وكانت من المهن التي يمتهنها الناس، فالناسخ في تلك الفترة لم يتميز عن الناسخ الروماني أو عن الناسخ العربي. وسبق أن أشرنا إلى ما أخبر به البكري من كون الخليفة الإدريسي يحيى الرابع (ت 305 هـ) كان له نساخ يعملون في نسخ المخطوطات[5]. ولم يصلنا أي اسم من أسماء هؤلاء النساخ، وفي المقابل تعرفنا على أشخاص لقبوا بلقب الوراق وعاشوا في هذه الفترة مثل محمد بن يوسف الوراق (ت 363هـ/1973م)[6].

أما فيما يخص نسخ المخطوطات، فقد كان ينجز عموما في أوراش الوراقين أو في حجرات مخصصة لهذا الأمر، وهي ملحقة بالمكتبات الملكية والعمومية وسميت هذه الحجرات في البلدان الأخرى منتسخ أو "سكربتريوم"، وكانت النساخة تتم بشكل فردي أو جماعي، وكان في أغلب الأحيان يشار إليها في الخاتمة إذا لم يكن المخطوط مبتور النهاية.

وعموما، فالمخطوطات المنجزة للخواص والعلماء والأدباء وآخرين كان ينسخها ناسخ واحد، أما فيما يخص المخطوطات المنجزة لفائدة مكتبة ملكية أو عمومية أو لفائدة مولع بالكتب كان ينسخها في أغلب الأحيان نساخ كثيرون في نفس الوقت.

---

[5]- البكري: Description de l'Afrique Septentrional، ص 255.

[6]- كان من أوائل من كتبوا حول تاريخ المغرب، ولم نتوصل إلا بأجزاء من كتاباته، ينظر بخصوص حياته وآثاره، ابن حزم "**فضائل الأندلس**".

كانت تتميز الطريقة الثانية التي تتمحور حول النسخ الجماعي والآني لمخطوط معين بكونها تمنع التغييرات الخطيرة والأخطاء المرتكبة حينما تكون النساخة بيد ناسخ واحد، فالناسخ هنا كان أقل اهتماما بجودة النسخة المنجزة بالمقارنة بربحه المالي، فهو كان يميل في الغالب إلى العمل السريع، كما أن هذا المشروع الجماعي وفر أحسن الشروط للإكثار من النسخ بدون تحريف للنص الأصلي حتى وإن تعلق الأمر بمؤلف أثري، وقد قام به اليونانيون سابقا تحت اسم "باسيا" "Peciae"، ودخل إلى أوروبا عبر الجامعة انطلاقا من بداية القرن 13، وذلك من أجل مراجعة المؤلفات الضرورية لبحوث الأساتذة والمتمدرسين، وألا يتسرب إليها أي خطأ من شأنه تشويه المعنى.[7]

فالنسخ الجماعي "باسيا" مكن الجامعة أيضا من اتقاء التأملات المفرطة من قبل الناسخين المأجورين، وعدم إحداث تغييرات على النموذج أي المخطوط الأصل الذي كانوا يرغبون في نقله إلى نسخ كثيرة. فالنسخ الجماعي أو "باسيا" الذي انتشر سواء في العالم القديم أو في العصر الوسيط، لم يكن معمولا به كثيرا عند العرب، الذين كانوا يلجؤون إليه بشكل خاص لنسخ موسوعات الكتب التي كانت طبيعتها وحجمها الكبيران يتطلبان العديد من النساخ في نفس الآن. يخبرنا ابن أبي أصيبعة أن "تاريخ دمشق" لابن عساكر (ت 571هـ/1175م) أنجزه عشرة نساخ في ثمانين مجلدا استوعبت المؤلف بعد سنتين من العمل[8].

وكان النسخ الجماعي في المغرب يمارس إلى جانب النساخة الفردية، ولوحظ ذلك بوجه خاص في المؤلفات المنجزة سواء لفائدة المكتبة الملكية أو لفائدة خزانة الزوايا، ونذكر على سبيل المثال مؤلَفَين نَسخ كل واحد منهما عدد من النساخ في نفس الآن؛ كتاب البيان والتحصيل لابن رشد (ت 520هـ/1120م) أنجزه أربعة نساخ في عشرين مجلدا بعناية الملك محمد بن عبد الله[9].

---

[7]- "مارتن" H.J.Martin: "ظهور الكتاب" l'Apparition du livre، ص 25. وبخصوص النسخ الجماعي يجب العودة إلى مؤلف "دستري" J.Destrez: النسخ الجماعي في المخطوطات الجامعية في القرن 13 و 14، باريس 1935.

[8]- ابن أبي أصيبعة: "**تاريخ الحكماء**" ج 2، ط 1882، ص 236.

[9]- هذا المخطوط محفوظ في الخزانة الملكية تحت رقم 1556.

وأخبرنا الزياني[10] أن أمير المسلمين مولاي سليمان دعاه لكي ينسخ له كتاب "الترجمان المعرب في دول المشرق والمغرب" الذي اعتبره جديرا بأن يكون في مكتبته الخاصة، واجتمع مجموعة من النساخ من ضمن الطلبة[11] لنسخه، وبمجرد ما أنهي المؤلَف وجلد أعطي للملك[12]. ورغم أن المخطوط لا يوجد إلا في مجلد واحد فقط، فإن الزياني نسخه في نفس الوقت بواسطة مجموعة من النساخ وذلك استجابة لرغبة السلطان في أقرب وقت ممكن، وفي أن يعيد إليه نسخة صحيحة بدون أخطاء.

وكان النسخ الجماعي "باسيا" يمارس في الغالب في خزانات الزوايا. وقد رأينا بأن إحدى الأصول الأساسية لمجموعات هذا النوع من المكتبات العامة ينحدر من النسخ الفردي أو الجماعي، ويحدث في بعض الأحيان أن ينسخ شيخ الزاوية مؤلف عن طريق العديد من طلبته، وتضم مكتبات الزوايا الكبرى في المغرب مجموعة من المؤلفات المنجزة عبر النسخ الجماعي، ونذكر على سبيل المثال، مخطوط محفوظ بخزانة الزاوية العياشية الذي يحمل متنه الصيغة التالية: « أنجز هذا المخطوط بواسطة ثلاثة عشر شخصا من بينهم كاتب هذه السطور عمر بن محمد بن أبي بكر سنة (1080هـ)»[13].

وإذا كان المغاربة قد أولوا كثيرا من الأهمية للنسخ الجماعي "باسيا" فإنهم مع ذلك لم يهملوا النساخة الفردية. وعلاوة على النساخ المحترفين[14]، فقد كان العلماء والأدباء وخاصة الملوك، يرسمون[15] بأيديهم القرآن الكريم والمخطوطات المرتبطة بالعلوم الدينية تيمنا بذلك.

ويبدو أنه من المستحيل حصر لائحة بأسماء النساخ، ومع ذلك سنذكر أسماء البعض ممن اشتهر منهم ونبدأ بالملوك[16]، فقد سبق أن أشرنا إلى أن الخليفة الموحدي عمر المرتضى نسخ بيده مصحفا في عشرة أسفار، والذي حبسه على مكتبة ابن يوسف في مراكش في القرن 13، ونسخ هذا الخليفة أيضا

---

[10]- الزياني: "**الروضة السليمانية**"، مخطوط المكتبة العامة، د 1275، ص 190.

[11]- تجدر الإشارة أن مهنة الوراقة التي كانت مربحة للغاية، منعت عددا من الطلبة من تتبع دراستهم.

[12]- نسخة من هذا المؤلف محفوظة على شكل مخطوط في المكتبة العامة تحت رقم د 658.

[13]- مخطوط محفوظ في مكتبة هذه الزاوية تحت رقم 505.

[14]- كانت مهنة الناسخ في القديم ذات اعتبار ومكانة مرغوب فيها، فصاحب "**الإحاطة**" يخبرنا أن محمد العبدري الغرناطي المتوفي في سبتة سنة 753هـ، كان ناسخا ويعيش من مهنته بل إنه جمع منها ثروة. ينظر ابن الخطيب: "**الإحاطة**"، ج 2، ص 95.

[15]- يجب التمييز بين الخط والرسم، فالرسم يتعلق بانتساخ القرآن: نقول "رسم القرآن"، أما فيما يخص الخط فهو يشير إلى الخط العربي.

[16]- أشير إلى عدد كثير من النساخ في مؤلفات الحضارة والتراجم مثل: "**التكملة**"، و"**القرطاس**"، و"**الدخيرة**"، و"**الجذوة**"، و"**بغية الوعاة**"، و"**نيل الابتهاج**"، و"**الإعلام**"، وكثير من المؤلفات الأخرى.

"الموطأ" للإمام مالك في مجلدين[17]. ونسخ الخليفة المريني أبو الحسن هو أيضا ثلاثة مصاحف حبسها على الأماكن المقدسة في الإسلام[18]، وكان ابنه أبو عنان خطاطا ماهرا، وحسب البقني[19] كان يساعد أباه على نسخ النص القرآني المذكور، ويعود له الفضل في نسخة كتاب " الأحاديث الأربعينية من رواية الخلافة العلوية " الذي ألفه ابن مرزوق الجد لأجل العاهل أبي الحسن، ولازالت هذه النسخة ذات الكتابة البهية والاعتناء الجيد وعناوين فصولها الملونة، توجد في المكتبة العامة في الرباط تحت رقم د 3582، وهي تعتبر من أرقى الأعمال، ونموذجا للخط المغربي في تلك الفترة[20].

وقد التزم الملوك المغاربة بتشغيل خيرة النساخ، فقد وظف الخليفة الإدريسي يحيى الرابع نساخا جاء بهم من الأندلس، وعهد الخليفة الموحدي عبد المومن بمهمة القيم إلى العلامة ابن الصقر، وكان هذا الأخير، حسب مترجميه، خطاطا ماهرا ورقاقا بارعا. ويخبرنا صاحب "الدرر الفاخرة" أن الملوك العلويين كانوا غالبا مقربين من الوراقين الذين كانوا من خيرة الكتاب والنساخ في نفس الوقت، وكان المولى إسماعيل يختار أفضل النساخ لينسخوا له المؤلفات المهمة[21]، ووظف الملك محمد بن عبد الله عدد مهم من الوراقين لنسخ المخطوطات النادرة من أجل أن يوقفها على خزانة القاهرة، والإسكندرية والمغرب، ومن بين المؤلفات التي أمر بنسخها كتاب "العبر" لابن خلدون و "وفيات الأعيان" لابن خلكان، و "الأغاني" للأصفهاني، و "نفح الطيب" للمقري[22].

وجمع الملك محمد بن عبد الله في قصره العديد من النساخ لينسخوا له كتب الحديث بشكل خاص، وكان يجعلهم يشتغلون تحت إشراف كاتبه العلامة محمد غريط،[23] ويذكر ابن زيدان أن الملك

---

[17]- تنظر الصفحة 47 من هاته الدراسة.

[18]-من المحتمل جدا أن هذه المصاحف قد انتهت إلى إستانبول من ضمن الكثير من نفائس المخطوطات الأخرى.

[19]- البقني: "**مختصر الإحاطة**"، مخطوط المكتبة العامة 2 الصحيفتان 23- 24، د 1582.

[20]- بنشقرون: "**الحياة الفكرية في عهد المرينيين**"، ص 41.

[21]- ابن زيدان: "**الدرر الفاخرة**"، ص 40.

[22]- ابن زيدان: "**الأتحاف**"، ج 3، ص 251.

[23]- ابن زيدان: "**الأتحاف**" ج 3، ص 367، وتجدر الإشارة إلى أن الملك مولاي حفيظ قد بنى "بنيقة" في قصره في فاس للنساخ ومن بينهم محمد بن علي الدكالي السلاوي المتوفى سنة 1364هـ ينظر "المتوني": "**دور الكتب**" ص 25.

الحسن الأول لم يكن يبتعد أبدا عن مجموعة من النساخ، وأرسل وراقين مغاربة إلى إستانبول وإلى إسبانيا لتعلم فنون الوراقة والتخصص فيها[24].

ولم يفوت الأمراء المنتمين للسلالات المغربية المختلفة هم أيضا المساهمة في نسخ المخطوطات، ونكتفي بذكر الأمير الوطاسي محمد بن محمد ابن زيان الوطاسي كمثال على ذلك، فقد أنجز هذا الأمير نسخة "لصحيح البخاري" في أربع مجلدات، ونسخ أيضا نسخة من "الشفاء" لعياض (المتوفي 544هـ)، كلا المصنفين محفوظ في خزانة القرويين[25].

وفيما يخص العلماء وكبار الشيوخ الذين كانوا ينسخون المخطوطات، يكفي أن نذكر كمثال على ذلك العلامة أبو القاسم العبدوسي الذي كان ينسخ مؤلفات الحديث والفقه بشكل خاص. فحسب الكتاني فقد نسخ بيده "صحيح البخاري" في ثمان نسخ، و "صحيح مسلم" في تسع نسخ، وكثيرا من الكتب الأخرى مثل كتاب "الشمائل" للترمذي و "الشفاء" لعياض[26].

وكيفما كانت الطريقة التي اعتمدها الناسخون المغاربة في نسخ المخطوطات، فمن الملاحظ أنهم حاولوا دائما إنجاز نسخ صحيحة بأقل ما يمكن من الأخطاء والتغييرات الممكنة، وعلاوة على نظام المقابلة الذي كان مشهورا في المغرب: فالقاعدة التي كان يجري بها العمل عند العلماء المغاربة كانت: "أكتب وقابل وإلا اطرح في المزابل" والتي تعني حرفيا: أكتب وقابل وإلا اطرح في المزابل. في الواقع فإن مراقبة المقابل ضروري لإنجاز نسخة جيدة، فقد كتب اليوسي « يجب على الناسخ أن يكون مرفوقا بالمقابل ويجب أن تكون المخطوطات خاضعة لنظام المقابلة»[27].

لقد كانت مهنة النساخ مهمة جدية ويراقبها رجال السلطة، فلم يكن من حق المختصرين أن يدرجوا مع هيئة النساخ الذين كان لهم نقيب في فاس، فبعض الخطاطين شكلوا مدرسة وكونوا تلامذة. وهكذا تكونت مشيخة الخط في مسجد الشرفاء في مراكش التي كان فيها عبد العزيز السجتاني (المتوفى حوالي

---

[24]- ابن زيدان: "**الدرر**"، ص 40.

[25]- "ألفردبيل" A.Bel: "فهرست القرويين" Catalogue de la Quarawiyyin، ص 7.

[26]- الكتاني عبد الحي: "**فهرست الفهارس**"، ج 2، ص 377.

[27]- اليوسي: "**القانون**"، ملزمة 24، ص 4.

999هـ/1591 م) أول أستاذ[28]، وقد كان شاعرا مثقفا، ويعرف جيدا الخطوط المغربية والأندلسية والشرقية التي كان يدرسها للطلبة حسب قواعد محددة[29]. فالنساخة كانت إذن إحدى المهن التي كان يمكن للطلبة أن يتعلموها لكسب معيشتهم[30].

لقد تدهورت في القرن (11هـ) مهنة النساخة، فالنساخ لم يكونوا يقومون بوظيفتهم على أحسن وجه، فالعلامة الكبير في ذلك القرن علي اليوسي دعا رجال السلطة لإقامة الحسبة على النساخ من أجل مراقبة نوعية عملهم ومقارنة الرواتب المنشودة والعمل المنجز يقول: «نحن اليوم بحاجة إلى أكثر مما مضى إلى إقامة نظام الحسبة على الناسخين، وأن المحتسبين اهتموا بلبن لا يزاد فيه ماء، بوزن خبزة لا ينقص منها قيراط ولكنهم أهملوا مجال الكتب أساس الدين وأصل كل شيء»[31].

وأخيرا نقول أن المخطوطات المنجزة في المغرب عبر مر الزمان لم تكن مزودة لا بالترقيم ولا بضبط الصفحات، على غرار زملائهم المشارقة، فلم يكن النساخ المغاربة يرقمون صفحات المخطوطات الأمر الذي يجعل الأبحاث طويلة وشاقة، فهم يضعون فقط التعقيبة أو يكتبون في أسفل ظهر كل ورقة أول كلمة من الورقة الموالية[32]. وكانوا يعتمدون نظام الملازم أو الدفتر، تتكون كل ملزمة من أربع صفحات، وتكتب عناوين المؤلفات أو الأبواب بالخط الكوفي، وترفق بزخارف ملونة[33]. فالمصاحف مذهبة وأسماء الله مكتوبة بماء الذهب[34].

هكذا كانت النساخة التي تعد عنصرا مهما ضمن الوراقة، فماذا عن الخط الذي اعتمده النساخ؟ وما هي المواد المستعملة بالنسبة لهذه الكتابة؟

---

[28]- بخصوص ترجمته ينظر ابن القاضي: "درة الحجال"، ج 3، ص 131.

[29]- حجي (محمد): "**الحياة الفكرة في عهد السعديين**" أطروحة ج 2، ص 490.

[30]- صنف صاحب "المختصر الفريد" النساخة من بين المهن المحمودة مثل الخياطة والتجارة والنجارة والمهن الأخرى الكريهة التي لا يجب على الطلبة أن يزاولوها وهي الجزارة، والدباغة، والنسيج، والحلاقة: ينظر حجي: "**الحركة الفكرية في عهد السعديين**" ج 1، ص 130.

[31]- اليوسي: "**القانون**"، ملزمة 24، ص 4.

[32]- آخر المخطوطات المؤرخة، علاوة على التعقيبة إما مرقمة أو مضبوطة الصفحات.

[33]- سوف لن نشغل بزخرفة الكتب، الموضوع الذي لم يكن يتعلق بالمكتبات.

[34]- لم يجمع الفقهاء على كتابة اسم الله بماء الذهب، فقد اعتبره البعض منهم عملا مكروها.

2.1. الخـط

عرف الخط العربي في المغرب مع الفتح الإسلامي، فالشعوب البربرية التي تخلت كليا عن استعمال خطها الوطني، ولم تكن قد اعتمدت قط كتابة إحدى الشعوب التي استولت على بلدها على مختلف العصور، قبلت بدون صعوبة الخط العربي[35]. ولم يتبق تقريبا أي شيء من مخطوطات القرون الأربعة الأولى من الهجرة، إذ يصعب علينا أن نعطي فكرة عن نوع الخط الذي اعتمده النساخ المغاربة في هذه الفترة. وقد أكد ابن الحوقل (المتوفي 367هـ/977م) أن الخط المغربي قد تعرض لنوع من التحسين في القرن الثاني من الهجرة، ولم يوضح لا طبيعة ولا شكل هذا الخط[36]. ولاحظ ابن خلدون في مقدمته أن خط القرون الأولى في المغرب كان أولا خطا مشرقيا قبل أن يأخذ مظهر الخط الكوفي والخط النسخي اللذين اعتمدهما القيروانيين في تونس[37].

ولم يبق أي نموذج من الخط النسخي، فأقدم الأمثلة تعود إلى الفترة المرابطية، أما فيما يخص الخط الكوفي فلم يصلنا منه إلا مثالان فقط ويتعلق الأمر بالكتابة المأخوذة من العملات النقدية في المغرب في عهد الأدارسة والكتابة التي اكتشفت حديثا على أروقة مسجد القرويين، والمنقوشة بأمر من الإمام داود بن إدريس في (263هـ).

وينضاف إلى هذين الخطين المعمول بهما في المغرب، نوع ثالث يسمى "الخط الأندلسي"، ويتعلق الأمر بخط من أصل كوفي اعتمده عرب إسبانيا، وانتشر هذا الخط الأندلسي في المغرب في عهد المرابطين والموحدين[38]، هاتان الدولتان أرضخت إسبانيا المسلمة إلى حكمها، ونتج عن ذلك تعاون واسع بين هاتين الدولتين، فكثير من الأدباء قدموا للاستقرار في المغرب بينما توافد مغاربة آخرون على إسبانيا.

ولم يتبن المغرب خطا وطنيا سمي بالخط المغربي إلا في القرن (14 م)، في عهد المرينيين.

---

[35]- على غرار المصرية فإن البربرية لغة سامية، ومميزاتها كانت عشرة وأخذت بعض الخصائص من اللغة المصرية. وفي نظر البرابرة فإن حروف ألفبائيتها هي من وحي الله وليست من ابتكار البشر. وأسموها "تيفيناغ" التي تعني بالبربرية "حروف منحدرة من الله" ينظر علي الدبوز: "**تاريخ المغرب الكبير**"، ط 1964.

[36]-ابن حوقل: "**صورة الأرض**"، ص 82. ويوضح ابن حوقل فيه أن صالح بن طارق البورغواطي كان خطاطا بارعا.

[37]- ابن خلدون: "**المقدمة**" ج 2، ترجمة "مونتوي" V.Monteil ص 846.

[38]- أنجزت أغلب المخطوطات التي تعود إلى هذه الفترة بخط أندلسي.

1.2.1. الخط المغاربي

كان الخط المغاربي هو الخط المعتمد في دول إفريقيا الشمالية وإسبانيا، وسمي هكذا بسبب شكله المختلف عن شكل الخط المسمى شرقيا، ويحتمل أن الحرف المغاربي ظهر في أثناء القرن الرابع الهجري، وسيتلقى الخط الكوفي الذي بقي مستعملا إلى هذه الفترة تغيرات لكي يصبح خطا مغاربيا[39]، وحسب ابن خلدون فإن ظهور هذا الخط الجديد[40] يعود إلى الأندلسيين الذين طردوا من إسبانيا، واستقروا في إفريقيا الشمالية، ويمكن أن يكون الخط الأندلسي إذن هو أصل الخط المغاربي.

وبالنسبة "لهوداس" لم تكن هذه الفرضية مقبولة، فليس هناك سبب معقول لكي يشتق واحد من الآخر بشكل مباشر، فالخطان ينحدران من نوع واحد مشترك فقط هو الكوفي، ويدينان بالتشابهات الواردة بينهما إلى هذا الأصل المشترك، يكتب هوداس: «إن التأثير الذي مارسه مسلموا الأندلس على فنون المغرب جعل ابن خلدون يعتقد أن الخط المغاربي أخذ شكله النهائي من الحرف الأندلسي»[41].

وعلى هذا الأساس، فقد ميز المغاربة خطهم الوطني عن خط مسلمي إسبانيا الذين أسموه "الخط الأندلسي"، وتدل التسمية جيدا على أن المغاربة اعتبروا خطهم شكلا متميزا مطلقا وليس له علاقة بالخط الأندلسي.

وقبل أن نتفحص أنواع الخط المغاربي، من المفيد أن نشير باختصار إلى الاختلاف الملاحظ بين "الخط المغربي" والخط المشرقي المسمى "النسخي"، فمن حيث الشكل فالاختلاف ليس كبيرا جدا، ولكن ما يقيم تفرقة عميقة بين هذين الخطين هو أولا القيمة الرقمية المختلفة المعزوة إلى بعض الحروف في الخطين[42]. وكذلك التوالي المختلف لحروف الخطين و أخيرا طريقة تنقيط الحروف.

---

[39]- أنجزت الأعمال السابقة عن القرن الرابع الهجري بخط كوفي.

[40]- يريد ابن خلدون بالخط المغاربي الخط الوطني المغربي الذي ظهر ابتداء من القرن الرابع عشر.

[41]- هوداس Houdas: **Essai au l'écriture maghrébine** في Nouveaux mélanges orientaux، ص 99، سنة 1886.

[42]- مثلا إن حرف "س" الذي يرمز إلى 300 في الأبجدية المغاربية، يرمز فقط إلى 60 في الخط المشرقي.

ويبدو لنا أن التحولات الملحوظة في شكل الخط المغاربي بالنسبة للخط المشرقي أدت إلى ظهور الخط الكوفي. ولم يتخل هذا الأخير عن الأشكال الموجودة في الخط المغاربي إلا في نهاية القرن الثالث الهجري بسبب التحولات التي ألحقها الخطاط الكبير ابن مقلة (المتوفي سنة 328هـ/940م) للخط العربي.

وفيما يخص الأصناف العديدة للخط المغاربي، فقد حاول هوداس أن يصنفها في ترتيب منتظم محددا لها في عدد أربعة حسب المراكز الفكرية الأربعة ذات الإشعاع الكبير ألا وهي، القيروان وقرطبة وفاس وتومبوكتو. وتشير تسميات قيرواني وفاسي وقرطبي وتومبوكتي إلى تلك الأصناف الرئيسية للخط المغاربي.

وبعد تفكك الإمبراطورية الموحدية إلى ثلاث دول مستقلة، وبعد الغزو الإسباني ظهرت أربعة أنواع أصناف مختلفة من الخط المغاربي: الخط التونسي الذي يشبه كثيرا الخط المشرقي، ولكن طريقته في الترقيم مشرقية؛ والخط الجزائري وهو حاد زاو؛ والخط السوداني وهو في العموم كبير وثقيل وغالبا يكون زاو أكثر منه دائري[43]؛ وأخيرا الخط المغربي المسمى "الخط الفاسي". وقد كتب ابن خلدون عن هذا الخط الذي ظهر في المغرب في عهد المرينيين في القرن الرابع عشر الميلادي قال: «في عهد المرينيين وفي المغرب الأقصى ظهر خط ما هو إلا خط مشابه للخط الإسباني، حصل ذلك لأن إسبانيا كانت دولة مجاورة، وأن المهاجرين القادمين من هذه الدولة منذ أمد قريب للإستقرار بفاس، دخلوا لخدمة الدولة فاستقروا بها»[44].

ويمكن أن تقسم تلك الأصناف من الخطوط المغاربية إلى أنواع أخرى عديدة، وتوجد في المغرب إلى جانب الخط المغربي المسمى الخط الفاسي المنتشر في فاس، المركز الفكري ومقر الجامعية المغربية، أنواع أخرى تقريبا مختلفة عن الخط الفاسي. وهكذا فنحن نسمع عن الخط السوسي في جنوب البلد، والخط البدوي المنتشر في البادية بشكل خاص والزوايا، ونسمع عن الخط الصحراوي المعمول به في الصحراء، فكل منطقة إذا لم نقل كل ناسخ بإمكانه أن يقدم نوعا من الخط منحدرا من الخط الوطني المغربي، ومازالت مجموعة من المخطوطات المنجزة بمختلف هذه الخطوط[45]، وتوجد نماذج تدل على هذا النوع من الخطوط

---

[43]- تضم المكتبات المغربية أزيد من 300 مخطوط منجز بخط سوداني يسمى أيضا "صحراوي"، وكتابات أحمد بابا التمبوكتي هي مثال على ذلك.

[44]- ابن خلدون: "**المقدمة**"، ص 295 من النص 402 من الترجمة، ج 2، دوسلان. وأشرنا سابقا إلى أن الأطروحة الخلدونية حول الخط المغاربي لم تقبل من طرف هوداس.

[45]- يجب أن نشير إلى أن أغلب المخطوطات التي توجد حاليا في المكتبات المغربية كانت بكتابة مغاربية.

في مختلف الخزانات المغربية: كتاب "أحكام القرآن" المحفوظ في المكتبة الملكية والمنجز بخط جزائري[46]، وكتبت نسخة من "نزهة الحادي" توجد في نفس الخزانة بخط مغربي صحراوي[47]. وكتاب "الحوض المشهور بأوزال" المكتوب بخط سوسي محفوظ في المكتبة الملكية تحت رقم (6014)[48]. وأنجز كتاب "الفلاحة" لابن حجاج بخط مغربي بدوي[49]، وهناك الكثير من المخطوطات للعلماء السودانيين مثل أحمد بابا محفوظة في الخزانة الملكية، وهي مكتوبة بخط سوداني ومن قواعد الخط المغاربي توالي الحروف واحترام علامات وقفه[50].

وتضم المكتبات المغربية أيضا مخطوطات منجزة في القرن (14) وفي القرن (15)، وهي الفترة التي لم يأخذ فيها الخط المغربي طابعه الوطني. وهناك نموذج في مجلدين من "المسند الصحيح" للترمذي مكتوب بالخط الأندلسي المغربي وهو محفوظ بمكتبة القرويين[51]. وأنجزت مخطوطات أخرى في عدة مجلدات بالخطين معا، فقد أنجزت نسخة من "كتاب النوادر" لابن زيد القيرواني بالخطين الأندلسي والمغربي في نفس الآن[52].

أما فيما يخص المخطوطات المنجزة بالخط المسمى "القلم الفاسي" فهي تعد بالآلاف، فالعلماء حاليا باحثين ومكتبيين لا يستطيعون تحديد نوعية الخط المغربي الذي كتب به مخطوط معين، فعبارة "الخط المغاربي" تكفي للإشارة إلى نوع الخط لمؤلف مكتوب في أي منطقة من المغرب، فخط المخطوطات المكتوبة في المراكز الثقافية للسودان القديم يسمى ببساطة "خط مغاربي"، فقد تأكد المستشرقون الشهيرون[53] الذين زاروا إفريقيا الغربية وتصفحوا المخطوطات التي توجد في المكتبات أحيانا في أناة وأحيانا أخرى في عجلة أن كل المخطوطات تقريبا كتبت بخط مغاربي[54]. فالخط المغاربي في نظر المغاربة لا يسع إلا المؤلفات المكتوبة في

---

[46]- نوادر الخزانة الملكية، ص 72-73.

[47]- المرجع نفسه، ص 189.

[48]- المرجع نفسه، ص 90.

[49]- محفوظ في الخزانة الملكية تحت رقم 69.

[50]- تضم المكتبة الملكية نسخة من "**نيل الابتهاج**" أنجزت في 2005هـ تحت رقم 2385.

[51]- محفوظ تحت رقم 272.

[52]-مخطوط محفوظ في القرويين تحت رقم 338.

[53]- مكث "دستانغ" E.Desting لمدة ثلاث سنوات (1907-1910) في السنيغال الشيء الذي مكنه من مراجعة عدد من المخطوطات.

[54]- "دستانغ" E.Desting "المخطوطات العربية في إفريقيا الغربية" « les Mss arabes de l'Afrique occidentale » في المجلة الإفريقية Rev.Africiane، 13-12-1911.

إفريقيا الشمالية[55]، فقد زعم المستشرق الفرنسي "هوداس" أن الخط المغاربي بالمعنى الواسع للكلمة قد استعمل حيث كان المذهب المالكي مقبولا به، كتب بهذا الصدد: «إن انتشار الخط المغاربي في العالم الإسلامي يتطابق كليا مع المذهب المالكي أينما كان هذا المذهب معمولا به، في إسبانيا وفي المغرب وفي السودان الغربية، كان يستعمل الخط المغاربي وحده»[56]. فقد هيمنت ثلاثة نماذج من الخطوط في المغرب: الخط المسمى "مغاربي" الذي هيمن على غالبية المؤلفات المخطوطة والمحفوظة في الخزانة المغربية[57]، والخط الأندلسي وأخيرا الخط المسمى مشرقيا "الخط الشرقي"[58].

3.1. مواد الكتابة

صنعت في المغرب وأعدت مادتان للكتابة؛ الجلد أو الرق من أصل حيواني والورق من صنع نباتي[59]، وكانت سابقا في الأزمان الغابرة تستعمل مختلف الدول الجلد للكتابة، فقد استعمل السوريون والفرس جلود الحيوانات، ولم يكن هذا الاستعمال أبدا مجهولا لدى اليونان الذين أسموه "دفتيريا"[60]. واشتهر استعمال الرق للكتابة في برغامة بتركيا، كتب "سفندال": «لم يتم الشروع في معالجة الجلد بهدف جعله مقابلا للكتابة إلا في القرن الثالث، ويعود الفضل في الشروع في هذه التقنية إلى برغامة التي ازدهرت فيها هذه الصناعة ومنها سمي الرق بدون شك Parchemin (Pergamineum)»[61].

ونظرا لغياب مواد أخرى، مثل البردي، فإن المغرب قد استعمل أولا الرق مادة للكتابة، فقد كتبت المخطوطات النادرة التي تعود إلى القرون الأولى من الهجرة على جلد الماعز أو الغزلان، كتب المقدسي (المتوفي سنة 330هـ/1000م): «كل مصاحف المغاربة ومخطوطاتهم مكتوبة على الرق»[62]. وعلى الرغم من أن الورق عوضه ابتداء من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، فإن الرق بقي مستعملا في

---

[55]- ظن بعض الباحثين أن بوسعهم حصر نطاق الخط المغاربي في المغرب فقط.

[56]- "هوداس" (O) Houdas:, **Essai sur l'écriture maghrébine**، ص 99، في Nouveaux mélanges orientaux، ط 1886.

[57]- تعود القديمة منها إلى القرن 14م والقرن 15م.

[58]- أقدم المخطوطات في المغرب هي بخط مشرقي أو أندلسي.

[59]- شأنه في ذلك شأن بلدان إفريقيا الشمالية وبخلاف بعض البلدان العربية القديمة مثل مصر، لم يستعمل المغرب في البداية البردي كمادة للكتابة، فلم يكن هذا النبات يزرع فيه، وحفظه بسبب المناخ كان مستحيلا.

[60]- هو أصل الكلمة العربية "دفتر" التي تعني كراسة.

[61]- "سفندال" Svend Dahl: "تاريخ الكتب" Histoire du livre، ط 1960، ص 23.

[62]- المقدسي: "أحسن التقاسيم"، ص 239.

الكتابة، وأكد القلقشندي (المتوفي 821هـ/1418م) في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي أن المغاربة استمروا في استعمال الجلد لنسخ الكتب والمصاحف بشكل خاص[63]. فقد صنع المغاربة "الرق" وكان "المركان" وهو نوع من الرق المصنوع في المغرب مشهورا للغاية في القرن السابع عشر الميلادي، فقد أمر الملك الفرنسي لويس 14 بقول "دو كاستري" مبعوثه "مونسو" بأن يشتري له (1700) قطعة من الرق ذات الحجم الكبير، تمكن كل واحدة منها تغليف مؤلفين، وأكد الملك أن تكون (500) قطعة ذات لون أخضر، والباقي في لون أرجواني.[64] وسنرى لاحقا أن الرق استخدم في الكتابة وفي التجليد على حد سواء.[65]

وابتداء من القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي، أزاح الورق الرق في المغرب[66]، ويجب أن نقول هنا شيئا عن أصل كلمة "كاغد" أو الورق في دول الإسلام، قبل الوقوف على تطوره في المغرب، إذ نسجل أولا أنه من حيث الاشتقاق كلمة "كاغد" هي كلمة صينية معربة أدخلها الفرس إلى اللغة العربية، ولا داعي للقول أن الصينيين عرفوا باختراع الكاغد قرونا عديدة قبل الميلاد[67]، ففي سمرقند ظهر الورق[68] لأول مرة في الإسلام على إثر أسر مجموعة من الصينيين أثناء الغزو على إخشيد فرغانة سنة (138هـ/751م). فتعلم العرب إذن مهنة صناعة الورق.

أزاحت هذه المادة الجديدة تدريجيا الرق وأوقفت صناعتها صناعة البردي والرق[69]، فالورق يختلف حقا عن الرق من حيث المميزات الخارجية، فهو أكثر رقة وذو مظهر صوفي، وأقل مثانة وسهل التمزيق، ولكنه وضع نهاية (الرق الممسوح) الطروس فالرق كما نعرف قابل للكشط والتزوير مثل تغيير عنوان أو استبدال عبارة، لذلك، فنحن نجد أيضا من ضمن المخطوطات الرقية العديد من الطروس يعني

63- القلقشندي: "صبح الأعشى"، ج 2، ط 1919/1338، ص 477.

64- "دوكستر": "المصادر الدفينة لتاريخ المغرب" S.I.H.M، السلسلة الثانية، الدولة الفيلالية Arch et Bib de France ، ص 222.

65- تجدر الإشارة إلى أن البردي قد استخدم مادة للكتابة والتجليد، فأغلفة المصاحف الأولى قد صنعت من البردي.

66- على الرغم من ظهور وتطور الصناعة الورقية في المغرب فالنساخ لم يتوقفوا أبدا عن استعمال الرق مادة للكتابة.

67- يحتفظ الآن بقطع من الورق الصيني التي هي أقدم القطع التي بقيت (فهي تعود إلى القرن 3/2 قبل المسيح)، بعضها في المتحف البريطاني في لندن والأخرى في الخزانة الوطنية في باريس، وأجزاء أخرى في الصين واليابان وأجزاء في لندن وهي أجزاء بوذية.

68- كلمة "ورق" من أصل يوناني.

69- أقدم مخطوط على الورق معروف في أوربا هو تفسير القرآن لابن سلام يعود إلى (252هـ/866م). ("ليد" خزانة الجامعة الرقم الشرقي 298).

المخطوطات التي محيت فيها الكتابة الأولية بواسطة المكشط لكي تكتب عليها نصوص جديدة. هذا النوع من الغش غير وارد في الورق، فالمقريزي لاحظ أن هذا بدون شك هو السبب الذي جعل جعفر البرماكي يستبدل الكتابة على البردي بالكتابة على الورق في الدواوين[70].

إنه من المستحيل تقريبا التشطيب أو مسح نص مكتوب على الورق دون أن نلاحظ ذلك، فقد اكتشف المغرب الورق في القرن (5هـ/11م) وانحدر من إسبانيا[71]. هذه المادة الجديدة كانت من أهم العوامل الرئيسية في النهضة الكبيرة للحياة الثقافية في (القرن 12 و 13م). وبالتالي ظهرت مصانع الورق وتكاثرت بمراكز ثقافية مثل فاس وسبتة اللتين كانتا في تلك الفترة في قمة الغنى والترف والرخاء. يخبرنا الزياني أنه كان يوجد (104) مصنعا للورق توجد في فاس في عهد المرابطين[72]، وحسب ابن أبي زرع ارتفع هذا العدد إلى (400) في عهد الموحدين يقول في هذا الصدد: «كان بها (400) مصنع للورق، خرب ذلك كله في فترة المجاعة في عهد العادل وأخيه المامون والرشيد وذلك من سنة (618) إلى سنة (638 هجرية)، هؤلاء الأمراء الذين توالوا على الحكم لمدة عشرين سنة من الخراب والبؤس إلى أن ظهر المرينيين الذين نهضوا بالبلاد وأمنوا الطرقات»[73].

ويعرف مكان هذا العدد من المصانع اليوم في فاس تحت اسم "الكغادين"، وفي مدينة سبتة في شمال المغرب كانت توجد مطاحن الورق، كان يعرف هذا الورق باسم "الكاغد السبتي" كما هو الأمر بالنسبة "لشاطبة" في إسبانيا. يقول "جوليان" Ch.A.Julien: «اشتهرت سبتة بإنتاجها للورق المسمى "سبتي" ووجدت في فاس مطاحن للقيام بنفس الشيء»[74]، فقد أصبح العمل بالورق إذن عام

---

[70]- النويري: "**نهاية الأرب**" ج 1، ص 367.

[71]- تصارعت دولتان على الأسبقية، ليس على اختراع الورق، ولكن على صناعته في الغرب، إيطاليا وإسبانيا ينظر: "بلوم" A.Blum "**مصادر الورق**" Les Origines du papier، باريس، 1936م.

[72]- الزياني: "**الترجمان المعرب**"، ص 277 مخطوط الخزانة العامة رقم د 658.

[73]- ابن أبي زرع: "**القرطاس**"، ص 29 من النص ، 58-59 من الترجمة. ينظر أيضا "**زهرة الآس**" ص 33 طبعة جزائرية.

[74]- "جوليان" ch.A.Julien: "**تاريخ إفريقيا الشمالية**" Histoire de l'Afrique du Nord، ج 2، ط 1952، ص 122.

ومتداول[75]. وأدت نهضة الصناعة الورقية إلى وفرة الكتب نتج عنها تزايد نقط بيع المخطوطات والمكتبات في المدن الرئيسية للدولة، والتي تتمركز بشكل خاص بجانب المساجد الكبرى[76].

كان عدد المكتبيين في فاس كبيرا[77]، فقد كان هناك شارع بالقرب من مسجد القرويين يسمى "زقاق القرويين" لم يكن فيه إلا تجار المخطوطات، وكان هناك باب جديد للقرويين مؤديا إلى هذا الزقاق ظل مفتوحا سنة (617هـ)، وكان يسمى "باب الوراقين"[78]. وازدهر بيع الكتب في مراكش كثيرا، فقد استقر الكثير من المكتبيين بجانب "الكتبية"، وأكد المؤرخون المغاربة أن عددهم تجاوز المئات، لكن "ركار" P.Ricard وبارتكازه على نتائج الحفريات الأثرية التي تم القيام بها بخصوص المسجد الموحدي الشهير، اقتنع بأن عدد المكتبات كان حوالي مائتين قال: «مسجد الكتبية مسجد المكتبيين وسمي بذلك لأنه في السابق كان يتمركز حوله مائتان متجر لتجار المخطوطات»[79]، وعلى الرغم من خراب عدد كبير من هذه المصانع الورقية في نهاية القرن (7هـ/13م) كما أشار إلى ذلك صاحب "القرطاس"، فإن المغرب استمر في صناعة الورق أقل جودة من السابق، فقد صنف القلقشندي ورق المغرب بعد ورق بغداد ومصر وسوريا[80]. وأمام رداءة الورق المغربي وندرته، وجد المغرب نفسه ملزما باستيراد الورق الأوربي شأنه في ذلك شأن البلدان الأخرى في تلك الفترة [81].

ويبدو أن الإيطاليين كانوا أكبر الممونين للورق[82]، وكان استيراد هذا الورق المعلم من أوربا محط أنظار الفقهاء بخصوص كل ما يأتي من بلاد الكفار، فقد تساءل ابن مرزوق في نهاية "المعيار" عن الكاغد المستورد من أوربا: هل هو طاهر؟ وهل يمكن أن يستعمل في النسخ؟ تلك النوازل جمعها ابن مرزوق في

---

[75]- زعم أحد الباحثين المعاصرين أن الوراقة كانت على درجة من الازدهار، أدت بها إلى دخول المطبخ الأمر الذي مكن النساء المغربيات من صناعة ورق القرميد الذي يستخدم في تبيء "الباستيلا" التي اشتهر بها المغرب دائما، ينظر "التازي" A.Tazi: "**جامع القرويين**"، الهامش 143، ص 145.

[76]- في القرن 15م، أخذ إنجاز وتجارة المخطوطات امتدادا كبيرا في أوربا، كان النساخ يجعلون دكاكينهم قريبة من الكنائس وحتى داخل الكنائس كان يبيعون كتبهم المتعلقة بالتقوى والصلوات المتنورة، وإن كان يبدو لنا هذا اليوم شاذا. ينظر: "سفندال" Svend Dahl "**تاريخ الكتاب**" Histoire du livre، ص 78.

[77]- كان عددهم في القرن 16 ثلاثين. ينظر "**ليون**" Léon l'Africain: Description de l'Afrique، ص 207.

[78]- التازي: "**جامع القرويين**"، ج 1، ص 94.

[79]- "ركار" P.Ricard: le Maroc: guides bleus، ط 1954.

[80]- القلقشندي: "**صبح الاعشى**" ج 2، ص 477.

[81]- كيفما كان الأمر عند العرب عن تعلم أوربا فن صناعة الورق، فإن العرب استعملوا الورق المستورد بشكل خاص في نهاية القرن 14م والقرن 15م، وأحد خصائص هذا الورق الأوربي هو الفيلغران بينما الورق العربي لم يكن معلما، ومن أوربا انتقل استعمال الفيلغران فيما بعد إلى الشرق: فأقدم علامات الفيلغران المؤرخة تعود إلى 1282 (القرن 13م). ينظر "بريكي" Briquet: les filigranes ، باريس 1907. وعند غياب التجليد وجرد المتن فإن الفيلغران يستخدم في ضبط تاريخ صناعة المخطوط.

[82]- كان المغاربة يستوردون بشكل خاص الورق من البندقية المعروف جدا بمتانته.

مجموع تحت عنوان "المومي إلى القول بطهارة الورق الرومي"[83]. تلك كانت المواد الرئيسية للكتابة التي استعملها المغاربة عبر تاريخ حضارتهم المكتوبة.

4.1. التجليد وفن ترميم الكتب

1.4.1. التجليد أو "التسفير"[84]

يعد التجليد كذلك عنصرا من عناصر الوراقة، فالصانع المجلد هو في الغالب ناسخ، وفي بعض الأحيان أديبا. وكان أبو العباس ابن عشير (متوفى 765هـ) ناسخا ومجلدا في نفس الآن، فحسب صاحب "نيل الابتهاج" فقد كان ينسخ كتاب "عمدة الأحكام" في كل سنة في ثلاث نماذج، وكان يجلده بنفسه[85]، وكان محمد الغجاف يزاول مهنة التجليد بالرغم من كونه أديبا كبيرا. وحسب الجزنائي كان يستظهر حرفيا محاظرات الحريري[86] لبكر الإشبيلي المتوفى سنة (629هـ)، وهو صاحب مؤلف فن التجليد وكان حسب مترجمه ضليعا في الأدب العربي[87].

وعموما، فقد كان من يقوم بالتجليد يكون وراقا في نفس الوقت، وقد تمت مزاولة تلك المهنة منذ وقت باكر في المغرب، ونظرا لوفرة الرق فإن المغاربة امتهنوا التجليد إلى درجة أنه أصبح فنا[88]، ولم يكن المجلد يكتفي بصناعة من الجلد غلافا عاديا لحماية مخطوطه بل كان يعمل على تزويق وزخرفة قطعته توخيا لأن يصنع منها عملا فنيا[89]، فقد كانت تقنية المغاربة في التجليد أكثر تقدما وإتقانا بالمقارنة مع الشرق الإسلامي[90].

---

[83]- المنوني: "**الخط المغربي**" في البحث العلمي رقم 16، سنة 1970، ص 49.

[84]- مثل خزانة فإن كلمة "تسفير" هي تسمية مغربية خالصة. ويقال "تجليد" في الشرق الإسلامي، ويقال أيضا "تغليف" أي تغطية الشيء بالغلاف.

[85]- "بابا" A.Baba "نيل الابتهاج" ص 70، ينظر ابن زيدان "**الأتحاف**" ج 1، ص 310 و 390.

[86]- الجزنائي: "**زهرة الآس**"، ص 345.

[87]- ابن القاضي: "**الجدوة**" 1، ط 1973، ص 169.

[88]- من الضروري أن نشير أنه كان يوجد نوعان من التجليد في المغرب: تجليد تجاري مخصص لأغلب المخطوطات، وتجليد فخم مخصص لأقلية الأمراء ومحبي الكتب.

[89]- تمنى اليوسي أن المخطوطات يجب أن تجلد دون مبالغة في حفظها، ينظر: "**القانون**" الملزمة 24، ص 5.

[90]- تجدر الإشارة إلى أن الأغلفة الأولى صنعت في محاكاة مع النماذج الحبشية والقبطية السابقة عن الإسلام. ينظر "تروهمان" و"أرنولد" Trohman and Arnold "الكتاب الإسلامي" the Islamic Book، ص 44.

كما سبق أن أشرنا إلى ذلك، فإن كل المصاحف التي حبسها الملوك على الأماكن المقدسة كانت مغلقة بأغلفة جميلة ومذهبة، وكان مصحف عثمان يستأثر بعناية خاصة في عهد الخليفة الموحدي عبد المومن، ولم تكن هناك نسخة من القرآن أحسن من مصحف الخليفة الراشدي من حيث التغليف، وحسب الفيلسوف ابن طفيل، فقد شارك أحد عشر مختص من مختلف المهن، وفيهم النجارون والصائغون والمزخرفون والرسامون والمجلدون في تغليف هذا المصحف[91]، وكان عبد المومن يكلف من يحمل هذا المصحف أينما ذهب على ناقة حمراء مغطاة بالحلي وقطع الديباج الفاخرة، فحسب صاحب "المعجب"، فإن هذا المصحف يوضع على ديباج أخضر، وفي جانبيه توجد عصيان عليها لواءان أخضران، أطرافهما الخارجية مزينة بتفاح مصنوع من الذهب[92].

فقد كان المجلدون يستعملون في غالب الأحيان جلد الخروف أو الماعز للتجليد، واستعملوا أيضا جلد الثعبان، يخبرنا "دوطرازي" أن مكتبة الإسكوريال تضم مخطوطات عربية منجزة في المغرب ومغلفة بجلد الثعبان[93]. وحسب معرفتنا فإن المغاربة هم وحدهم الذين قاموا بتغليفات من هذا النوع[94]. ومن هذا المنطلق فإن الأغلفة المغربية القديمة التي نعرفها ترجع إلى زمن الموحدين في القرن (13م). فقد وجد "ركار" P.Ricard تلك الوثائق في مكتبة مدرسة ابن يوسف في مراكش التي ورثت مجموعات دينية مختلفة، بالخصوص مجموعة الكتبية ويتعلق الأمر بالمصحف الذي نسخة الخليفة الموحدي المرتضى بيده في عشر مجلدات والتي تزامن تغليفه مع نسخه [95].

لقد تطور فن التجليد في المغرب، بوجه خاص ابتداء من القرن السابع عشر، ويرجع ذلك إلى ما عرفته صناعة الرق من إتقان، كما سبقت الإشارة إلى ذلك سابقا. كان هذا الرق المتقن المسمى "مركان" "Maroguin" مشهورا جدا بحيث أن الملك الفرنسي لويس الرابع عشر كلف المستشرق "بوتي دولاكروا"

---

[91]- المقري: "**نفح الطيب**"، ج 1، ص 227، ينظر أيضا الناصري: "**الإستقصا**" ج 2، ط 1954، ص 310.

[92]- المراكشي: "**المعجب**"، 166 من النص، 219 من الترجمة.

[93]- دي طرازي: "**إرشاد الأعارب**"، ص 597، ط 1949.

[94]- كان يوجد مخطوط من جلد الثعبان كتب عليه بحروف الذهب "الإليادة والأوديس" لهومروس في القرن 15م في خزانة استانبول، وأحرق ودمر في حريق إبان الطغيان الكاثوليكي. ينظر "**بوتي رادل**" Recherches sur les bibliothèques : Petit Radel، ط 1819، ص 30.

[95]- بخصوص الوصف التقني والفني لهذه الأغلفة الشهيرة. ينظر "**هسبريس**"، ج 17، ط 1933، ص 113.

Petit de la Croix بأن يشتري له سبعمائة قطعة جلدية من الرق لتغليف كتب المكتبة الملكية[96]. بقايا أغلفة تلك الفترة كثيرة، وقد درسها "ركار" وتمكن من استنتاج أن المغرب عرف ابتداء من القرن (17م) ثلاثة أنواع مختلفة من التغليف؛ فأولا نوع مشرقي قديم بعض الشيء ومصمم على الطريقة الفارسية في القرن (17م). وبعد ذلك نوع كان يبدو مشهورا بعض الشيء في القرن (19م) ذو مظهر إسباني مورسكي، ونوع آخر استعمل في عهد المرينيين وهو مزخرف بزخرفة نادرة قد استعمل بشكل خاص في القرن (18م)[97].

شكل التغليف المغربي موضوع مؤلفات أنجزها الصناع المسفرون أنفسهم، فقد وصلنا مخطوطان، تطرقا إلى هذا الفن وكانا محققان بطريقة علمية حديثة يتعلق الأمر بكتاب "صناعة تفسير الكتب وحل المذهب "[98] للسفياني الذي عاش في القرن (11هـ/17م). وأرفقه "ركار" (Prosper Ricard) بفهرست بالمصطلحات التقنية مأخوذة من المؤلف[99]. والمؤلف الآخر هو كتاب "التيسير في صناعة التسفير" الذي ألفه بكر الإشبيلي (المتوفى سنة 629هـ) منجز للخليفة يعقوب المنصور سنة (594هـ)، وحقق هذا المؤلف العالم عبد الله كنون ونشره سنة (1959م)، وقد حظي المؤلف بمقدمة هامة جدا عن فن التفسير في المغرب.

ويجب أن نذكر أيضا، مؤلفات مرتبطة بهذه المهنة التي لم يصلنا منها إلا عناوينها مثل كتاب "نبيل بن نبيل الرعيني"[100]، وكتاب "التدبير في صناعة التفسير"[101]، وأخيرا كتاب ابن عردون عن فن التفسير الذي أشار إليه السفياني صدفة في مقدمة مؤلفه المذكور. كتب "ركار" في هذا الصدد: «عموما، فإن المؤلفات العربية التي تعالج تقنية الفن والمهن المحلية نادرة للغاية، فالعمال والصناع لم يكونوا مثقفين

---

[96]- نشير إلى أن كتب الخزانات الملكية في فرنسا (الخزانة الوطنية حاليا) كانت قد جلدت في القرن 17 بماروكان أحمر بخيوط ذهبية، دقت بعدة ملكية: ينظر "مارتان" H.J.Martin: "ظهور الكتاب" "Apparition du livre"، ص 157.

[97]- "ركار" P.Ricard: "التجليد المغربي" Relivres Marocaines، في هسبريس 1933، ج 17.

[98]- حققه ونشره "بروسبير ركار" Prosper Ricard في Geuthner في سنة 1925.

[99]- قام "ركار" Ricard باستخراج وترجمة إلى الفرنسية 257 مصطلح تقني مرتبط بهذا الفن.

[100]- كنون: "**كتاب التيسير**"، المقدمة.

[101]- نفسه.

بما فيه الكفاية»[102]، لكي يسجلوا ملاحظاتهم على الورق وكانوا يكتفون على الأرجح بنقل تطبيقات فنهم بواسطة الطريقة الوحيدة التقليدية[103]. مثله في ذلك مثل النساخة، فالتجليد لعب دورا أساسيا في حفظ عدد كبير من المؤلفات، التي لو لم تكن قد جلدت، لضاعت منذ زمن طويل.

2.4.1. فن ترميم الكتب

التجليد هو فن ترميم الكتب، ومن المفروض في المجلد أن يعرف كيفية ترميم مخطوط نهشته القوارض أو فتته الرطوبة، ونحن لا نقصد أن نصف بشمولية مختلف الإجراءات التقنية التي استعملها أساتذة فن ترميم الكتب عبر العصور، فعدم قدرتنا من جهة، وندرة المعلومات المتعلقة بهذا الميدان من جهة أخرى، لا تسمح بذلك، لكننا نعرف أن فن ترميم المخطوطات كان متطورا.

وعلاوة على الأماكن الخاصة للشيوخ المسفرين والمتخصصين في فن ترميم الكتب، فإن المكتبات المغربية وخاصة مكتبات الزوايا، كانت مرفقة بمحترفات الترميم، ومازالت خزانة الزاوية العياشية تحتفظ إلى يومنا هذا بالأدوات التي استخدمت سابقا في ترميم المخطوطات.

إن تدهور مخطوطات المكتبات العمومية، أثار دائما انتباه الملوك المغاربة، لذلك شرعوا في ترميم المخطوطات بظهير شريف؛ فبواسطة الظهير قام الملك مولاي عبد الرحمان بن هاشم بترميم مخطوطات القرويين[104]، فأحد المؤلفات[105] رمم وجلد يحمل الصيغة التالية: «بأمر من السلطان مولاي عبد الرحمان ابن هشام، فإن القاضي عبد الهادي ابن التهامي العلوي الحسني دعا النظير والمحافظ على خزانة القرويين للقيام بتجديد وترميم وتجليد المخطوطات المتلفة». ومن بين المخطوطات المرممة كتاب

[102]- ومع ذلك فقد أشرنا إلى أن أصحاب المؤلفات المذكورة لم يكونوا أميين.

[103]- "روكار" P.Ricard: "صناعة التيسير"، مقدمة.

[104]- الفاسي: "**الخزانة العلمية**"، ص 71.

[105]- يتعلق الأمر بالجزء الثاني من كتاب "تيسير الوصول إلى جامع الأصول" لابن الربيع الشيباني، المحفوظ في القرويين تحت رقم 234/40.

"الشفا" لعياض في ثلاثين مجلدا، ونسخة من صحيح البخاري في أربعين مجلدا، ونسخة من كتاب "الإحياء" للغزالي وكتاب "الأحكام السلطانية" للمارودي، وأخيرا "الإصابة" لابن حجر[106].

كما قام السلطان الحسن الأول هو أيضا بإصلاح مكتبة القرويين بظهير شريف. فالظهير ينص على تعيين الناسخ والمجلد من أجل إعادة نسخ وتجليد وترميم المخطوطات التي تآكلت وأتلفت[107]، وحسب ابن الحاج (المتوفى 737هـ/1336م) فإن فني التجليد والترميم قاما بدور أساس على المستوى الديني، فبفضله تم الحفاظ على عدد كبير من المصاحف ومن مؤلفات الحديث والفقه[108].

يبدو، إذن، أن فن ترميم الكتب، إضافة إلى فن التجليد، شكلا دائما جزءا مكملا للوراقة التي كان يقوم بها في الغالب الأدباء، ولا داعي للإشارة أخيرا إلى الدور الأساس الذي لعبته الوراقة في تطوير وإغناء الخزانة في المغرب[109].

II- المطبعة في المغرب

لم يعرف المغرب فن المطبعة إلا متأخرا جدا شأنه في ذلك شأن الدول الإسلامية، أما المطابع الأولى في المغرب فقد أنشأها الأجانب؛ ففي سنة (1860م) أحدثت مطبعة إسبانية في تطوان[110]، وأحدث الرهبان الفرنسيسكانيون سنة (1863م) مطبعة في طنجة، ولكن أقدم مطبعة أحدثت في المغرب هي التي أحدثها اليهود المطرودون من إسبانيا في القرن (15م) في فاس ومكناس، وأول كتاب يهودي طبع في إفريقيا كان سنة (1525م) في فاس، وهو شرح التوراة لإسحاق أبربنال[111].

---

[106]- الفاسي: "**الخزانة العلمية**"، ص 71.

[107]- نفسه.

[108]- ابن الحاج: "**المدخل**"، ج 4، ص 87.

[109]- مثل ابن النديم: مسكويه وياقوت وآخرين من العلماء البارزين ورجال الأدب المغربي مثل ابن الصقر كانوا "وراقين"، حتى أنه قيل أن محلات الوراقين كانت في جوانب منها مشابهة للصالونات الأدبية الأوربية في القرن 18.

[110]- "داود" M.Daoud: مختصر تاريخ تطوان، ص 194.

[111]- توجد نسخة من هذا المؤلف في The Library of the Hebrew Union Collège Cincinati ohia U.S.A، وتحتفظ الخزانة الوطنية في باريس بكتب يهودية مطبوعة في القرن 19 في مكناس وفاس، مثال "سفر مشمات هيم" للمؤلف "هيم مسس" في مطبعة سياج في مكناس، و"سفر مليل لوأفربام" لهيام إلياهر أقراهام بن شخرت في فاس.

وكانت أول محاولة طباعية في المغرب على شكل نوع طباعي حجري، فالمغرب لم يتعود على الطباعة إلا بعد أن ابتدأ بالطباعة الحجرية، التي استخدمت في مرحلة الانتقال ما بين فترة المخطوطات، وفترة الاعتماد النهائي على الطباعة.

فما هي، إذن، الطباعة الحجرية؟ وماهي أسباب وظروف دخول هذا الأسلوب إلى المغرب؟ وما هو الدور الذي لعبته التقنية الجديدة في إثراء المكتبات المغربية؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه.

1- الطباعة الحجرية

- **المفهوم والوظيفة:**

فن الطباعة الحجرية هو الكتابة على الحجر بالقلم أو بالريشة نصوصا وتصاميما ورسومات يمكن أن تنسخ على الورق أو القماش بواسطة الطبع، وقد اشتهر الكاتب والشاعر "ألواس سنفلدر" (Aloise Senefelder) باختراعه هذه التقنية الجديدة في (1796م)، فهو أول من لاحظ قدرة الأحجار الكلسية على الإحتفاظ بالخطوط المشكلة بواسطة مداد دهني ونقلها في كل صفائها إلى الورق، وذلك بالضغط بالقوة على السطح. ولاحظ "بنيو" (G.Peignot) أنه من المناسب تسميتها طباعة حجرية من الكلمة حجر"Litho " ونحت "Glufié " أو تبني كلمة "Polyantographie" التي استخدمها الإنجليز[112].

إن الوظيفة الرئيسية للطباعة الحجرية هي النسخ الأولي لمخطوط معين إلى نسخ متعددة، فالطريقة الجديدة جعلت النصوص في متناول الجميع بسرعة، وضمنت لها قوة الانتشار التي لا يمكن مقارنتها مع الطريقة المتبعة في المخطوطات. فلماذا اعتمد المغرب أولا أسلوب الطباعة الحجرية؟

[112]- "بنيو" G.Peignot: Essai Historique sur la Tithographie، ص 2.

2- دخول الطباعة الحجرية إلى المغرب

1.2. أسباب اعتماد التقنية الجديدة

عبر المغرب مرحلة الطباعة الحجرية قبل اعتماد المطبعة ذات الحروف المتحركة شأنه في ذلك شأن باقي الأقطار الإسلامية، فالأسباب التي كانت وراء هذا الاعتماد هي متعددة، ونحن نتفق مع "دمرسمان"[113] في أن هذه الأسباب هي في نفس الآن تقنية، فنية، ثقافية، اجتماعية واقتصادية.

- **السبب التقني:**

توفر الطباعة الحجرية، كما نعرف، إمكانيات متعددة خاصة بالنسبة للرسوم والخرائط والبيانات التي لا تتيحها الطباعة، فالصفحة التي تملأ من كل الجهات بسلسلة باهرة من الإشارات والشروحات لا يمكن أن تنسخ إلا بالطباعة الحجرية، التي تمكن، كما هو الأمر بالنسبة للمخطوطات، من الكتابة في الهوامش ملاحظات المؤلف وشروحات مختلفة الشراح.

- **السبب الفني:**

للطباعة الحجرية امتيازات لا تقدر بثمن، كونها فنا قابلا بشكل مدهش لإعادة نسخ الكتابة، فالمغاربة مثل جميع المسلمين لم يكونوا مستعدين للتخلي أو إهمال كتابتهم التي ترتبط بتاريخ تراثهم، والتي تكتسي في نظرهم طابعا قدسيا. إن الطباعة الحجرية، إذن، قد أنقذت هذا الفن النفيس عند المغاربة، وهو الخط العربي.

- **السبب الثقافي:**

لم تخيب الطباعة الحجرية آمال القراء، فكتابة الطبعات الحجرية الأولى حافظت بأمانة على المظهر المشابه للمخطوطات. إن المؤلفات المطبوعة طباعة حجرية تماثل تماما المخطوطات، لها المظهر

[113]- "دومرسمان" Demeersmann: "الطباعة الحجرية العربية" La lithographie Arabe، تونس 1954، ص 5.

العام نفسه للمخطوطات والكتابة الضيقة نفسها، فالقراء المتعودون على قراءة المخطوطات لم يجدوا صعوبة في قراءة مؤلف مطبوع طباعة حجرية.

- **السبب الاجتماعي:**

من الواضح أن الخوف من انهيار مهنة الكتاب والرق وصناعه هو ما يفسر تحفظ المغرب والدول الإسلامية عامة في بداية ظهور المطبعة وتفضيلهم الواضح للطباعة الحجرية، التي لا تحتم إزاحة التجربة الماضية، ولكنها جسدت حسن الانتقال من تجربة إلى أخرى، فقد استمر النساخ في نسخ النصوص بالطباعة الحجرية.

- **السبب الاقتصادي:**

اعتمد المغرب شأنه شأن الدول الإسلامية الطباعة الحجرية لأنها لم تكن مكلفة مثل الطباعة، فالطباعة الحجرية لم تتطلب إلا القليل من الآلات أتاحت عددا من الإيجابيات الاقتصادية.

إن الأسباب التي قدمناها تبدو لنا حاسمة، فمنذ (1894م) تحدثت الصحيفة الأسيوية عن الطباعة الحجرية في الهند، ولخصتها في مصطلحات تنطبق على مشاكل الطباعة الحجرية في المغرب، جاء فيها: « من الواضح أن الطباعة الحجرية استخدمت لتكون وسيطا بين المخطوطات والمطبعة، فهي لم تكن تتطلب بناء كبيرا، ولم تقضي على طبقة النساخ وحافظت على شكل الحروف التي تعود عليها قراء المخطوطات الذين كانوا يجدون صعوبة في التعود على الكتب المطبوعة، ووفرت اقتصاد قوي في الوقت الذي نكون فيه بحاجة إلى عدد محصور من النسخ»[114]. كانت الطباعة الحجرية، إذن، الاختراع المثالي للمغرب وكل الدول الإسلامية، بسبب أنها لم تحدث قطيعة مع الماضي بل أضفت عليه امتيازات فريدة.

[114]- الجريدة الأسيوية Journal Asiatique، السلسلة الثانية، ج 14 (1834)، ص 266.

وسنحاول أن نعاين الظروف التي كانت وراء هذا الاختراع الجديد في المغرب[115]، إذ أن أول محاولة للمطبعة أو بالأحرى للطباعة الحجرية في المغرب لا تعود إلى أبعد من ولاية الملك محمد بن عبد الرحمان (1859م/1873م)، وقد جلبت المادة الأساس من القاهرة - حسب سجل وثائق الوزير بليمني- فإن السيد الطيب بن محمد الروداني عقد اتفاقا مع المطبعي المصري القباني محمد بن إبراهيم، وأثناء عودته إلى المغرب أهدى قاضي تارودانت إلى السلطان محمد الرابع المطبعة والتقني المصري الذي كان على اتصال مع الملك إسماعيل المصري بخصوص دخول البلاد هذه التقنية الجديدة.

وقد تكلف الملك وهيئة التحبيس بالمحترف، والتقني، والمتمرنين كما في باقي الدول الإسلامية، فأول مطبعة في المغرب كانت إذن مؤسسة تابعة للدولة، وكانت بدايتها في مكناس من يناير إلى غشت (1865م)[116]. ولم تستقر في فاس إلا بعد فوات الأوان، وكان ذلك من أخطاء التقليد، فقد سميت المطبعة الملكية في البداية باسم "المطبعة السعدية" أو "المطبعة المحمدية" باسم السلطان محمد الرابع. فالمطبعة لم تكن محل ترحيب من لدن الفقهاء سواء في المغرب أو في الأقطار الإسلامية، وهذا ما يفسر تأخر التقنية الجديدة في الدول الإسلامية بشكل عام وفي المغرب بوجه خاص[117].

2.2. الطبعات الاستهلالية[118] والمؤلفات الحجرية

يطلق على الطبعات الاستهلالية الكتب الأولى المطبوعة طباعة حجرية في المطبعة الملكية في عهد محمد الرابع، يعني ما بين (1865م و1873م)، هذه الكتب التي يصل عددها إلى خمس هي أولا "الشمائل الترميذية"[119] وهو الكتاب الوحيد الذي طبع في مكناس (1865م)، وبعد ذلك طبع في فاس "شرح الأزهري

---

[115]- لقد قدم لنا عياش G.Ayyache حول إقرار الطباعة الحجرية في المغرب معلومات مفصلة في "ظهور المطبعة في المغرب"، في مجلة "هسبريس"، 1964. وأيضا المنوني في "مظاهر يقظة المغرب الحديث"، ط 250، 1973، ص 205.

[116]- تجدر الإشارة إلى أن "ابن شنب" و "بروفنصال" ذكرا في فهرستهما للطبعات الحجرية في المغرب طبعات سابقة ليس فقط في سنة 1865م، ولكن عن اختراع الطباعة الحجرية. وتعود أحداثها إلى (1815م) وأقدمها إلى (1714م)، فهذان الباحثان الكبيران أخطأ عند اعتبارهما المخطوطات على أنها مؤلفات مطبوعة طباعة حجرية. ولا شيء يشتبه مع مخطوط إلا كتاب مطبوع طباعة حجرية.

[117]- يجب أن ننتظر 15 سنة بعد دخول المطبعة لطباعة أول مصحف في المغرب طباعة حجرية.

[118]- هذه الكلمة تعني كل مؤلف مطبوع في الزمان الأول والسابق عن سنة 1501.

[119]- تم تحديد الإخراج في 103 نسخة.

على الأجرومية"[120] سنة (1866م) و "مختصر الدر الثمين"[121] لميارة الفاسي سنة (1866م)، و"شرح[122] التاودي بن سودة على ابن عاصم" سنة (1867م)، وأخيرا "الشرح الصغير للخرشي[123] على مختصر الخليل" سنة (1867م)، ولم يظهر أي عنوان جديد إلى اليوم باستثناء إعادة طبع التاودي بن سودة والخرشي.

وبعد (1868م) أصبحت الطباعة الحجرية في المغرب مؤسسة خاصة[124]، وأنشأت محترفات طباعية حجرية[125] في فاس، وبدأت بنشر النصوص التي لم تتداول إلى ذلك الحين إلا في شكل مخطوطات. ومن الملاحظ أن المؤلفات المطبوعة الأولى في عهد سيدي محمد هي مؤلفات التدريس وهي نوع من الكتيبات أو مرادفات المنتسخات الدراسية اليوم.

أما فيما يخص المحترفات الخاصة، فقد تخصصت في طبع المؤلفات القديمة مثل "موطأ" لابن مالك، و"بدايات المجتهد" لابن رشد، و"الشفا" لعياض، و"مشرق الأنوار" لعياض أيضا، و"الرسالة" لابن أبي زيد القيرواني، و"التسهيل" لابن مالك، و"المعيار" للونشريسي، و"المعيار" للفاسي، فالعديد من تلك المؤلفات قد طبع طبعات جديدة مثل "اليواقيت الأحمدية" لأحمد سكيرج، و"السعادة الأبدية" لابن الموقت. وهناك كتب أخرى مازالت توجد فقط في طبعتها الأصلية أو الأولى.

إن عدد الطبعات الحجرية منذ البداية إلى غداة الحرب العالمية الثانية اقترب إلى ألفين طبعة، وقد طبع الجزء الأكبر قبل دخول الحماية الفرنسية[126]، وطبعت في عهد الحسن الأول[127] المؤلفات العلمية بشكل خاص طباعة حجرية منها "تحرير أصول أقلديس" لنصر الدين الطوسي (المتوفي 627هـ/ 1274م)

---

[120]- إخراج محدد في 180 نسخة.

[121]- إخراج محدود في 300 نسخة.

[122]- إخراج محدد في 300 نسخة (ونشير إلى أن عدد الإخراج المتوسط المرتبط بالطبعات الاستهلالية الأوربية كان 500 نسخة).

[123]- إخراج محدد في 600 نسخة.

[124]- حسب "رونو" Renauld شاع الخبر أن الشيخ الليتوغرافي المصري كان مسيحيا من أصل تركي، طرد وانتهى عتاده إلى الخواص. وهكذا اختفت الطباعة الحجرية الملكية. ينظر "أرشيون" Archion، ص 332.

[125]- استقر أعضاء من عائلة الفاسي الأزرق بفاس بعد أن درسوا على يد التقني المصري القباني في المطبعة الملكية.

[126]- تجدر الإشارة إلى أن الطبعات الاستهلالية المغربية الأولى لها بالضبط نفس مظهر المخطوطات، رغم الترقيم في شكل "ملازم"، فالتعقيبة قد بقيت مستعملة. وتجدر الإشارة أخيرا إلى أن الطبعات الحجرية الملونة التي تجدها في أوربا هي غير موجودة تقريبا في المغرب.

[127]- في عهد هذا الملك ظهرت سلسلة من المطابع الخاصة وعرفت نوعا من النشاط.

الذي كان أول مؤلف علمي حصل له شرف الطبع في المغرب[128]. وفي عهد أبنائه وأتباعه مولاي عبد العزيز ومولاي حفيظ طبعت طباعة حجرية مؤلفات الفقه وبشكل خاص مؤلفات النوازل مثل "المعيار" للونشريسي.

إن الكتب المطبوعة طباعة حجرية مثل مطبوعات[129] "بولاق" في مصر ذات صيت كبير بسبب طبعتها المميزة، فقد كان توفر محترفات الطباعة الحجرية على عدد كبير من النساخ ومصححين كبار الذين حرصوا على توفير طباعة جيدة للمخطوطات. ونحن نعلم أنه في عهد محمد الرابع كانت تصحح النصوص قبل الطباعة[130]. ولهذا السبب فإن تلك الكتب مثل المخطوطات قد ظهرت بمظهر البضاعة النادرة والثمينة[131]، وقد وزع منها الحسن الأول[132] عددا معينا على مكتبات العالم الإسلامي مثل مكتبات الأماكن المقدسة، والقاهرة، واستانبول، وتمكن الأوربيون من الحصول على البعض منها[133].

فماذا عن فهارس المطبوعات الحجرية؟ من المؤسف عدم توفر فهرس شمولي في هذا الإطار، وأن عناوين المطبوعات الحجرية التي غابت الإشارة إليها، توجد متفرقة في مقالات مجلات مثل: "الوثائق المغربية" و"المجلة الإفريقية"[134]، وهي لوائح بعيدة عن أن تكون شاملة. لقد آن الأوان لصناعة الفهارس على غرار هذه المطبوعات الاستهلالية الأوربية. وفيما يتعلق بالطباعة، فكان يجب انتظار القرن العشرين، وبالضبط في عهد الحماية، لكي تظهر مطبعة ذات حروف متحركة[135].

---

[128]- طبع سنة (1293هـ/1876م) بواسطة المحترف الطباعي الحجري الخاص للعربي الأزرق.

[129]- كانت المخطوطات التي تطبعها "بولاق" في مصر تقرأ وتراجع من طرف علماء كبار في القرن 19.

[130]- عياش G.Ayyache: "ظهور المطبعة في المغرب" Apparition de l'imprimerie au Maroc، هسبريس 1964، ص 158.

[131]- تباع بثمن المخطوطات.

[132]- لقد كان الأمير وولي العهد الحسن مسؤولا في حياة أبيه عن بيع طبعات فاس في مراكش. ينظر "عياش" G.Ayyache "ظهور المطبعة في المغرب" Apparition de l'imprimerie au Maroc، هسبريس ص 158.

[133]- تضم خزانة معهد اللغات الشرقية في باريس نسخة مطبوعة طباعة حجرية في فاس من "**قانون**" اليوسي، تحت رقم (H.D.VII 28)، ونسخة من "**ممتع الأسماع**" للمهدي الفاسي، مطبوعة طباعة حجرية في فاس ومحفوظة تحت رقم (GG VI 90).

[134]- نشر "ابن أبي شنب" و"ليفي بروفنصال" مقالا في هذه المجلة سنة 1922 بعنوان:

« Essai de répertoire chronologique des éditions de Fès » وذكر فيه 356 عنوان.

[135]- ذكر "لوتورنو" محاولة المولى حفيظ لإدخال المطبعة، فكان هذا العاهل يفكر بهذا الأمر في 1910، وقد أتى بآلة ألمانية ذات حروف واستعان في ذلك بأحد السوريين اسمه "يامي"، ومع الحماية نبذت الآلة في مخزن للعتاد أو بيعت بأقل من ثمنها. "فاس قبل الحماية" Fès avant le Protectorat، ط 1949، ص 475.

لقد سبق أن أشرنا أن الإجابة عن سؤال حول دور الوراقة في تطور المكتبات في المغرب وقلنا أنه كان إيجابيا، وكان له في الحقيقة دور حاسم لا يمكن إنكاره.

أما فيما يخص الطباعة الحجرية، فلم تغير الكثير من الوضعية المزرية للمكتبات المغربية في القرن التاسع عشر. فعلى الرغم من أسلوبها الجديد الذي يسمح بإعادة نسخ النصوص بشكل آلي، فإن مهنة النساخة التي كانت سابقا مهمة ومرغوب فيها لم تخسر قيمتها. وبقيت عدد من المؤلفات تطبع على شكل مخطوطات أيضا[136].

[136]- تمت طباعة "الشمائل" للترمذي سنة 1865، وتحتفظ الخزانة العامة بالرباط بنسخة مخطوطة من هذا المؤلف أنجزت في 1867م.

الفصل الرابع

مخطوطات المكتبات المغربية

اشتهر المغرب بكونه أول دولة إسلامية تحتفظ بالمخطوطات التي لا توجد في أماكن أخرى، وكانت مكتباته دائما تتميز بالتعدد والتنوع والثراء. فما هي طبيعة تلك المجموعات المشكلة للمكتبات سواء في الماضي أو في الحاضر؟ وما هي نوعيتها؟

إجابتنا عن هذه الأسئلة ستكون غنية عن طريق ذكر أو وصف عدد من المخطوطات النادرة المنتسخة بيد مؤلفيها أو المأخوذة عن الأصول أو نوادر في المجموعات الملكية، الخاصة أو العمومية.

I- طبيعة ثروات المكتبات

1. في الماضي

قبل أن نعطي فكرة عن طبيعة الثروات التي تضمها المكتبات المغربية، يبدو لنا من المفيد أن نذكر أولا ما كانت عليه هذه المجموعات في الأزمنة العابرة عبر تاريخ هذه المؤسسات.

ويجب القول أن المكتبات المغربية الأولى كانت تجمع، على غرار القرون الإسلامية الأولى، المؤلفات المتعلقة أساسا بعلوم القرآن والحديث النبوي الشريف، واللغة والنحو. ولعل التفاصيل التي نتوفر عليها المرتبطة بالمجموعات الأولى التي وصلتنا لشاهد على ذلك. وقد سبق أن أشرنا إلى أن الخزانة الخاصة لابن العجوز السبتي (413هـ/1021م) كانت مكونة في جزء كبير منها من مؤلفات الفقه، ونعلم من خلال ابن

فرحون أن عالم سبتة حمل معه أثناء عودته من القرويين التي كان يحضر فيها محاضرات ابن أبي زيد مجموعة من مؤلفات الفقه خاصة "النوادر" و"المختصر" لابن أبي زيد نفسه [1].

وإلى غاية القرن (10 و11م) لم يشب مجموعات المكتبات تغيير كبير، يشهد على ذلك محتوى المكتبة الملكية للملوك المرابطين، فمؤلفات العلوم القانونية "الفقه" احتلت فيها مكانا كبيرا، فقد كان المتشبثون بالمذهب المالكي الأمراء المرابطون يحثون فقهاء زمانهم على تأليف مؤلفات متعلقة بهذه المدرسة [2].

ومن أجل الاستجابة لرغبة الملوك، ألف الكتاب المؤلفات وضاعفوا الشروحات، وأتاحت وفرة إنتاج الكتب للأمراء ورجال الأدب والخواص من امتلاك خزانات خاصة عامرة جدا، ولم يكن يسمح بتواجد كتب الفلسفة وأصول الدين والتصوف في الخزانات في هذه الفترة، وكان يتعرض من يجمع هذه الكتب لأقصى العقوبات، و تصادر ثرواته، لذلك كان يجب انتظار فترة الموحدين لكي نعاين ازدهار العلوم المحظورة أو المجهولة أثناء حكم السلالات السابقة، وهكذا بدأت كتب العلوم والفلسفة، وأصول الدين والتصوف تجاور المصاحف، ومؤلفات النحو، والأدب، واللغة، في الخزانة المغربية.

لقد دعا الموحدون، الذين عرفوا بالتفتح والاعتدال مقارنة مع أسلافهم المرابطين، الفلاسفة أيضا إلى نسخ أو تفسير الأعمال الفلسفية اليونانية[3]، فقد عملوا على تطوير الحركة الصوفية المتسترة في المغرب والتي لم تستطع الظهور كليا، يقول "تراس": «من الواضح جدا أن زعماء المتصوفة في المغرب الذين سيبقون أكثر شعبية من أوليائه قد عاشوا تقريبا جميعهم في عهد الموحدين، وماتوا في نهاية القرن 12م»[4].

---

[1]- ابن فرحون: "**الديباج**"، ج 2، ص 4.

[2]- أنجز "**الموطأ**" لابن مالك بن أنس (رواية يحيى) في ثمانية أجزاء على رق الغزال لفائدة مكتبة أمير المسلمين علي بن يوسف (500-537) من طرف يحيى اللخمي بخط أندلسي، مقابلة تعود إلى 502هـ، وحبسه العاهل المريني أبو عنان على القرويين. ينظر "**فهرس القرويين**"، ج 1، ص 32.

[3]- طلب الخليفة الموحدي يوسف من ابن رشد أن يشرح أعمال أرسطو.

[4]- جوليان Ch.A.Julien: "**تاريخ إفريقيا الشمالية**" Histoire de l'Afrique du Nord، ج 2، ص 131. وفي هذه الفترة نحن مدينون بأول كتاب صوفي: "**التشوف**" للتادلي (المتوفي سنة 627هـ)، فهذا المصنف لتراجم المتصوفة المغاربة حققه في 1958 "فور" A.Faure (المتوفي سنة 1983)، ولازال غير موجود وظهرت طبعة جديدة سنة 1984 على يد الباحث الموهوب أحمد توفيق.

كما شجع الموحدون أيضا الأطباء على تأليف مؤلفات في الطب، وهكذا دعا الملك عبد المومن أبو مروان عبد الملك بن زهر (557هـ/1162م) لتأليف مصنف في الأطعمة، فاستجاب المؤلف لرغبة الحاكم، وبعد أشهر أحضر إليه مؤلفه المسمى كتاب "الأغذية"[5]، وصف فيه ابن زهر مختلف الأطعمة التي يجب استهلاكها حسب الفصول، وشرح فيه أيضا التأثيرات الإيجابية والتأثيرات السلبية لهاته المأكولات. فالمجموعات المشكلة للخزانات المغربية في هذه الفترة من تطورها لم تقتصر إذن على مؤلفات الفقه والعلوم الشرعية ولكنها كانت تتسع للمؤلفات المرتبطة بالعلوم المذكورة سابقا والتي كانت تدرس وتدعو إليها الدولة الحاكمة.

وابتداء من القرن (7هـ/12م) وخاصة بعد وصول بني مرين إلى الحكم، فتقريبا كل العلوم المعروفة في العصر بدأت تدرس بطريقة مكثفة، ففي القرويين مثلا وإلى جانب العلوم الدينية كانت تدرس الرياضيات، والحساب، وعلم الفلك، وعلوم أخرى، وتم اقتناء ونسخ عدد كبير من المؤلفات تتعلق بهذه المواد المدرسة، الشيء الذي جعل خزانة القرويين ومكتبات أخرى تحظى بالأولوية. ومن البديهي أن يمارس التعليم تأثيرا واضحا على تأسيس وبنية مجموعات المكتبات في هذه الفترة.

فكل الثروات الهائلة المحفوظة حاليا في المكتبات المغربية تشكلت انطلاقا من الفترة المرينية التي مكنت المغرب من معرفة أكبر مفكريه وأكبر مؤلفات التاريخ والحضارة.

2. في الحاضر

كما أشرنا إلى ذلك سابقا، ترجع المخطوطات المحفوظة حاليا في المغرب إلى القرون الستة الأخيرة، فمؤلفات مختلف العلوم المدرسة سواء في الجامعات أو في المدارس أو الزوايا مازال معظمها محفوظا في خزاناتنا. وتعطينا اللوائح والفهارس التي أنجزت في الفترة المعاصرة فكرة عما يمكن أن تخفيه مؤسساتنا العلمية من مؤلفات قيمة، ورغم شمولية هذه الفهارس كما يتبين، فإنها تبقى غير وافية.

[5]- مخطوط محفوظ في الخزانة الملكية تحت رقم 1590 كتب بخط مغربي، ونسخة أخرى مبتورة هي جزء من "المجموع" محفوظ تحت رقم 2430 بخط أندلسي، فالمخطوط الثاني أقدم من الأول.

فالمكتبات المغربية تضم نوادر مازالت غير معروفة لدى المثقفين والكتبيين أنفسهم، وسنكتفي هنا بالحديث عن الفهارس والكناشات، والمجاميع وهي أنواع من المصنفات غير المدرسة والتي تضم عدد كبير من المؤلفات النادرة والنفيسة.

1.2. الفهرسة[6]

الفهرسة نوع أدبي وتاريخي في نفس الآن، فهي تضم وصفات بيبلوغرافية ومعلومات متنوعة عن الحياة الثقافية لفترة معينة، برامج وكتب مستعملة ومواد مدرسة، فأول المحدثين أودعو فيها بشكل خاص أسماء شيوخهم حيث انحدرت تسمية "مشيخة". وحينما بدأ المؤلفون يرتبون فيها أبجديا أسماء هؤلاء الشيوخ وعناوين المؤلفات استبدلت مشيخة بلفظة "معجم"، وهيمنت عليها أخيرا كلمة "ثبت" أو ملحق. وفي الغرب الإسلامي تم اختيار إسمان، "برنامج"[7] في الأندلس و"فهرسة" في المغرب للإشارة إلى هذه الأنواع من المصنفات[8].

ارتبطت الفهارس في المغرب في غالب الأحيان بعلماء عكفوا طيلة حياتهم على الدراسة والبحث، وكانت مفيدة جدا في تحديد حلقات العلوم في المغرب، فليس هناك كاتب عربي في المغرب في أواخر حياته لم يخصص بعض الصفحات تقدم لائحة مفصلة عن شيوخهم وعن المؤلفات المدرسة والمفسرة تحت إشرافهم، حتى الملوك لم يفتهم تأليف أو حث كتابهم على أن يؤلفوا لهم الفهارس، إذ يخبرنا صاحب "صفوة من انتصر" أن العاهل السعدي أحمد المنصور ألف فهرسا[9]، وكلف الملك العلوي مولاي سليمان مؤرخ المملكة الزياني أن يؤلف له واحدا[10].

كانت الفهارس عديدة جدا وليس من الممكن حصرها في لائحة شاملة لذلك سنكتفي بذكر بعض النماذج الأكثر أهمية والتي تشكل وثائق أصلية لا جدال فيها.

---

[6]- كلمة من أصل فارسي.

[7]- كلمة من أصل فارسي أيضا.

[8]- الكتاني (عبد الحي): "**فهرس الفهارس**"، ج 1، ط (1346هـ)، ص 38.

[9]-الإفراني: "**الصفوة**"، ص 99.

[10]- عنوان هذه الفهرسة: جوهرة التيجان وفهرس الياقوت واللؤلؤ والمرجان في الملوك العلويين والشيخ أمير المؤمنين مولانا سليمان. ينظر ابن سودة: "**الدليل**"، ج 1، ص 296.

إن"غنية" لعياض (المتوفى544هـ) هي إحدى أقدم الفهارس المغربية، وباعتبار طابعها، كونها سيرة ذاتية بيبليوغرافية، فليس هناك خزانة كبيرة لا تتوفر على نسخة منها[11]. وتعتبر فهرسة اليوسي ذات قيمة كبيرة فيما يخص التدريس، وأشار الكاتب إلى أنها الطريقة السليمة في التدريس، يقول في هذا الصدد: « تنص الطريقة الصحيحة في مجال التعليم على إعطاء النص وتوضيح صعوبته وغير ذلك فهو ضار أكثر منه إفادة»[12]. ويمكن أن نذكر أنه من بين الفهارس المغربية، فهرسة الشيخ العربي الفاسي صاحب "مرآة المحاسن"[13]، وفهرسة العلامة أبي سعود الفاسي[14] التي حققها وترجمها محمد بن أبي شنب، وفهرسة المتصوف المغربي ابن عجيبة (المتوفى سنة 1275هـ/1858م)[15]، وفهرسة عبد الملك التاجموعتي (المتوفى سنة 1118هـ/1706م)[16]، وفهرسة ابن الطيب القادري التي يوجد مخطوطها الأصلي في الخزانة الخاصة للأستاذ إبراهيم الكتاني[17] وأخيرا فهرسة المهدي بن سودة (المتوفى سنة 1294هـ/1877م) التي يحتفظ بمخطوطها الأصلي في الخزانة الأحمدية في فاس[18].

ويحدث للمؤلفين المغاربة أن يؤلفوا فهرسين يسمونهما "الكبرى" و"الصغرى"، فالفهرسة المزدوجة لأبي العباس أحمد بن الحوات[19] (1343هـ/1924م)، وفهرسة[20] أحمد بن علي المنجور (995هـ/1386م) هما من هذا النوع. ويحدث أيضا أن يؤلفوا فهارس منظومة، وخير مثال على ذلك الفهرسة المنظومة لمحمد بن عبد السلام الفاسي (المتوفى سنة 1214هـ/1799م)[21].

وغني عن الذكر أهمية الفهارس وكم هي قيمة وغنية بالمعلومات التي تسمح بمعرفة المواد والدروس، وخاصة الكتب المدرسية في مختلف مؤسسات التعليم في المغرب. وينضاف إلى طابعها العلمي

---

[11]- علاوة على الخزانات المغربية تحتفظ المكتبة الوطنية في مدريد بنسخة من "الغنية" تحت رقم 307، وتحتفظ دار الكتب في القاهرة بنسخة أخرى تحت رقم 4913.

[12]- توفي اليوسي قبل أن يكمله، وهناك نسخة محفوظة في المكتبة الملكية تحت رقم 1183.

[13]- ابن سودة، "**الدليل**"، ج 2، ص 314.

[14]- وتوجد نسخة محفوظة في المكتبة الأحمدية في فاس. ينظر ابن سودة، "**الدليل**"، ج 2، ص 315.

[15]- ابن سودة: "**الدليل**"، ج 2، ص 324.

[16]- يحتفظ بنسخة في المكتبة الفاسية في فاس. ينظر ابن سودة: "**الدليل**"، ج 2، ص 316.

[17]- محافظ جناح المخطوطات في الخزانة العامة في الرباط.

[18]- ابن سودة: "**الدليل**"، ج 2، ص 314.

[19]- محفوظ في الخزانة الأحمدية في فاس.

[20]- ابن سودة: "**الدليل**"، ج 2، ص 314.

[21]- محفوظ في الخزانة الملكية تحت رقم 6799.

والتاريخي، مظهر ليس أقل أهمية، ويتعلق الأمر بقيمتها البيبليوغرافية[22]؛ فهي قد حافظت لنا في الواقع على عناوين مؤلفات لم تصل إلينا ويمكن أن تكون قد ضاعت نهائيا.

ويبقى لنا القيام بجرد عام ومنهجي لتلك الفهارس، فمن المؤكد أنها تخفي ثروات وتحتفظ بمفاجآت عظيمة.

2.2. الكناشات

الكناشات هي تسمية مغاربية[23] وهي مجموعة من الملاحظات والمقاطع التي يؤلفها شخص لاستعماله الخاص، إذ يدون فيها صاحبها الكتب التي قرأها أو درسها ويضيف إليها في بعض الأحيان أعماله الخاصة، ويذكر فيها الأحداث التي يهملها في بعض الأحيان المؤرخون[24]، فقد كتب العديد من الكتاب المغاربة كتبا بهذا النوع، وكانت كثيرة مثلها مثل الفهارس ونذكر على سبيل المثال: كناشة عبد الرحمان الفاسي (المتوفى سنة 1096هـ/1684م)[25]، وكناشة عبد الرحمن بن محمد السوسي التي ذكرها الأفراني في "نزهة الحادي"[26] وفي "الصفوة"[27] وكناشة محمد بن الطيب القادري الحسني[28]، وكناشة العلامة عبد القادر الفاسي الفهري[29].

ويبدو أن المغاربة بدأوا في تأليف هذا النوع من المجموعات ابتداء من القرن (14م)، أقدمها الكناشات التي نعرفها هي كناشة عبد الرحمان بن محمد الجادري الفاسي (المتوفى سنة 818هـ/ 1415م)،

---

[22]- يرتبها البعض ضمن البيبلوغرافيات.

[23]- هذا النوع من الكتابة يسمى في الشرق الإسلامي "التذكرة" مثل "تذكرة" الصفدي. ويؤكد الزبيدي أن الكناشة هي تسمية مغربية محضة ينظر "القاموس" (ك.ن.ش).

[24]- "دوزي" Dozy: Supplément aux dictionnaires Arabes، ج 2، ص 494. ينظر أيضا المنوني: "**الكناشات المغربية**" في مجلة المناهل عدد 2 سنة 1975، ينظر أيضا ابن سودة: "**الدليل**"، ج 2، ص 416.

[25]- توجد نسخة من هذه الكناشة محفوظة في الخزانة الفاسية في فاس، ينظر ابن سودة: "**الدليل**"، ج 2، ص 462.

[26]- طبعة باريس 1889، ص 80.

[27]- طبعة فاس طباعة حجرية، ص 228.

[28]- محفوظ في الخزانة العامة تحت رقم 5، 1564.

[29]- محفوظ في المكتبة الفاسية بخط المؤلف.

ولازالت أجزاء من هذه الكناشة التي اعتبرت في عدد المفقودات اليوم[30] محفوظة ضمن آثار محمد العربي الفاسي[31] وعبد الوحيد الونشريسي[32].

وتوجد بعض الكناشات على شكل سيرة ذاتية، مثل الكناشة التي ألفها أحمد زروق البرنسي الفاسي[33] (المتوفى سنة 899هـ/1493م)، وكناشة عبد الونشريسي (المتوفى سنة 955هـ/1548م) التي تمثل هذا النوع.

وفي بعض الأحيان، لم يكن الكتاب يكتفون بكناشة واحدة، فملاحظاتهم كانت كثيرة جدا بحيث كانوا يصنعون لها كناشات عديدة[34]، وهو الحال مثلا لأبي عباس أحمد بن عبد الله التناني الصويري (المتوفى 1320هـ/1902م) الذي ألف كناشتين تضمان معلومات قيمة عن العلوم الرياضية والفلكية. ونذكر من ضمن المؤلفين الذين تركوا ما بين عشرة وخمسة عشر كناشة العلامة والمفهرس أحمد بن عباس البوعزاوي (المتوفى سنة 1337هـ/1919م)[35] والعلامة محمد الكانوني (المتوفى سنة 1357هـ/1938م)[36].

إن معاينة عدد معين من الكناشات يسمح لنا باستخراج بعض مميزات هذا النوع من المكتوبات، أنجزها في الغالب أصحابها في خط نسخي مغربي، ولم يتبع أي منهج في هذه الكناشات، فهي لم تكن تتوفر على عناوين ولا حتى على الفصول، وحتى اسم المؤلف لم يكن يوجد إلا نادرا من خلال إشارات جد مبعثرة[37]. إن محتوى الكناشات يعكس في أغلب الأحيان تخصص كتابها، فالأدب يهيمن في كناشة الأديب، والفقه يهيمن في كناشة الفقيه والتاريخ يهيمن في كناشة المؤرخ.

---

[30]- أقدم الكناشات التي توجد اليوم هي كناشة محمد بن قاسم الزجالي.

[31]- شرح دليل الخيرات، ص 113، مخطوط الخزانة العامة في الرباط، 5، 1532.

[32]- الونشريسي: "**المعيار**"، ج 12، ص 177.

[33]- مخطوط خاص لعبد الحي الكتاني، ينظر "**فهرس الفهارس**"، ج 1، ص 242.

[34]- أوسع كناشة هي كناشة اليحمدي، ينظر المنوني: "**المصادر**"، ص 199.

[35]- هذه الكناشات متفرقة في مختلف الخزانات الخاصة، وتضم الخزانة الأحمدية في فاس وخزانة محمد بن عثمان الشاني نسختين مختلفتين من هذه الكناشات. ينظر ابن سودة: "**الدليل**"، ج 2، ص 469.

[36]- هناك ستة كناشات من ضمن خمس عشرة كناشة تركها العلامة محفوظة في الخزانة الأحمدية في فاس، ينظر ابن سودة: "**الدليل**"، ج 2، ص 469.

[37]- على الرغم من حالة هذه الكناشات، فقد تم الإكثار من النسخ التي تقدم فائدة أدبية كبيرة أو تاريخية ولهذا السبب فإن البعض منها يوجد في عدة نسخ في مختلف المكتبات المغربية مثل كناشة أحمد بن عبد الله الصويري.

وعلى الرغم من هذه العشوائية الملاحظة، فالكناشات تقدم معلومات قيمة ترتبط بالسيرة وخاصة ما يتعلق بالأحداث التاريخية التي أهملها المؤرخون لهذا السبب أو ذاك، وتحفظ لنا أيضا أجزاء من الكتب التي لم تصل إلينا أو التي أحيانا تكون مجهولة في الوسط العلمي. ومن بين الكناشات التي تضم وثائق تاريخية هامة نذكر كناشة محمد بن أحمد بنيس الفاسي، وهي تضم وصفا جيدا لمصحف عقبة بن نافع المكتوب في (667/647م).

ونذكر أيضا كناشة أبي حميد العربي الدمناتي التي تحتوي على ثلاث رسائل ملكية فريدة أرسلها السلطان مولاي سليمان إلى أمير طرابلس وباشا الجزائر[38]، ونذكر أيضا كناشة محمد بن القاسم الزجالي الفاسي التي هي الكناشة الوحيدة التي تضم قصائد مجهولة تعود إلى الأزمنة الوطاسية والسعدية[39]، إذ أن هناك كناشة مجهولة محفوظة في الخزانة العامة في الرباط[40]، تضم عقودا ومعاهدات تجارية واقتصادية بين المغرب وعدد من البلدان الأوربية منذ سنة (1180هـ/1766م).

وتضم بعض الكناشات معاجم كما يدل على ذلك "معجم" ابن زيدان[41]، فهو يضم تراجم المؤلفين الذين عاشوا في عهد الدولة العلوية ابتداء بأسماء "ابراهيم" وانتهاء بأسماء "سعيد"، وألحقت به تكملة تحتوي على أسماء "أحمد" و"محمد"[42].

ونظرا للأهمية والفائدة التي تقدمها هذه الكناشات فإن العديد من الكتاب أوردوها في ببليوغرافيتهم، وهذا ما جعل أحمد بابا من "تنبكت" يشير في مقدمة كتابه "نيل الابتهاج" إلى الكناشات من ضمن مراجعه. فقد ذكر العالم الإفراني كناشة أبي زيد التمنرتي (المتوفي في سنة 1060هـ/1650م) على

[38]-المنوني: الكناشات المغربية في مجلة المناهل، عدد 2، سنة 1975.

[39]- هذه الكناشة محفوظة في الخزانة الخاصة للعميد محمد الفاسي.

[40]- مخطوط محفوظ تحت رقم 2101.

[41]- محفوظ في الخزانة الملكية في الرباط تحت رقم 3172.

[42]- تجدر الإشارة إلى أن التراجم فيها جد مختصرة .

رأس المخطوطات التي استعان بها لكتابة مؤلفه "الصفوة"، واستعان الونشريسي بكناشة "الحادري" في تأليف مؤلفه الهام "المعيار"[43].

كانت الكناشات كثيرة في المغرب، وكان امتياز حفظها للمكتبات المغربية وحدها، ومازالت إلى يومنا هذا لم تشكل موضوعا لدراسة علمية خاصة[44]. وباعتبار ما تضمنه من معارف متنوعة وعديدة، فإن فهرستها ودراستها تبدو ضرورية، والنتيجة ستكون بدون أدنى شك مفيدة بالنسبة للدراسات الأدبية والتاريخية المغربية.

3.2. المجاميع

المجاميع هي المصنفات التي تضم العديد من الكتب دفعة واحدة والمصنفة كلها تحت رقم واحد، ومحتواها جد متنوع. ويمكن أن يضم أيضا "المجموع" العديد من المخطوطات التي تتناول مجالات مختلفة، ويمكن أن يضم أيضا مخطوطا فريدا، وسنعطي أمثلة على ذلك من ضمن عدد كبير جدا من المخطوطات التي توجد في مختلف المكتبات المغربية.

ونظرا للنقص في دراسة هذه المجموعات، فإننا نرى من الفائدة تحليل البعض منها والإشارة إلى الفائدة التي يمكن أن تقدمها لمختلف فئات الباحثين. إن الجرد الذي قمنا به لعدد معين من المعاجم في الخزانات المغربية، خاصة المكتبات الملكية بالرباط سمح لنا بملاحظة أن هذه المجموعات تضم تقريبا كل المجالات المعرفية التي كانت تدرس في المغرب منذ العهود الأولى في التاريخ. وعلاوة على المؤلفات الدينية التراثية، فإن تلك المجاميع تضم مؤلفات التصوف مثل الكتاب الشهير "التصوف" لابن الزيات التادلي،

[43]- منشور حاليا تحت إشراف محمد حجي من طرف وزارة الأحباس المغربية في ثلاثة عشر مجلدا والذي احتفظ بآخره في مختلف الفهارس.

[44]- تم ترتيب العديد منها أيضا حسب المنهج القديم "الوصلة" أو "التعقيبة"، فمن أجل تسهيل جمع الدفاتر، اعتاد النساخ عن أن يضعوا تحت آخر سطر من كل دفتر أول كلمة من الملزمة الموالية (الدفتر الموالي).

ويبدو أن المجموع رقم (4354) من الخزانة الملكية يحتوي على أقدم نسخة لهذا المؤلف المهم عن التصوف في المغرب في عهد الموحدين في القرن (12/6م)[45].

وتحتوي المجاميع أيضا على مؤلفات علمية في الطب والبيطرة، فنسخة قديمة جدا من كتاب "سر صناعة الطب" للرازي (المتوفي في 311هـ/823م)، توجد في المجموع المحفوظ في الخزانة الملكية تحت رقم (3477)[46]. وبعد أن قام الرازي بتحليل مهنة الطب فانه عالج في الفصل الثالث من كتابه الطريقة التي يجب أن تمارس بها هذه المهنة، وفي الخاتمة أوصى الأطباء بأن لا يكتفوا بالدراسات النظرية، وبأن يفسحوا المجال للمجهود الشخصي الذي هو ضروري لممارسة طبية جيدة، ويحتوي مجموع [47] آخر من نفس المكتبة يضم مؤلف في علم الصيدلة كتبه ابن أبو الصلت (المتوفي في 529هـ/1134م) تحت عنوان "الأدوية المفردة" وذكر فيه المؤلف بشكل خاص الأدوية الصالحة لتصفية الدم.

وتشمل المجاميع، في بعض الأحيان، مخطوطات أصلية منسوخة بيد أصحابها، ومن ضمن محتويات أحد"مجاميع" خزانة الزاوية الحمزاوية توجد فهرسة أعمال الإمام السيوطي (المتوفي سنة 911هـ/1505م) كتبها هو بنفسه[48]. ووجدت الفهارس أيضا في هذه المجاميع، نذكر منها فهرسة عبد القادر الفاسي (المتوفي سنة 1091هـ/1680م)[49]. وفهرسة ابن الغازي (المتوفي سنة 919هـ/1513م)[50]، وفهرسة المنجور (المتوفي سنة 905هـ/1587م)[51]، وأخيرا فهرسة أحمد بن الخياط الزكاري (المتوفي سنة 1343هـ/1924م)[52]، وتحتوي المجاميع أيضا على رحلات أكبر الرحالين المغاربة مثل العبدري[53] والغساني (المتوفي سنة 1119هـ/1707م)[54]، وعلى مؤلفات التراجم مثل كتاب "الوفيات" لابن القنفذ القسطنطيني

---

[45]- يشغل "التشوف" 130 صفحة من "المجموع"، ترجمة خصصها المؤلف للمتصوف الكبير أبو العباس السبتي (601هـ/1204م) وأنهى كتابه بهذه الترجمة.

[46]- يشغل الكتاب الصفحات من 132 إلى 150 من المجموع.

[47]- مجموع رقم 1716.

[48]- المنوني: "مكتبة الزاوية الحمزاوية"، في مجلة تطوان، عدد 8، سنة 1963.

[49]- مجموع الخزانة الملكية رقم 3706، تشغل فيه الفهرسة 14 صفحة.

[50]- مجموع الخزانة الملكية رقم 7247، تشغل الفهرسة التي أنجزت بخط مغربي 51 صفحة.

[51]- مجموع الخزانة الملكية رقم 5164، تشغل الفهرسة 20 صفحة.

[52]- مجموع الخزانة الملكية رقم 3771، تشغل الفهرسة 16 صفحة.

[53]- مجموع الخزانة الملكية رقم 224، تشغل الرحلة 336 صفحة من المجموع.

[54]- مجموع الخزانة الملكية رقم 3637، تشغل الرحلة 68 صفحة.

(810هـ/1407م)[55]، وكذا مؤلفات مرتبطة بالأولياء مثل كتاب "الدر النفسي والنور الأنيس من مناقب إدريس بن إدريس" لأحمد بن عبد الحي الحلبي الفاسي[56] (المتوفي في القرن 12هـ/18م). فالكاتب يضمن فيه سيرة وفضائل الإمام إدريس ونسبه ودخوله إلى المغرب وبلوغه الحكم وعمله السياسي والإجتماعي.

وبالإضافة إلى كتب التاريخ[57]، فإن المجاميع تحتوي على وثائق تتعلق بالتاريخ في المغرب، وهي بشكل خاص النصائح والهدايا والرسائل التي كان يتبادلها الملوك مع العلماء، والكتاب، والحكام، ونذكر على سبيل المثال قطعة محفوظة في "مجموع" من المكتبة الملكية تتعلق بتمرد السكان بفاس ضد الملك مولاي سليمان[58]. وتفسر هذه الوثيقة المكونة من خمس صفحات أسباب التمرد، واعتراف الفاسيين بإبراهيم بن زياد سلطانا، وتضم أيضا اسم توقيعات التبعية للملك الجديد. وعلى المستوى التاريخي فهذه القطعة التاريخية تسلط الضوء على حدث ربما لم يتعمق فيه المؤرخون المغاربة كثيرا. ويحتوي مجموع[59] آخر على وصية من السلطان العلوي مولاي سليمان موجهة إلى حكامه وإلى شعبه حيث دعاهم إلى إتباع تشريعات الإسلام والتعامل بمبادئه.

ومن ضمن الرسائل التي كان السلاطين يبعثونها أو يتوصلون بها والتي مازالت محفوظة في المجاميع، نشير إلى الرسائل الخمسة التي بعثها الملك سليمان إلى ابنه المامون حاكم تافيلالت في الجنوب الشرقي للمغرب، والتي شمله فيها بنصائحه[60]. ويضم مجموع آخر رسالة كتبها العلامة الحسن اليوسي إلى الملك مولاي إسماعيل، ينصح فيها الكاتب السلطان بأن يطبق في أحكامه مبادئ القرآن الكريم وأحاديث رسول الإسلام[61].

---

[55]- مجموع الخزانة الملكية رقم 3681، يشغل فيه المخطوط 15 صفحة، تحدث فيه المؤلف عن موت صحابة الرسول والعلماء والمحدثين ابتداء من بداية الإسلام إلى العقد الأول من القرن (9هـ/15م)، وقد حققه ونشره محمد حجي في الرباط سنة 1976.

[56]- مجموع الخزانة الملكية رقم 382، يحتل المؤلف 205 صفحة من المجموع.

[57]- يضم مجموع المكتبة الملكية رقم 3654 كتابا عن تاريخ مدينة مكناس بعنوان "محاضرة الأكياس بملخص تاريخ مكناس" لإبن زيدان (المتوفي سنة 1946).

[58]- مجموع رقم 3772. وثيقة خروج أهل فاس على السلطان مولاي سليمان ومبايعتهم لمولاي إبراهيم بن زياد.

[59]- مجموع الخزانة الملكية رقم 3663. وصية السلطان مولاي سليمان إلى الولاة والرعية.

[60]- مجموع الخزانة الملكية رقم 120، تشغل الرسائل 57 صفحة من هذا المجموع.

[61]- مجموع الخزانة الملكية رقم 9249.

لقد كانت المجاميع عديدة في المكتبات المغربية، فلم تكن خزانة عامة أو خاصة لا تتوفر على البعض منها، وإذا كانت بعض الخزانات قد فهرست ورقمت مجاميعها، فإن الأخرى وخاصة الخزانات الخاصة لم تفعل ذلك، إن الترقيم والفهرسة ضروريان لوصف المجاميع التي تخفي بدون أدنى شك ثروات مدهشة، ولازال الكثير للقيام به في هذا المجال، كما هو الأمر بالنسبة "للكناشات" فإن الباحث سيجد في نفض الغبار عن هذه الوثائق الجليلة فائدته ولذته.

II. المخطوطات النادرة

تشكل المكتبات في المغرب منجما للاكتشافات، رغم معاناتها من نوائب الدهر، فلم يتبق، تقريبا، شيئا من مجموعاتها القديمة، وفي الواقع مازالت المكتبات التي بقيت أو بقي جزء منها تحتفظ بثروات كبيرة تعود إلى العصر الوسيط ومجموعات كبيرة تشهد على أهمية الحضارة الإسلامية في هذا البلد. ومن أجل إعطاء فكرة واضحة عن هذه النوادر التي تضمها هذه الخزانات يبدو لنا من المفيد أن نقسمها إلى ثلاثة أصناف: أولا المصاحف أو نسخ القرآن، وبعد ذلك النسخ المنتسخة بيد مؤلفيها أو المخطوطات الأصلية، والمخطوطات النادرة أو الفريدة، وأخيرا مخطوطات المؤلفين اليونانيين واللاتينيين المحفوظة حسب الباحثين في المكتبات المغربية.

1. المصاحف

سبق أن قلنا أن كلمة مصحف التي ستشير فيما بعد إلى النص القرآني الكامل فقط، كانت تشير عموما في القرون الأولى من الإسلام إلى الكتاب المجلد[62]، وما يهمنا هنا هو الانتقال الدلالي الذي جعل اللفظة تنتهي بالدلالة على الكتاب المقدس لدى المسلمين، ففي كل الأقطار الإسلامية فإن الكتاب المثالي في نظر المسلمين هو الذي يشكل نواة كل مكتبة، وهو بطبيعة الحال القرآن.

[62]- تنظر الصفحة 11 الهامش (1).

وسبق أن رأينا أن مجموعات المكتبات الأولى في الإسلام كانت مكونة من نسخ من القرآن موضوعة رهن إشارة المسلمين الراغبين في تلاوة الكتاب المقدس في المساجد، شأنهم شأن المشارقة فإن المغاربة قد أولوا الكتاب المقدس أهمية كبيرة، وقد ظهر هذا بشكل خاص في نسخ ومضاعفة النسخ القرآنية من طرف كبار النساخ، وفي بعض الأحيان قام بذلك الخلفاء أنفسهم كما يظهر ذلك "المصحف" الذي أنجزه العاهل الموحدي "عمر المرتضى" وأوقفه في أحد مساجد مراكش[63]، وعلاوة على إنجاز "المصاحف" كان الملوك المغاربة يشيدون الخزائن الخاصة بهم لحماية نسخ القرآن.

ويعزى المشروع الأول للخليفة المريني أبي عنان الذي وبعد أن أسس أول خزانة كتب كبيرة للقرويين سنة (750هـ/1349م)، أمر بأن تبنى خزانة صغيرة أخرى تضم فقط القرآن الكريم[64]، وقبل الحديث عن المصاحف الأكثر أهمية والأكثر قدما والفاخرة في أغلفتها وزخارفها والمحفوظة في المكتبات المغربية، من المفيد أن نقول كلمة عن المصحف الشهير للخليفة عثمان، ومصحف عقبة بن نافع اللذين بقيا زمانا في المغرب[65]. ومن أجل أن يضع حدا لخلافات المسلمين حول قراءة وكتابة القرآن، بث الخليفة الراشدي عثمان (35 هـ/656 م) في الضبط النهائي للكتاب المقدس، وكتب أربع نسخ ووزعها على عواصم العالم الإسلامي[66].

وتم العثور على النسخة التي أرسلت إلى البصرة أو إلى الكوفة في قرطبة في إسبانيا،[67] وحينما أصبحت هذه المدينة تابعة للمغرب نقل العاهل الموحدي عبد المومن هذا المصحف إلى مراكش عاصمة الدولة الحاكمة سنة (552هـ/1158م). وبخصوص تاريخ البحث عن هذه النسخة فنحن ندين لابن خلدون بالتفاصيل التالية: «لقد احتفظ ورثة عبد الرحمان، مؤسس الدولة الأموية بالمصحف العثماني مع ذخائرهم في قرطبة؛ فالمرابطون أخذوه في الفترة التي عرفت خلع كل الأمراء الصغار الذين كانوا

---

[63]- ينظر وقف الكتب.

[64]- الجزنائي: "**زهرة الأس**"، ص 76.

[65]- إنها المصاحف الأولى التي جمعت في الإسلام.

[66]- قال مؤرخون آخرون بأن الأمر يتعلق بست نسخ وضعها عثمان في ستة مساجد في العالم الإسلامي.

[67]- حسب ابن عبد المالك، قال أبو القاسم التجيبي السبتي بأن نسخة دمشق كانت في مسجد الأمويين في هذه المدينة التي رآها فيها سنة 637هـ/1258م، وأيضا فإنه رأى نسخة مكة في الكعبة. وسيكون المصحف موضوع الكلام هو مصحف البصرة أو الكوفة. ينظر الناصري: "**الإستقصا**"، ج 2، ط 1954، ص 127.

مقسمين على الأندلس؛ انتزع هذا المصحف من المرابطين من طرف الموحدين وسقط في يد عبد الواحد، وهو الآن في خزائن بني مرين بفاس »[68].

لقد كان هذا المصحف موضوع احترام كبير خاصة في عهد الموحدين، فقد كانوا يحملون هذا المصحف أينما ذهبوا « كانوا يحملونه على ناقة حمراء عليها من الحلي النفيس وقطع من الديباج النفيس التي تمثل قيمة هامة، وكان يوضع على ديباج أخضر على جانبه يوجد عصيان عليهما لواءان أخضران أطرافها[69] العليا مزينة بتفاح مصنوع من الذهب». ولم نعد نسمع أبدا منذ القرن الرابع عشر الميلادي بمصحف عثمان[70].

والمصحف الثاني هو لعقبة بن نافع الذي نسخ على ضوء مصحف عثمان في سنة (47 من الهجرة). وكان أول مصحف معروف في المغرب، وكان سيبقى في المكتبة الملكية لو لم يبعثه الملك العلوي مولاي عبد الله ضمن مجموعة من الكتب النفيسة إلى المدينة ليوقفه هناك[71]. والمصحف الآخر الذي يبجله المغاربة هو الذي نسخه بيده ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية، وكان يحتل عندهم المكانة الثانية بعد مصحف عثمان، يقول صاحب المعجب «وخلف الناقة (التي تحمل مصحف عثمان) يسير بغل مزين أيضا حامل لنسخة الكتاب المقدس يقال إنه بخط ابن تومرت أقل إشعاعا من نسخة عثمان ومحلى بفضة مذهبة»[72].

ويجب الإشارة أيضا للمصحفين اللذين أرسلهما الخليفة الأيوبي صلاح الدين كهدية لأمير المؤمنين الموحدي يعقوب المنصور (594هـ/1197م)[73]، هذان المصحفان أنجزا بخط مشرقي متناسق يسمى "الخط المنصوب"، هذا النوع من الخط مستحسن عند المشارقة. وكانت المكتبات الكبرى تتباهى بتوفرها في مجموعاتها على مخطوطات مكتوبة بهذا الخط.

بعد أن زينت بها مختلف الخزانات المغربية، هناك مصاحف أخرى للأسف تم نقلها إلى المكتبات الأجنبية نذكر على سبيل المثال المصحف الذهبي المرسوم بالمداد المعنبر لصالح خزانة الملك السعدي

---

[68]- ابن خلدون: "**العبر**"، ج 7، ص 87. ينظر أيضا "ألفردبيل"A.Bel "**تاريخ ملوك تلمسان**" Histoire des rois de Tlemcen، ج 1، الهامش 2، ص 153.

[69]- المراكشي: "**المعجب**" 166 من النص 219 المترجم.

[70]- ظن البعض أنه ضاع لحظة غرق السفينة التي كانت تعود بالعاهل المريني أبو الحسن من تونس إلى المغرب. ينظر الناصري: "**الإستقصا**"، ج 2، ط 1954، ص 129.

[71]- اختفى مصحف عقبة اليوم من المدينة، ينظر بهذا الخصوص مؤلف الزياني: "**البستان الظريف**"، أحداث سنة 1152هـ مخطوط المكتبة الملكية رقم 242.

[72]- المراكشي: "**المعجب**" 367، ويحدث عن ذلك ابن أبار أيضا في "**الذيل والتكملة**" فهذا المصحف لم يصل إلينا.

[73]- الناصري: "**الإستقصا**"، ج 2، ص 182، ط 1954.

أحمد المنصور، هذا المصحف انتهى مثل مجموعة أخرى إلى المكتبة الإسكوريالية في إسبانيا. وهناك مصحف آخر أنجز بماء الذهب لخزانة الأمير علي حفيد الملك العلوي مولاي إسماعيل محفوظ اليوم في الخزانة الوطنية للقاهرة (دار الكتب)، وهناك مصحف آخر مكتوب بخط مغاربي وأنجز على الرق سنة (975هـ/1567م) لفائدة خزانة الخليفة السعدي عبد الله الغالب وهو محفوظ اليوم في المتحف البريطاني في لندن[74].

ومع ذلك، استمرت المكتبات المغربيات في الاحتفاظ في خزائنها بمصاحف لم تكن أقل أهمية، فالمكتبة الملكية مثلا تحتوي على مصحف نفيس[75] مكتوب بخط أندلسي ومنجز على جلد الغزال سنة (573هـ/1177م)، الخزانة نفسها تضم قرآنا آخر بكتابة كوفية ومنجز على الرق بدون تاريخ النساخة، هذا الأخير "المصحف" يعود على ما يبدو إلى القرون الأولى من الهجرة.

وتتوفر المكتبة العامة منذ وقت بعيد على نسخة قيمة لجزء من القرآن للخليفة أبي زيان في تلمسان،[76] هذا المصحف يستحق أن يذكر نظرا لقيمته الجمة ولفوائده التاريخية التي يقدمها فهو يعود إلى العصر الوسيط، وبالفعل فنحن نقرأ في أسفل الدفة للصفحة الصيغة التالية: «كمل الجزء الأول من الكتاب المبارك، الذي نسخه أمير المسلمين أبوزيان محمد بيده بعاصمته مدينة تلمسان، حفظها الله تعالى! وفي سنة (801هـ/1398م) جزاه الله خيره». وفي آخر سنة من حكمه رسم هذا الملك بيده أوائل سور القرآن، هذه المبادرة الملكية مستوحاة من الشعور بالوازع الديني، وأكد "ليفي بروفنصال" أن هذا المصحف قد اكتشف فجأة في حانوت كتبي عربي في الدار البيضاء[77].

---

[74]- Suppléments to the Catalogue of Arabic Manuscript، ص 43، رقم 68، هذا المصحف معروض ضمن المخطوطات العربية في القاعة الكبيرة لخزانة المتحف البريطاني.

[75]- مصحف محفوظ تحت رقم ز 3592.

[76]- مصحف محفوظ تحت رقم 1330.

[77]- بروفنصال L.Provençal: "مصحف ملكي من القرن الرابع عشر" "Un Coran du XIV^{ème} siècle" في مجلة هسبريس 1921. ويجب الإشارة إلى أن هذا المصحف المذهب قد أنجز على رق الغزال في تلمسان عاصمة بني عبد الواد.

لم توجد مكتبة عامة أو خاصة في المغرب لم تضم قرآنا مخطوطا على قدر من الأهمية، وسنرى أنه على الرغم من دخول المطبعة إلى المغرب، فقد استمر النساخ في إنجاز مصاحف إلى حين النصف الثاني من القرن العشرين.

ورغم هذا فإن القرآن لم يكن الكتاب الوحيد الذي كان يحظى باحترام كبير من لدن الخلفاء وأصحاب المناصب العليا في المغرب على مر العصور، ونظرا لما كان يوليه هؤلاء من أهمية للكتب المقدسة الأخرى، فإنهم لم يكونوا يترددون في نسخ وشراء وتسلم في إطار هدايا التوراة أو الإنجيل. وقد أطلعنا "دوفر دان" أن المستشرق الإيطالي "إربنيوس" أعطى للملك السعدي إنجيلا مكتوبا باللغة العربية[78] وقال "ليون غودار" أن "جوليوس" تلميذ "إربنيوس" أهدى نفس الملك نسخة من "العهد الجديد"[79].

فإذا كانت هذه الأناجيل انتهت إلى مكتبة الإسكوريال، فإن أناجيل أخرى أكثر قدما احتفظ بها في مجموعة من الخزانات المغربية. ففي (1934م) عثر مكتبي مساعد في قاعة مغبرة بخزانة القرويين بفاس على إنجيل مكتوب بالعربية يعود إلى القرن الخامس الهجري أو الحادي عشر ميلادي، وتوجد في الورقة الأولى منه علامة التملك باسم ابن حزم في قرطبة[80].

إن الكتب المقدسة وخاصة القرآن التي كانت موضوعا اهتمام وحظيت باحترام خاص من جانب جامعي الآثار ومحبي الكتب وأصحاب الخزانات القيمة، تشهد على غنى هذه المؤسسة العلمية المغربية عبر التاريخ.

2. المخطوطات المنتسخة بيد مؤلفيها و المخطوطات المأخوذة عن الأصول والمخطوطات النادرة والفريدة

1.2. المخطوطات المنتسخة بيد مؤلفيها

[78]- دوفردان deverdun: مراكش "Marrakech" ج 1، ص 435. ينظر أيضا "دوكستر" De castries "**المصادر الدفينة لتاريخ المغرب**" S.I.H.M، السلسلة الأولى الأراضي المنخفضة 3.

[79]- غودار (L)Godart: "تاريخ المغرب ووصفه" Description et histoire du Maroc، ص 483.

[80]- العراقي: "مكتشفات القرويين" في مجلة المغرب 1934، ويضم هذا العهد الجديد أربعين صحيفة مكتوبة بخط أندلسي ومنجزة على رق الغزال.

المخطوط المنتسخ بيد مؤلفه هو المخطوط الأصلي الذي أنجز بيد المؤلف نفسه أو الذي نسخه أحد تلامذته تحت إشرافه، والمقابل في اللغة العربية لهذا المصطلح هو "المبيضة"[81]، يعني النسخة التي انتقلت من حالة الوسخ أو "مسودة" إلى حالة التحرير النهائي، فالمغاربة على غرار المشارقة، بحثوا دائما بشغف عن المخطوطات المنتسخة بخط العلماء البارزين والشيوخ الكبار، وتشهد على ذلك مجموعة محمد بن أحمد السباعي المراكشي في القرن السادس الهجري والثاني عشر ميلادي[82]، فالشغف الذي كان عند القدامى لهذه المخطوطات الأصلية والمجهودات التي كانوا يوظفونها للحصول عليها مكنت المكتبات المغربية المعاصرة من أن تكون من بين أغنى المكتبات في العالم العربي. وسنذكر بعض الأمثلة محاولين وصف وتحليل الذي بقي مجهولا منها.

باعتبار أن القرآن لا تنطبق عليه مسألة النسخة المنتسخة بيد مؤلفها يبدو لنا ضروريا حسب التصنيف العربي أن نبدأ بذكر مؤلفات الأحاديث النبوية المحفوظة على هذا الشكل. فقد أخبرنا العالم المغربي البارز المختار السوسي أنه وجد في مكتبة في "سوس" جنوب المغرب، نسخة قديمة جدا من "المدونة"[83]، وبعد دراسة معمقة للمؤلف ولخطه ولمحتوياته، تيقن أنه اكتشف المخطوط الأصلي للمدونة[84] كتبه سحنون نفسه (المتوفى سنة 240هـ)[85].

فالكثير من المؤلفات المرتبطة بالفقه وأصول الدين، حررت بيد أصحابها وهي محفوظة إلى يومنا هذا في خزاناتنا، فمكتبة بن يوسف في مراكش تحتوي على مخطوط مبتور يعود إلى القرن (6هـ/12م)، ويتعلق الأمر بمجموعة من الشروحات حول بعض رسائل ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين. أعطى مؤلف هذا المخطوط الأصلي اسم أبو بكر وأعطى لابن تومرت اسم "المعصوم"، ويظهر من هذا المؤلف أن

---

[81]- المبيضة هي بالضبط النسخة المحررة التي قرر المؤلف نشرها.

[82]- تنظر الصفحتان 48 و 49.

[83]- كل الذين يهتمون بالفقه الإسلامي كثيرا أو قليلا يعرفون على الأقل اسم "المدونة"، العمل الكبير للإمام مالك بن أنس، مؤسس المدرسة المالكية، فليس هناك مؤلف ضمن مؤلفات الفقه المتعلقة بالمذهب المالكي لم تذكر فيه "المدونة" في كل باب منه، وهو في الواقع المصدر الذي نرجع إليه حينما نريد أن نعرف رأي ابن مالك في مسألة معينة.

[84]- لقد تركت المدونة الأولى المسماة "الأسدية" والتي كتبها الفقيه أسد بن الفرات (المتوفى سنة 213هـ) مكانها لمدونة أخرى لاحقة هي مدونة سحنون، فهما كانا تلميذان لابن قاسم الذي كان تلميذا لمالك.

[85]- المختار السوسي: "**من خلال جزولة**"، ج 3، ص 36.

الكاتب كان جد مطلع على منشورات كبار الأصوليين والشعراء. فالمؤلف كان جد مهم لمن يريدون معرفة وجهة نظر الموحدين حول الجدل وخاصة حول "القياس" و"الاجتهاد"[86] وقد وجد المكتبي المغربي إبراهيم الكتاني في المسجد الكبير بتازة رزمة من الأوراق المختلطة، وبعد ترتيب مضن تبين له أنها تحتوي تقريبا حوالي عشرين رسالة تعود إلى الفترة الموحدية، وكتب أغلبها ابن تومرت (524هـ/1113م). وأغلب ما وجد في تلك المجموعة سبق أن نشر في كتاب ابن تومرت تحت عنوان "أعز ما يطلب" الذي طبع في الجزائر سنة (1311هـ/1903م)، ومع ذلك فقد كانت مجموعة من الاختلافات بين ما تم إيجاده وما تم طبعه، وهذا لا يمنع من أن الرسائل الموجودة تشكل المخطوط الأصلي لهذا الإمام الكبير[87].

ومن بين مؤلفات التاريخ والأدب المحفوظة بخط مؤلفيها نذكر الأجزاء الثلاثة من كتاب "العبر" أو "تاريخ البرابرة"، هذا المؤلف كتب سنة (791هـ/1388م)، وأهداه ابن خلدون لمكتبة القرويين[88]. فقد أشار "غربري دي همصو" (يعقوب) Graberg di hemso (jacob) (المتوفى سنة 1847) في كتابه Notizia in torno alla famosa opera istorica لأول مرة منذ ما يفوق مائة سنة إلى وجود نسخة من كتاب العبر في فاس لابن خلدون، ومن خلال نشر هذا المؤلف الهائل تبين لنا أصالة الهدية: فنحن نعثر فيه على شهادة صريحة للمؤرخ والذي كتب في بداية مقدمته: «أرسلت عملي هذا لمكتبة المرينيين كوقف لفائدة الطلبة في مسجد القرويين في فاس، عاصمة مملكتهم ومقر حكومتهم....»[89]. ونذكر أيضا المؤلفين الكبيرين للمقري (1041هـ/1632م) المحفوظين بخط صاحبهما في المكتبة الملكية بالرباط، ونعني "نفح الطيب"[90]، و"روضة الآس"[91] فالكتاب الأول هو خزانة تاريخية أدبية في إسبانيا تحت هيمنة العرب، وينقسم إلى قسمين، خصص القسم الأول للتاريخ والأدب العربي في الأندلس، وخصص القسم الثاني لترجمة ابن الخطيب[92]،

86- الكتاني: "**أقسام الوثائق**" Les Sections d'Archives، مجلة هسبريس تمودا، المجلد 9، الملزمة 3، سنة 1968، ص 466.

87- نفسه.

88- محفوظ في القرويين تحت رقم 1266، ينظر "ألفردبيل" A.Bel: "فهرس المخطوطات العربية في القرويين" "Catalogue des Mss Arabes de la Qarawiyyin"، ص 6، الهامش 4، بعد معاينة المخطوط يجب أن نوضح أن ابن خلدون قد كتب فقط الوقفية التي توجد في المجلد الخامس.

89- بروفنصال L.Provençal: ملاحظة عن "كتاب العبر" في المجلة الأسيوية سنة 1932.

90- محفوظ تحت رقم 6273.

91- محفوظ تحت رقم 220.

92- يزعم المصريون أن المخطوط الأصلي لنفح الطيب محفوظ في الخزانة الوطنية في القاهرة (دار الكتب).

والمؤلف الثاني هو "روضة الآس" العاطرة الأنفاس في ذكر ما لقيته من أعلام الحضارتين مراكش وفاس، مثل نفح الطيب هذا المؤلف أيضا هو مكتبة تاريخية أدبية فيها تراجم العلماء والأدباء الذين التقى بهم المقري في فاس ومراكش في النصف الأول من القرن (11هـ/17م).

وبعد أن ذكر الأعمال المحمودة والمنشآت الكبيرة التي أمر بإنجازها الخليفة السعدي أحمد المنصور، ذكر المقري أسماء العلماء الكبار في الفترة مثل عبد العزيز الفشتالي صاحب "مناهل الصفا"، وأحمد المصفيوي، وأبو القاسم الوزير الغساني، وأحمد ابن قاضي، وأحمد بابا التنبكتي. هذه النسخة من روضة الآس محفوظة في المكتبة الملكية بالرباط هي في نفس الآن مخطوط أصلي بيد المؤلف نفسه، وهي أيضا المخطوط الفريد الذي يوجد في العالم[93].

ومن بين المؤلفات التاريخية الأخرى المحفوظة بخط كتابها نذكر: "الروضة المتون" لمحمد أحمد بن غازي العثماني المتوفي سنة (919هـ/1513م)، إنه مؤلف يعالج فيه ابن غازي تاريخ مكناس مدينة ولادته؛ ووصف فيها حقول الزيتون، والمدارس القديمة، والزوايا، وأنهى كتابه بالوصف الذي أعطاه ابن الخطيب لهذه المدينة، والذي نجده في كتابه "نفاضة الجراب" وكتابه "ريحانة الكتب"، ووجدت نسخة من هذا المؤلف في مكتبة ابن زيدان في مكناس[94]. ونذكر أيضا "تاريخ الضعيف الرباطي" يسرد فيه المؤلف تاريخ الدولة العلوية من عهد مؤسسها مولاي شريف علي الحسني السجلماسي إلى حكم المولى سليمان، وبالضبط إلى سنة (1236هـ/1820م)، واحتفظ بالمخطوطات الأصلية في الخزانة الأحمدية في فاس[95]. وكل النسخ الأخرى لهذا المؤلف توجد في المغرب نسخت من مخطوط فاس.

وتحتفظ المكتبات المغربية على العديد من الرحلات في مخطوطات أصلية ونذكر على سبيل المثال مخطوط عبد الرحمان الشاوي تحت عنوان "رحلة القاصدين ورغبة الزائرين"، وهي رحلة إلى مكة قام بها

---

[93]- حقق "**روضة الآس**" عبد الوهاب بن منصور، ونشرتها المطبعة الملكية في الرباط سنة 1964/1383.

[94]- تم دمج هذه الخزانة الهامة في الخزانة الملكية بالرباط، والمخطوط الأصلي محفوظ في الرباط في المكتبة الملكية، وطبع حجريا في فاس، وفي سنة 1964 اعتنى بتحقيقه عبد الوهاب بن منصور: ينظر "**الدليل**" لابن سودة، ج 1، ط 1960، ص 52.

[95]- ابن سودة: "**الدليل**"، ج 1، ص 137-138.

المؤلف سنة (1149هـ/1729م)، هذا المخطوط الأصلي محفوظ في الخزانة الملكية في الرباط[96]. وتضم نفس الخزانة النسخة الأصلية والفريدة لرحلة أخرى قام بها إلى مكة محمد بن عبد السلام الناصري المتوفى سنة (1239هـ/1823م) والتي عنوانها:"الرحلة الحجازية الكبرى". نسخ هذا المخطوط بيد المؤلف سنة (1199هـ/1784م)[97].

ومن ضمن مؤلفات النحو، والمعاجم، وفقه اللغة المحفوظة بالخط الأصلي في المغرب، سنذكر: "العباب الزاهر واللباب الفاخر"[98] لابن الحسن ابن محمد القرشي الصغاني (المتوفى سنة 650هـ/1252م)، وهو معجم كبير في عشرين مجلد حفظ أربعة منها في خزانة القرويين[99]، ونذكر أيضا "ضوء الصباح لتكميل الإيضاح" لابن القاضي المتوفى سنة (1022هـ/1613م)، وهو تكملة لألفية ابن مالك، وحرره ابن القاضي نفسه ومحفوظ في مجموع في المكتبة الملكية[100].

وفيما يخص مؤلفات التراجم يكفي أن نذكر النسخة الأصلية "لنيل الابتهاج" لأحمد بابا التنبكتي (1036هـ/1627م) حرره بنفسه سنة (1596/1005)، وهو محفوظ في المكتبة الملكية[101]. هذا المؤلف هو تكملة لكتاب "الديباج" لابن فرحون المتوفى سنة (799هـ/1396م)، الذي ألفه أحمد بابا في مراكش وأهداه للخليفة السعدي أحمد المنصور الذهبي (1012هـ/1603م)[102].

نماذج المخطوطات الأصلية التي وقفنا عليها هي من الكتب القيمة، فإذا كانت المخطوطات الأصلية في العهود الأولى نادرة، فإنها أصبحت متعددة في القرون الأخيرة. فمازالت المخطوطات الأصلية للكتاب في القرن الثامن عشر والتاسع عشر مثل الزياني وأكنسوس محفوظة إلى يومنا هذا في مكتبتنا، فالخزانة العلوية حفظت لنا أغلب المخطوطات الأصلية للمؤلفات التي ألفها أمراء وملوك الدولة العلوية. ونذكر

---

[96]- مخطوط محفوظ تحت رقم 5656.

[97]- المخطوط الأصلي محفوظ في المكتبة الملكية تحت رقم 5658.

[98]- مخطوط أصلي منجز بخط مغربي ومحفوظ في الخزانة الملكية تحت رقم 2835.

[99]- العدد 13 و 14 وعدد آخر مبتور الأول.

[100]- مجموع رقم 1/53 من الصفحة 1 إلى الصفحة 42.

[101]- محفوظ في المكتبة الملكية تحت رقم 2358.

[102]- توجد في الخزانات المغربية عدد من المؤلفات قام بكتابتها أزيد عن 15 مؤلف من إفريقيا الغربية، سودان المغاربة، يوجد تقريبا 300 مجلد.

على سبيل المثال: " اقتطاف الأزهار من حدائق الأفكار"، وهو مؤلف أبي وشعري ألفه وخطه بيده الأمير العلوي عبد السلام بن محمد الثالث بن عبد الله المتوفى سنة (1228هـ/1813م)[103]. ونذكر أيضا مؤلف الملك مولاي سليمان المتوفى سنة (1238هـ/1822م): "عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد"، وهو مؤلف يتحدث عن تاريخ هذه العائلة الكبيرة منذ وصولها إلى المغرب في القرن (9هـ/15م) إلى نهاية القرن (18م)[104].

ومازالت خزانات الزوايا تضم هي أيضا إلى اليوم مستنسخات أصلية لكل مؤلفات شيوخ هذه المؤسسات تقريبا الذين كانوا مؤلفين بارزين ومفسرين كبار.

إن عدد النسخ الأصلية المحفوظة في المغرب كانت ذات أهمية كبيرة بالنسبة للباحثين الراغبين في إنشاء نص أو تحقيق كتاب. فالطبعة العلمية[105] الحديثة لمؤلف معين ستكون ذات فائدة كبيرة إذا كانت تعود إلى المخطوط الأصلي للكتاب أو إلى نسخة أصلية، يعني نسخة تمت نساختها من نسخة المؤلف، فالمخطوطات الأصلية أو المخطوطات المأخوذة عن الأصول، هي بالفعل جديرة بالثقة وهامة عند القيام بالجمع أو التصحيح.

2.2. المخطوطات المأخوذة عن الأصول

النسخة المأخوذة عن الأصول هي نسخة لمكتوب أصلي، وهذه النسخ عديدة بالمقارنة مع النسخ التي نسخها مؤلفوها في المكتبات المغربية، والصيغة "هذه النسخ قد قوبلت مع النسخة الأصلية في السنة كذا" التي توجد في الأسفل أو في متن الكتاب تسمح لنا باعتبار هذه النسخة مأخوذة من الأصل، ومن بين النسخ القديمة المأخوذة عن الأصول والمحفوظة في المغرب، جزء من كتاب "النوادر والزيادات على ما في المدونة في موضوع الإقرار" لابن أبي زيد القيرواني (386هـ/966م)، هذه النسخة التي يوضح لنا أسفلها أنه أعيد

[103]- مخطوط أصلي محفوظ في الخزانة الملكية تحت رقم 106.

[104]- مخطوط محفوظ في المكتبة الملكية تحت رقم 9978، بعض النقاد شككوا في نسبة هذا الكتاب للملك مولاي سليمان، ينظر الفيلالي A.Filali: "تاريخ المفترى عليه في المغرب".

[105]- للأسف فإن التحقيق العلمي للكتب في المغرب يتم في بطء، فعدد كبير من المخطوطات المحفوظة في الخزانات تستحق أن تكون محققة تحقيقا علميا حديثا.

نسخها وقوبلت مع المخطوط الأصلي للمؤلف سنة (393هـ/1002م)[106] "إيضاح السبيل من حديث سؤال جبريل" لابن الزبير الثقافي الغرناطي المتوفى سنة (707هـ/1308م)، هذا المخطوط يخبرنا متنه أنه كتب في حياة المؤلف محمد بن عبد الواحد الأموي (سنة 960 هجرية) وقوبل بالأصل[107]، "زهر الأكم في الأمثال والحكم" لأبي على اليوسي (1102هـ/1691م) هذه النسخة يبين لنا أسفلها أنها قوبلت بالنسخة الأصلية[108].

وتعد "التكملة" لابن عبد البر المتوفى سنة (658هـ/1260م) من ضمن النسخ المأخوذة عن الأصول في الخزانة الملكية في الرباط، وهي تكملة لكتاب "الصلة"[109] لابن بشكوال (1518هـ/1183م)، سطر فيه المؤلف تراجم العلماء والشخصيات الأندلسية غير المذكورة في كتاب ابن بشكوال، فنحن نقرأ في وجه صفحة المقدمة: هذه النسخة قوبلت مع الأصل أو "المبيضة" للمؤلف بإشراف محمد بن بكر الأنصاري التلمساني الجمعة 10 من شهر جمادى الثانية سنة 661 هجرية و1262 ميلادية. ويخبرنا جرد متنها أنه راجعها سعيد ابن الأمير حكم ابن سعيد القرشي حاكم ميروقة في إسبانيا سنة (662هـ/1263م)[110].

"تاج المفرق في تحلية علماء المشرق" لخالد عيسى البلوي المتوفي حوالي (775 هجرية)، هي رحلة قام بها في الشرق الأوسط من (736 إلى 740) من الهجرة، وصف فيها الكاتب البلدان التي عبرها، وذكر العلماء الذين التقى بهم، والجدالات التي خاضها معهم. ومن خلال جرد متن هذه النسخة يتبين أنها قوبلت مع المخطوط الأصلي حفيد المؤلف خالد بن أحمد خالد البلوي سنة (819هـ/ 1416م)[111].

تحتوي المكتبات المغربية على عدد من المخطوطات المكتوبة في حياة أصحابها حسب المتن، ولكن لا شيء يدلنا على أنها نسخ نسخها مؤلفوها أو نسخت عن الأصول، وسنعطي ثلاث نماذج مأخوذة من ثلاث

---

[106]- الفاسي: "**فهرس القرويين**"، ج 1، ص 32.

[107]- مخطوط مكتوب بخط أندلسي جميل، محفوظ في الخزانة الملكية تحت رقم 10901.

[108]- مخطوط المكتبة الملكية محفوظ تحت رقم 680، قام بتحقيقه محمد حجي في ثلاث مجلدات، البيضاء 1981.

[109]- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس هو بدوره تكملة لكتاب ابن الفرضي عن علماء الأندلس.

[110]- هذه النسخ المأخوذة عن الأصل والمنجزة بخط أندلسي قديم محفوظة في المكتبة الملكية تحت رقم 1411.

[111]- هذه النسخ المأخوذة عن الأصل محفوظة في الخزانة الملكية تحت رقم 669.

مكتبات مختلفة، نسخة من "الروض الأنف"[112] لعبد الرحمن السهيلي (المتوفى سنة 580هـ/1185م) توجد في خزانة القرويين، ويوضح أسفلها سنة إنجاز المؤلف (580هـ/1184م)، ولا يحدد طبيعة المخطوط. وتحتفظ المكتبة العامة في الرباط أيضا بنسخة من "نزهة الحادي"[113] لإفراني (المتوفى سنة 1151هـ/1738م)، وقد نسخت حسب المتن سنة (1139هـ/1726م)، يعني أن المخطوط أنجز بإثني عشر سنة قبل موت المؤلف.

وليس هناك دليل يساعد على معرفة عما إذا كان النص أصلي أو منتسخ من الأصل، ومثالنا الأخير هو مؤلف للموسوعي المصري الكبير جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة 1011هـ/1505م)، ويتعلق الأمر بكتاب "الإتقان في علوم القرآن"[114] محفوظ في خزانة إحدى أقدم الزوايا في المغرب، ونعني بذلك خزانة "تنغملت"، وتدلنا قائمة مؤلفات هذه الخزانة التي نشرت سنة (1973) على أن هذا المخطوط نسخ سنة (878هـ/1473م)، في حياة مؤلفه دون أن تحدد هل النص "مبيضة" الكاتب أو نسخة مستنسخة عن الأصل.

هذا النوع من المؤلفات كان متداولا في المكتبات المغربية، وقد حبذه الباحثون المعاصرون، واعتبر في غياب نسخة المؤلف والنسخة المأخوذة عن الأصل النص الأساس الذي يجب اعتماده في التحقيق العلمي. كانت هذه المؤلفات بالإضافة إلى النسخ المأخوذة عن الأصل ذات فائدة كبيرة بالنسبة للمستشرقين في عهد الحماية، فبعد أن قام هؤلاء العلماء الأوربيون بجرد الثروات البيبلوغرافية في المغرب، قاموا بترجمة ونشر نصوص ترتبط بتاريخ وحضارة هذا البلد، وذلك بالتركيز على هذه المؤلفات العديدة. وهناك نصوص أخرى لم تكن نسخا بخط مؤلفيها ولا نسخا مأخوذة عن الأصل، ولم تكن طبيعتها محددة، كانت ذات فائدة كبيرة لعملهم العلمي، ويتعلق الأمر بالمخطوطات الفريدة والنادرة والتي مازالت المكتبات المغربية تحتفظ بعدد هام منها.

---

[112]- مخطوط محفوظ في القرويين تحت رقم 178.

[113]- مخطوط محفوظ في الخزانة العامة في الرباط تحت رقم 376.

[114]- مخطوط محفوظ في خزانة زاوية "تنغملت" تحت رقم 1. ينظر لائحة مخطوطات هذه الزاوية طبعة 1973.

3.2. المخطوطات الفريدة أو النادرة النفيسة

كما سبق أن أشرنا إلى ذلك، هذا النوع من المؤلفات جد متداول، فكثير من هذه المخطوطات التي اعتبرت لوقت طويل ضائعة من طرف الأوساط المثقفة في الشرق والغرب وجدت في المغرب.

1.3.2 المخطوطات الفريدة

يشكل وجود عدد من المخطوطات الفريدة في المكتبات المغربية إحدى الثروات الهائلة للمؤسسات العلمية، ففي مكتبة زاوية تمكروت التي هي إحدى أغنى المكتبات في المغرب، تم اكتشاف أقدم مخطوط عربي في العالم، ويتعلق الأمر بكتاب في علم الأنساب لقريش تحت عنوان "حذف قريش" لمؤرخ بن عمرو السدوسي المتوفى سنة (195هـ/810م)، فهذا المخطوط سابق عن سنة (251هـ/865م). وتمت الإشارة إلى هذا التاريخ باعتبار تاريخ قراءته أمام الشيخ، الذي قرأه أمام مؤلفه[115].

واكتشف أيضا في مكتبة مسجد مدينة صغيرة في وسط المغرب، وهي "بزو" مؤلف للجاحظ اعتبر لمدة طويلة ضائعا، ويتعلق الأمر بكتاب "البرصان والعميان والحولان والعرجان"[116]. هذا المخطوط يوجد محفوظا اليوم في مكتبة القرويين في فاس[117]، وتم اكتشاف في نفس المكتبة سنة (1934م) أربع مجلدات عن "سيرة" ابن إسحاق المتوفى سنة (151هـ/768م). ولم يكن يوجد منه إلى هذا التاريخ إلا المختصر الذي قدمه له ابن هشام المتوفى سنة (213هـ/833م)، وفي مقدمة كتاب "الأصنام" لابن الكلبي تحدث الباحث المصري المعاصر أحمد زكي عن سيرة الرسول(ص)، وعبر عن أمله في أن يجد يوما النسخة الأولى من السيرة في التاريخ،

---

[115]- الفاسي محمد: "**المكتبات في المغرب**" Les Bibliothèque au Maroc، في مجلة هسبريس 1961، لم يبق هذا المخطوط في "تمكروت"، فقد تم تحويله مع العديد من المخطوطات الأخرى (حوالي ألف مخطوط) إلى المكتبة العامة في الرباط سنة 1958 بأمر من الملك محمد الخامس (المتوفى سنة 1961).
نشر **حذف قريش** في القاهرة من طرف المنجد في سنة 1960.

[116]- عثر على هذا المؤلف العلامة عبد الحي الكتاني (المتوفى سنة 1963).

[117]- فهرس القرويين: ج 1، ص 32. نشر هذا المؤلف في القاهرة انطلاقا من هذه النسخة الفريدة من طرف مرسي الخولي. القاهرة- بيروت 1972/1392.

ولم تكن السيرة التي يتحدث عنها إلا سيرة ابن إسحاق اكتشفها العراقي في قاعة قديمة مغبرة [118] في خزانة القرويين[119].

وهناك مخطوطات أخرى محفوظة في المكتبة الملكية بالرباط، نذكر منها على سبيل المثال، الجزء الخامس من كتاب التاريخ "المقتبس" للمؤرخ الأندلسي خلف بن حيان المتوفى سنة (469هـ/1076م)، ويتبين من هذه النسخة المبتورة المكتوبة بخط أندلسي أن الأمر يتعلق بنسخة من الجزء الخامس من كتاب ابن حيان "المقتبس في تاريخ الأندلس" هذا الجزء يتناول تاريخ فترة الخليفة الأندلسي عبد الرحمان الناصر (المتوفى سنة 350هـ/961م). وتوجد الأجزاء الثلاثة الأخرى لهذا المؤلف محفوظة على شكل مخطوطات على التوالي في مكتبة القرويين في فاس، و "بودليان" في أوكسفورد ومكتبة أكاديمية التاريخ في مدريد[120].

ونذكر من بين النسخ الفريدة لهذه الخزانة الملكية الترجمة إلى العربية لأول فهرس للمخطوطات العربية في الإسكوريال المكتوب باللاتينية، والتي قام بها المكتبي الماروني السوري "ميشال الغازري" في سنة (1660هـ/1670م)[121]. فقد أنجزت هذه الترجمة حسب نهاية المخطوط في (سنة 1815) في عهد مولاي سليمان، وباقتراح من الأديب المغربي الكبير والوزير محمد بن عبد السلام السلاوي[122].

---

[118]- تم اكتشاف في هذه القاعة الأحمال الثلاثة عشر من الكتب التي أرسلها الملك الإسباني "دون سانش" Don Sanche إلى الخليفة المريني أبي يعقوب، ووقفها هذا الأخير على خزانة المدرسة التي بناها.

[119]- العراقي: "**اكتشافات هامة**" في مجلة المغرب، ص 16، سنة 1934. ينظر "**المكتشف**" مكتوب سنة 270هـ، وعلامة التملك باسم ابن بشكوال مكتوبة من طرفه توجد في الصحيفة الأولى من المؤلف. وقام بتحقيق ونشر سيرة ابن إسحاق في المغرب حميد الله سنة 1976م مع مقدمة للعلامة محمد الفاسي. وعلاوة على أجزاء هذه "السيرة" المكتشفة في القرويين فقد وجدت بعض الأجزاء في "الظاهرية" في دمشق. ويركز حميد الله في مقدمة تحقيقه بأن المكتبة "الأسفية" في حيدر أباد قد تكون تضم نسخة من "مغازي" ابن إسحاق.

[120]- هذا المخطوط الفريد محفوظ في المكتبة الملكية تحت رقم 87، قام بضبطه المستشرق الإسباني "شالميط" Chalmetta ونشره في المعهد العربي الإسباني في مدريد وفي كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط في سنة 1979.

[121]- مخطوط فريد في الخزانة الملكية محفوظ تحت رقم 6792.

[122]- نشر هذا الفهرس "بريل ليدن" « Brilt Leyden » Bibliotheca Arabico-Hispana-Escurialensis.

ونذكر في الأخير مؤلف العالم المغربي الحوزلي السوسي المتوفى سنة (162هـ/1748م) تحت عنوان "الحوض المشهور بأوزال"[123] وهي الترجمة باللغة البربرية لغة جنوب المغرب للمؤلف الكبير المالكي "المختصر" للخليل الذائع الصيت في المغرب.

2.3.2 . المخطوطات النادرة والنفيسة

إلى جانب المخطوطات الفريدة تحتوي المكتبات المغربية أيضا على مخطوطات نادرة ونفيسة جديرة بالذكر سواء لقيمتها الخطية أو لقيمتها التاريخية.

وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: المخطوطات الملكية يعني التي كتبها الملوك أو التي أنجزت بأمر منهم، والمخطوطات الخزائنية والتي أنجزت خصيصا لأن توضع في خزانة الملوك أو كبار محبي الكتب، والمخطوطات التي هي نادرة في العالم، والتي يتوفر المغرب على نسخ منها.

أ. المخطوطات الملكية:

رغم انشغالاتهم الكثيرة، فإن الملوك المغاربة لم يفتهم أن يرسخوا بيدهم وأن ينسخوا المصاحف والمؤلفات التي احتفظ بالبعض منها في مختلف الخزانات، فقد حرر الخليفة الموحدي المرتضى بيده مصحفا لم تبق منه إلا ثلاثة أجزاء، وحرر أمير المؤمنين ابن تومرت مصحفا وأيضا مؤلف مرتبط بالحديث تحت عنوان: "محاذي الموطأ"[124]، ومازالت توجد مخطوطات ملكية أنجزها الملوك العلويون محفوظة في يومنا هذا في المكتبة الملكية. نذكر منها: "مجموعة أحاديث نبوية، وأسرار جلية، وأمثال عربية"، كتاب جمعه السلطان العلوي مولاي إسماعيل (1139هـ/1172م)، وهي مختارات لأحاديث

[123]- محفوظ تحت رقم 6014، و مكتوب بخط يسمى "سوسي".

[124]- هو أحد كنوز القرويين، وهو محفوظ تحت رقم 181، وتجدر الإشارة أنه أنجز على رق غزال مذهب وأن أسماء الأشخاص المترجمين مكتوبة بماء الذهب، وأنجزت الحروف الكبيرة بمختلف الألوان.

الرسول (ص): والأمثال العربية التي انتقاها هذا الملك[125]. ونذكر أيضا الكتب التي ألفها الملك العلوي محمد بن عبد الله المتوفى سنة (1204هـ /1790 م) مثل "الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية"[126] و"الجامع الصحيح"[127]، ويرتبط كل واحد منها بأحاديث رسول الإسلام (ص).

وتحتفظ المكتبة الملكية بالعديد من المخطوطات الأخرى النادرة التي أنجزت بأمر الملوك مثل "ديوان في نسب الأشراف"[128] الذي ألفه العالمان إدريس بن عبد الوهاب العلمي، وأحمد بن عمر العلمي لأجل الملك مولاي سليمان. يهدف هذا المؤلف إلى تمييز أحفاد الرسول الحقيقيين للرسول (ص) من أولئك الذين ليسوا بذلك، والذين ينتسبون إلى الأصل الشريف اعتمادا على شجرة نسب غير صحيحة.

ونذكر أيضا كتاب "إدراك الأماني من كتاب الأغاني"[129] الذي ألفه محمد بن عبد القادر السلاوي الأندلسي الفاسي لأجل الملك محمد بن عبد الله، وهو صياغة جديدة لكتاب "الأغاني" للأصفهاني (المتوفى سنة 356هـ/966م) مع مذكرة فيها تصحيحات وترتيب جديد، وأراد الملك بهذا العمل أن يجدد هذا العمل الضخم للأدب العربي القديم.

ب. المخطوطات الخزائنية:

المخطوط الخزائني هو مؤلف ذو خط جميل: حروف ملونة، عناوين مزخرفة، وأسماء مذهبة ومغطاة بغلاف جميل، محلى في بعض الأحيان بالفضة، وهي مخطوطات موجهة إلى مكتبات كبار محبي الكتب الذين ينفقون مبالغ باهظة، أو إلى مكتبات الملوك خاصة أولئك المولعين بالكتب كما كان السلطان السعدي المنصور الذهبي.

وتعد المخطوطات بالعشرات في المكتبات المغربية، وتحتفظ المكتبات الملكية بالكثير من المخطوطات الخزائنية التي تلقاها الملوك المغاربة بانشراح كبير، وسنعطي مثالين منها: "الجوهر الثمين في نخب سير الأمين"

[125]- الخزانة الملكية رقم ز 1982.
[126]- الخزانة الملكية رقم 3303.
[127]- الخزانة الملكية رقم 222.
[128]- الخزانة الملكية رقم 2100.
[129]- الخزانة الملكية رقم 2706.

الذي ألفه عبد النبي ابن جماعة، وهو مخطوط خزائني مكتوب بخط جميل مشرقي بماء الذهب، ومغلف بغلاف تونسي جميل جدا، وموضوع في صندوق مغلف بنسيج من الحرير، وتحمل الورقة الأولى منه إهداء باسم سمو باي تونس محمد الهادي باشا، ويذكر فيه الكاتب أحداث مرتبطة بالسيرة النبوية[130]. ونذكر أيضا "شرح لامية الأفعال"[131] للعلامة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي الفهري (المتوفى سنة 1214هـ/1799م)، وهي نسخة كتبت بخط مغربي جميل، عناوين مزخرفة، وحروف كبيرة في مختلف الألوان، مغطاة بغلاف ذهبي، ومهداة إلى الملك العلوي مولاي سليمان. كما يشير إلى ذلك عنوانه، فالمؤلف هو شرح لامية الأفعال لابن مالك. فهذا الأخير نظم في حوالي مائة بيت من الرجز كل قضايا النحو والحرف العربيين.

ت. المخطوطات النادرة:

علاوة على المؤلفات الملكية والخزائنية تضم المكتبات المغربية مخطوطات نادرة جدا، عدد نسخها محدود جدا في العالم، ونبدأ بالإشارة إلى كتاب الجاحظ "كتاب التاج وأخلاق الملوك" الذي هو تجميع للعادات العربية والفارسية مع هيمنة واضحة لهذه الأخيرة. إن النسختين أو الثلاث نسخ التي اعتمدها المصري أحمد زكي لتحقيق هذا المؤلف[132]، لا تحمل الأدلة الكافية لنسبة هذا الكتاب إلى الجاحظ، فقد خصص المحقق جزءا كبيرا من مقدمته لمعالجة هذه المسألة لكي يتوصل في النهاية وبدون تحفظ أن المؤلف الذي حققه هو حقا للجاحظ، ولم يكن المستشرق الشهير "شارل بلا" Ch.Pellat الذي ترجم هذا المؤلف إلى اللغة الفرنسية في سنة (1954م)[133] مقتنعا بهذا الإسناد، يقول في هذا الصدد: «إن تبرير أحمد زكي، صحيح في الظاهر وهو محير في بعض الأحيان، إلا أنه لا يعزز رأينا، لأنه ليس هناك دليل قاطع تماما يدل على ذلك لهذا فقد اعتزمنا إذن الأخذ بوضوح برأينا ضد الوثوقية دون أن نستطيع مع ذلك تبرير قرارنا بمبررات لا تكون ملطخة بالذاتية، دون أن نكون قادرين على اقتراح اسم يقوم مقام اسم الجاحظ»[134].

---

[130]- مخطوط المكتبة الملكية رقم ز1169.

[131]- مخطوط الخزانة الملكية رقم 1276، وكان هذا العالم أستاذا للسلطان العلوي مولاي سليمان (المتوفى سنة 1823).

[132]- طبعة القاهرة 1914/1322.

[133]- شارل Ch.Pellat: "كتاب التاج" Livre de la Couronne: باريس 1954 (المقدمة).

[134]- "شارل بلا" "Ch.Pellat": "كتاب "التاج" المقدمة من الترجمة، ص 14.

إن اكتشاف نسخة رابعة من كتاب التاج في خزانة القرويين في فاس سنة (1934م)[135]، سمح لنا بعدم الشك في وثوقية انتماء هذا المؤلف للجاحظ، وهي نسخة أنجزت على الرق بخط أندلسي في عدة أجزاء في الصفحة الأولى لكل جزء منها، تحمل عنوان المؤلف واسم الجاحظ[136]. ومن بين المخطوطات الأخرى النادرة جدا نذكر مؤلف أبو العلاء المعري (المتوفى سنة 449هـ/1057م)، اكتشف في المكتبة الملكية بالرباط. ويتعلق الأمر بكتاب "الصاهل والشاحج" وحسب محققه[137]، فإن هذا المؤلف قد وجد في المغرب في نسختين[138] فريد في العالم. وفيما يخص محتوى الكتاب فنحن نلاحظ تشابها كبيرا مع "كليلة ودمنة" لابن المقفع، فالكتابان يضمان انتقادا لأحوال ذلك الزمان على لسان الحيوانات، ويروي المعري تاريخ زمانه عبر حوار بين فرس وبغل "الصاهل والشاحج".

وتوجد مؤلفات أخرى نادرة جدا مثل كتاب "كتاب الزهد" لأبي داود السجستاني و"الجامع الكبير" في ستة مجلدات للسيوطي، محفوظة في خزانة القرويين.

ولعل الأمثلة المذكورة في هذه الفقرة من شأنها أن تعطي فكرة عما تضمه مختلف المكتبات المغربية من نفيس الكتب.

3. المخطوطات اليونانية واللاتينية

سبق أن قلنا أن الترجمة كانت إحدى العوامل الأساسية في ازدهار المكتبة المغربية، فلم يتوقف أبدا الملوك المغاربة المحبين للعلوم والشغوفين بالكتب عن ترجمة المؤلفات التاريخية والعلمية الجديرة بمكتباتهم، والتي غالبا ما كان يتردد إليها كبار علماء ذلك العصر.

فمنذ الدولة السعدية، كانت المكتبة الملكية تضم علاوة على النساخ، مترجمين يزاولون بإخلاص مهنة الترجمة، وبفضل هذه المشاريع الملكية فإن المكتبات المغربية تضم اليوم نوادر لا توجد في مكان آخر، ونذكر

---

[135]- مجلة المغرب العدد 18 مارس 1934، ص 16-17.

[136]- مخطوط القرويين أشار إليه "شارل بلا" في ترجمته لكتاب التاج مقدمة، الهامش 1، ص 17.

[137]- قام بتحقيقه بنت الشاطئ، القاهرة 1975.

[138]- مخطوط الخزانة الملكية محفوظ تحت رقم 802 و 6146.

منها المخطوطات اليونانية واللاتينية المترجمة إلى اللغة العربية، وإذا كانت هذه الكتب ضاعت تقريبا في مجملها من المكتبات العامة، فإننا لدينا اليقين أن المكتبات الخاصة التي أصحابها هم إما جهلة أو مستأثرين بالكتب، تبالغ في الاعتناء بحفظ هذه المخطوطات القيمة التي بحث عنها طويلا الباحثون الأوربيون.

إننا عرفنا من خلال هذه الدراسة المرتبطة بتاريخ المكتبات المغربية أن الورثة أو أصحاب المجموعات الهائلة يتفاخرون بكونهم يمتلكون ثروات هائلة، دون أن يقوموا بوضعها في متناول الباحثين، إن "توري" صاحب كتاب "تاريخ الشرفاء" أثناء عبوره الأطلس سنة (1550) ما بين المغرب "مراكش" و"تارودانت"، قضى الليل عند رجل تباهى أمامه بكونه يتوفر على مفتاح مغارة توجد فيها الكتب من زمن المسيحيين [139].

على هذا الأساس، فإذا كانت نتائج أبحاث عدد من الباحثين بخصوص المخطوطات اليونانية واللاتينية التي كانت محفوظة سابقا في المكتبات المغربية قد انتهت دائما بنتائج سلبية، لأن العديد من المكتبات الخاصة أو في بعض الأحيان العامة، كانت محظورة على الأوربيين، فقد سمح لمشرقي اسمه "باي العباسي" بالدخول إلى خزانة القرويين في بداية القرن (19م)، وأكد أنه لم يتمكن من مواصلة أبحاثه إلى النهاية بخصوص عشاريات "تيت ليف" Tite live التي قيل بأنها محفوظة في هذه الخزانة، يقول في هذا الصدد: «لقد قمت بالكثير من الأبحاث لاكتشاف مؤلف "تيت ليف" Tite live الشهير والكامل والذي نفترض أنه يتواجد هنا، إلا أنه ورغم اهتمامي بهذا الأمر، فإنني لم أتشرف بالعثور عليه، فكل الذين استفسرتهم لم يستطيعوا القول ما إذا كان يوجد أم لا. وقد كنت أحب كثيرا أن أواصل خطواتي، ولكنني أرغمت على المغادرة لكي لا أصبح موضع ريب، ولكي لا أثير شكوكا سيئة ضدي»[140].

وأشار باحثون آخرون ومؤرخو القرن (19م) مثل "بوميي" و"غودار" و"بنيو" إلى وجود مخطوطات يونانية ولاتينية في المكتبات المغربية وخاصة في القرويين، يقول "غودار": «خزانة القرويين بثلاثمائة رف

[139]- بوميي Description sommaire du Maroc :Beaumier، ص 41.

[140]- علي باي العباسي: Voyage، ج 1، باريس 1814، ص 117.

من الرخام وبعض بقايا المكتبة الكبرى التي كان يتوقع أنها تضم الكتب الضائعة "لتيت ليف" ومؤلفين آخرين يونانيين ولاتينيين»[141].

يظن "بوميي" متحدثا عن الصعوبات التي يوجهها الباحثون الأوربيون للدخول إلى المكتبة المغربية، أن المخطوطات اللاتينية المبحوث عنها قد توجد يوما في مستودعات الزوايا المتعددة والغنية، وهذا ما قاله بهذا الخصوص: «بدون شك هناك بواعث للإحباط العميق بخصوص الأبحاث التي مازالت تطمح إلى العثور على بعض الترجمات العربية القديمة للرسائل اللاتينية، ولعشاريات "تيت ليف"، أو "التاريخ الروماني" لـ "سليست" (المتوفى سنة 35 قبل الميلاد). فهل سنفقد الأمل؟ لا نظن ذلك، ليس فقط لأن كل كتب مسجد القرويين الكبير قد لا تكون دمرت على آخرها، ولكن لأن هناك أيضا في أغلب الزوايا مستودعات قديمة جدا لم تسلم أبدا إلى جامعات فاس»[142].

وفيما يخص "كبريال بنيو" فقد أخبرنا أن مكتبة الإسكوريال في إسبانيا كانت تضم أصول "سانت أوغستيان" المنتمية إلى الملك المغربي مولاي زيدان: «في مكتبة الإسكوريال هناك ما لا يعد من المخطوطات، ومن ضمن هذه المخطوطات المخطوط الأصلي لكتاب "سانت أوغستيان" المتوفى سنة (430) في التنصير. ونزعم أن أصول كل مؤلفات هذا الأب توجد في هذه المكتبة، وقد اشتراها فيليب الثالث من الشخص الذي فرقها لحظة سرقتها من مكتبة مولاي زيدان ملك فاس والمغرب (مراكش)»[143].

إن البحث عن المخطوطات الشهيرة لم ينته مع القرن الأخير، ورغم النتيجة السلبية لمن سبقوهم فإن العلماء الأوربيين في القرن العشرين استمروا في البحث عن مؤلفات الكتاب اليونانيين واللاتينيين[144] التي يقال إنها محفوظة في المغرب، فلم يتوقف المستشرق البارز "ليفي بروفنصال" (1956 م) منذ دخوله إلى المغرب عن البحث عن هذه المخطوطات سواء في المكتبات العامة المغربية أو خزانة الإسكوريال.

---

[141]- "غودار" L.Godart: Description et Histoire du Maroc، ج 1، طبعة 1860، ص 48.

[142]- "بوميي" Beaumier: Description Sommaire du Maroc، ص 41

[143]- "بينو" G.Peignot : Dictionnaire raisonnée de bibliogie، ج 2، ط 1802، ص 74-75، وتجدر الإشارة إلى أن مولاي زيدان قد أبقى الدومنيكي الإرلندي "أنطوان دوسانت ماري" الذي أحضر أسيرا إلى مراكش لكي يترجم له إلى اللغة الفشتالية الكتب اللاتينية التي كان يملكها، وبعد ذلك ترجمها مرتد إلى العربية.

[144]- لقد ذهب بعض الباحثين الأوربيين إلى فاس بأمل العثور على مؤلف الطبيعاني والكاتب اللاتيني "بلين لانسيان" Pen L'Ancien التي زعم أنه محفوظ في خزانة القرويين، يتعلق الأمر بكتابه "التاريخ الطبيعي" "Histoire naturelle" وهو تجميع علمي واسع النطاق في 37 كتابا. ينظر التازي: "**جامع القرويين**"، ج 3، الهامش 118، ص 753.

وبعد أبحاث طويلة أعلن "ليفي بروفنصال" أنه قادر على وضع نهاية لبديهيته كانت تعتبر أنها من مظاهر الخيال. وقال متابعا « بعد خمس سنوات من الإكتشافات البيبلوغرافية في المغرب وخاصة في فاس، لدي الحق في الشك أن أسطورة "تيت ليف" ستصبح يوما حقيقية»[145].

ورغم شكوكه في هذا الشأن، فإن "ليفي بروفنصال" L.provençal يؤمن على الرغم من ذلك بالترجمة العربية لمصنفات "تيت ليف" ويظن أن ابن خلدون كان قد اطلع عليها من أجل كتابه "تاريخ البرابرة" وقد كتب: «وليس مستحيلا على الأرجح، أن العمل التاريخي "تيت ليف"[146] قد ترجم إلى العربية في العصر الوسيط[147]، جزئيا أو كليا، وبما أنه لا نتوفر بخصوص هذا الشأن على دليل واقعي، يجب أن نشير إلى أن الكاتب العربي الكبير ابن خلدون (المتوفى سنة 808هـ/1406م) قد أضاف إلى مؤلفه الهائل في نهاية العصر الوسيط، حكاية صحيحة تاريخيا عن معركة "كان" Cannes[148] فهل كان يتوفر على الترجمة العربية لأعمال المؤرخين اللاتينيين ليعرف منها، أم أنه بكل بساطة عرف ذلك من خلال رحلاته إلى جانب العلماء المسيحيين»[149].

وعلى الرغم من كل هذا فقد اعتبر "بروفنصال" "تيت ليف" المغربي أسطورة مترتبة عن كون المغرب أصبح ابتداء من النصف الأول من القرن (19م) الدولة المسلمة المنغلقة كليا عن أوربا، فكل الثروات الأوربية العربية التي بقيت غير موجودة في بقية العالم الإسلامي اشتهرت من ذلك الحين بكونها ستوجد يوما ما في المغرب. وسنقول لهذا المستشرق الشهير أن هذه المسألة لا ترجع فقط إلى القرن (19م)، فمنذ القرن (17م)، كان يقال في أوربا بوجود مخطوطات يونانية ولاتينية في المكتبات المغربية.

---

[145]- بروفنصال L.Provençal: بخصوص ما يزعم من وجود ترجمة عربية لعمل "تيت ليف" في المغرب في المجلة الأركيولوجية Revue Archéologique، سنة 1925، ص 173.

[146]- لمح إلى مصنفات "تيت ليف" (17 ميلادية) عنوان أشير تحته في بعض الأحيان إلى التاريخ الروماني لهذا المؤرخ اللاتيني.

[147]- قد يكون "بروفنصال" L.Provençal محقا في أن مصنفات "تيت ليف" كانت قد ترجمت إلى العربية وأفاد منها ابن خلدون، ونحن نعلم جيدا أن العصر الوسيط قد اعتبر لفترة طويلة فترة التدهور أو على الأقل الجمود الفكري المتسم بهيمنة الفكر اللاهوتي الذي وخوفا من العودة الهجومية للوثنية قد يكون قطع مع التقاليد القديمة، ومن المحتمل أن الأعمال اليونانية واللاتينية التي همشها الأوربيون خلال هاته الفترة قد درست وترجمت في الغرب الإسلامي.

[148]- جمعت معركة "كان" بين الرومان بقيادة "فارون" والقرطاجيين بقيادة "أمنبال" في سنة 216 قبل الميلاد، وقد تمت إبادة الجيش الروماني من طرف القرطاجيين.

[149]- بروفنصال L.Provençal: sur la prétendue existence d'une trad في المجلة الأركيولوجية Rev.Arch، سنة 1925، ص 173.

ونتوفر بهذا الخصوص على دليل قاطع، ويتعلق الأمر بوثيقة نقلها المؤرخ الفرنسي "دوكستر" وهي تعود إلى 30 ديسمبر (1667م)، تحمل شهادة المرسل وهذا محتواها: «أمرني سيدي "كوليرت" أن ألتمس من السيد "دوموسو" أن يبذل إذا شاء كل ما في وسعه للبحث أثناء رحلاته، مع كل ما يمكنه أن يوليه من اعتناء عن كثير من المخطوطات القديمة باليونانية وبالعربية وبالفارسية ولغات أخرى مشرقية باستثناء العبرية لأننا نتوفر على كمية منها، وبأن يشتريها للملك... وقد رأيت سابقا رحالة شهير أكد لي رؤية في "لولوفو" Le Levant كتب "تيت ليف" التي تنقصنا، وكتب "أبولونيوس" Apollonius Pergoeus وكتب "ديوفانت ألكسندران"Diophante Alxandrin ، وكتب أخرى مترجمة بالعربية، وهناك عدد من المخطوطات في المكتبة الشهيرة لملك المغرب»[150].

ويعتقد "هنري دوكاستر" Henry de Castries أن الأمر يتعلق بخزانة القرويين حيث يفترض أن تكون الكتب الضائعة لـ "تيت ليف" Tite live محفوظة فيها، أما نحن فنظن أن الأمر يمكن أن يتعلق بالمكتبة الملكية بالمغرب، وقد رأينا من خلال هذه الدراسة، أن المكتبة الملكية كانت تضم دائما مجموعات ثمينة من الكتب وأن الملوك المحبين للكتب، كانوا مولعين بها، ولم يتراجعوا أمام أي ثمن من أجل الحصول على المخطوطات النادرة جدا والموجودة في العالم. وإذا كانت مجموعات المكتبات الملكية الحالية لا تضم كتبا من هذا النوع، فمن المحتمل جدا أن المجموعات الأخرى غير مفهرسة ومحفوظة في مختلف القصور الملكية[151]، يمكن أن تضم آثارا مرتبطة بهذه المخطوطات الشهيرة اليونانية واللاتينية، والتي مازالت بعيدة عن متناول الباحثين.

بعد أن جمعنا ما فيه الكفاية من المعلومات حول محتوى المكتبات المغربية، فإننا نستطيع القول أن مؤلفات الفقه والنحو تغلب على مؤلفات الأدب و"العلوم النظرية"، إن دواوين الشعر، والأعمال الأدبية، وكتب الفلسفة، هي نادرة بالمقارنة مع مؤلفات العلوم الدينية والنحو. وهذا ناتج بالدرجة الأولى إلى

---

[150]- دوكستر H.de Castries: Mémoire pour M.Monceaux في "المصادر الدفينة لتاريخ المغرب" S.I.H.M، السلسلة الثانية، الدولة الفيلالية، وثائق ومكتبات فرنسا، ص 245-246.

[151]- خاصة قصور فاس ومراكش.

طبيعة التعليم المتداول عبر العصور في مختلف معاهد ومؤسسات هذا البلد، فقد كان يفترض في كل واحد أن يعرف الفقه، والنحو، فالفقه كان الأساس في التدريس، إذ كان يشكل أساس تكوين كل الطلبة، فلكي يصبح المرء شاعرا ومؤرخا وفلكيا، عليه أولا أن يكون فقيها متضلعا في المواد النحوية التي تمكن من استيعاب دقائق الفقه.

إن الثقافة المغربية القديمة كانت، إذن تقريبا، محصورة فيما هو فقهي وقانوني، وهناك مثل كان يتداول عند طلبة الجامعات القديمة: "سيدي خليل والألفية" ويعني دراسة مختصر هذا الشيخ المصري الذي قدم في هذا المؤلف، المتداول في المغرب الشكل النهائي لمدرسة الإمام مالك، وفيما يخص ألفية ابن مالك التي اشتهرت في المغرب، وهي منظومة من ألف بيت، فقد استوعبت كل النحو العربي.

وفيما يخص العلوم النظرية، فقد كان لها في المغرب مكان ثانوي، فلم يكن يهتم بالرياضيات أو علم الفلك إلا بعد التعمق في معلومات وقواعد الفقه، لقد احتكر الفقه كل اهتمام العلماء، وبهذا أصبحت هذه العلوم مهملة.

وسبق أن آخذ المقري ابتداء من القرن (11هـ/17م) المغاربة على هذا الإهمال وعدم الإهتمام، وقال في هذا الصدد: «إن التمكن من العلوم النظرية هي مقتصرة على الكتاب المشارقة، أما فيما يخص علماء القرويين والإفريقيين فإن اهتمامهم لا يتجاوز البحث في مواد الفقه»[152].

ولهذا السبب فإن مؤلفات الفقه تهيمن على الخزانات المغربية [153].

إن الفهارس والقوائم المنجزة منذ بداية هذا القرن لا تمثل إلا جزءا طفيفا مما تضمه المكتبات المغربية، فالأمثلة القليلة التي ذكرناها تكفي لإظهار قيمة مجموعات المكتبات في الماضي كما في الحاضر.

الخاتمة:

---

[152]- المقري: "**أزهار الرياض**"، ج 3، ص 26.

[153]- تجدر الإشارة إلى أن "**كشف الظنون**" لحاجي خليفة هو أكبر مؤلف ببليوغرافي عربي، فكتابي "**تاريخ الأدب العربي**" Le Gescheschte des Arabischen literatur لبروكلمان K.Brockeman و"**تاريخ التراث العربي**" Le Gescheschte des Arabischen schrifftums لفؤاد سيزكين Fuat Zezgeen لا يشيران إلا لجزء ضئيل من التراث العربي المكتوب في المغرب، ويبقى الكثير مما يجب القيام به في هذا الميدان.

لقد حاولنا فيما سبق تعقب تاريخ المكتبات المغربية منذ دخول الإسلام إلى العصر الحالي، وتمكنا منذ البداية من التمييز بين ثلاثة نماذج من المكتبات: المكتبة الملكية، والمكتبة الخاصة والمكتبات العامة.

وقد سمحت لنا دراسة مختلف المؤسسات باستخراج المميزات المشتركة، أولا طابعا العمومي مثل المكتبات العامة والمجموعات الملكية والخاصة، والتي كانت مفتوحة في كل الأوقات. ولم يفت المؤلفين أن يشيروا في مقدمات مؤلفاتهم إلى المكتبات الخاصة التي أفادوا منها.

ولاحظنا أيضا أن المغاربة قد طمحوا دائما إلى أن تكون مكتباتهم في غاية التنظيم، وتفيد مرتاديها بشكل أحسن، ولهذا الأمر فإنهم عهدوا بالإعتناء بها إلى "قيم" أو "محافظ" والذي عرف بكونه ولي الثقافة البشرية. وهو الوسيط بين إنتاجات هذه الثقافة المجمعة عبر القرون و الناس. ولهذا السبب فقد كانت مهمة القيم يجب أن يعهد بها إلى العلماء، والقضاة، والأمراء، والوزراء، وشيوخ الزاوية.

ويجب أن نشير أخيرا إلى غنى المكتبات المغربية، وخاصة مكتبات الملوك، فملوك المغرب منذ الأدارسة إلى العلويين كانوا كلهم، تقريبا، علماء بارزين ومولعين بالكتب، فقد كانوا ينفقون الكنوز لكي يجمعوا الكتب من كل الجهات، وكان خدامهم يحملون إليهم من الشرق والغرب كل المخطوطات القيمة والنفيسة، والمجموعة الملكية للعاهل السعدي أحمد المنصور التي جمعها بحكمته، وتم إغناؤها بهدايا خدامه وسفرائه هي مثال على ذلك.

أما فيما يخص المكتبات الخاصة والعامة، فهي وإن لم تكن في مثل ثراء المكتبات الملكية، فإن محتواها كان جد متنوع، وثرواتها لم تتوقف عن الإزدهار بفضل الابتياع، والوقف، فالوقف لعب دورا رئيسيا في إثراء وتطور المكتبات المغربية، ذلك أن أكثر من نصف ثروات خزانة القرويين، مثلا، مشكل من مؤلفات محبسة، وإلى حدود القرن العشرين استفادت مختلف المكتبات العامة، من الكرم البالغ للمجمعين الخاصين والمحسنين.

وعلى الرغم مما عانته المكتبات المغربية عبر تاريخها من تقلبات، فإن المجموعات العامة، وخاصة مجموعة الزوايا، تحتفظ بمفاجآت سارة للباحثين، إذ يحتفظ عدد كبير من المثقفين والأميين ليس فقط

بمخطوطات هامة، ولكن أيضا بوثائق عائلات وأنساب إلخ.....، والكثير منها يمثل قيمة تاريخية دون أدنى شك، ولعل ما حال أمام ظهور هذه الثروات هو إخفاء الكتب عند الأوائل وحذر المتأخرين.

ووعيا بثراء المجموعات الخاصة، فإن وزارة الشؤون الثقافية أحدثت جائزة الحسن الثاني، لتشجيع المجمعين على إظهار قطعهم النادرة، وبالتالي تجميع المخطوطات العديدة المتفرقة عبر المغرب، الذي اشتهر بكونه أكبر خازن للمخطوطات في العالم، ولهذا القصد فإننا خضنا غمار هذه الدراسة، يعني تسليط الضوء على المخطوطات والخزانات في المغرب، في الواقع، فإن بحثنا لم يتم تصنيفه في إطار تاريخي محض، ولا أكاديمي دقيق، لقد تم القيام به بنية الإسهام في تحسين الوضعية الحالية للمكتبات المغربية وتطويرها مستقبلا، وأملنا أن نتمكن من الوصول في أقرب الآجال إلى خلق مكتبة عصرية في حجم طموحات بلد مثل المغرب، معروف منذ زمن بحضارته العريقة وتقاليده الثقافية والعلمية المتينة.

خاتمة عامة:

بناء على ما سبق، يمكن أن نستنتج من خلال ترجمتنا لهذا الكتاب أنه يؤرخ للمغرب من خلال عنصر "المكتبة"، فإذا كان هذا العنصر يبدو بسيطا في ظاهره، فإن الكاتب استطاع أن يجعل منه عنصرا محوريا ونافذة أطل منها على خبايا عديدة وظروف فريدة وأحداث عصور خالية.

رصد الكاتب واقع الحياة الثقافية في المغرب من خلال المكتبات باعتبارها مصدرا أساسيا من مصادر الهوية الثقافية والحضارة المغربية، وذخائر حية تحفظ ذاكرة الأمم والشعوب، ومرجعا ثريا من خلال ما تقدمه من معارف ونصوص في مختلف فروع العلم.

وأبرز العوامل والظروف التي كانت وراء إنشاء المكتبات وتجميع أرصدة المخطوطات في المغرب، وكيفية تنظيمها قديما وحديثا، وبين كيف حظيت المكتبات بعناية خاصة عند المغاربة، فامتلأت بالذخائر، وضمت النفائس من المأثورات، وتسابق أصحابها إلى اقتناء كل كتاب جديد اتفقت مضامينه مع أهوائهم ونزعاتهم وميولاتهم.

وما يميز هذا الكتاب أيضا هو تناوله السياسية المحيطة بالمكتبات في كل عصر وبين كيف أن هذه المؤسسات أنشئت بواسطة النخبة ولأجلها أيضا، وكانت أماكن لحفظ الوثائق من أجل تيسير عمليات الترجمة وإدارة الدولة ونشر الثقافة بأشكالها المختلفة.

عالج الكاتب موضوع المكتبة المغربية واهتم بالتاريخ العام للخزانات وتطرق لأهم العناصر الأساسية التي أسهمت في إثراء وازدهار المكتبة المغربية، وألقى الأضواء على مختلف مراحل تاريخ المكتبة المغربية عبر تعاقب مختلف السلالات الحاكمة للدولة المغربية، ولم يكتف بالتأريخ للمكتبات المغربية، بل درس وعالج الظروف التي أحاطت بها.

وتحدث عن الدور الأساسي والرئيسي للمكتبات المغربية في حفظ وصيانة المخطوطات المغربية التي تؤرخ لفترات جد هامة من تاريخ المغرب عبر العصور وعن دور الزوايا والمساجد الجامعية وإشعاعها

الثقافي والعلمي بالموازاة مع توفرها على المكتبات التي ساهمت أساسا في هذا الإشعاع والأدوار الكبرى التي لعبتها في الازدهار الفكري للأمة المغربية عبر مختلف العصور.

وأوضح طرق تنظيم وتدبير المكتبة المغربية عبر مختلف الأزمنة والعصور، مع الإشارة إلى ما تضمه من ذخائر ثمينة وجواهر نفيسة أساهمت إلى حد كبير في التطور الفكري والمعرفي لمختلف شرائح المجتمع المغربي عبر العصور.

وما يلاحظ أن كتب التراث والحضارة التي تشير إلى خزانات الكتب إشارات عابرة لا تحدثنا عن أنظمة هذه الخزانات ومميزاتها إلا نادرا، وعندما تعرض لذلك فإنها تقتصر على ذكر اسم القيم عليها وبعض محتوياتها من غير أن تتجاوزهما إلى الحديث عن عملية الفهرسة. وعلى الرغم من جهود المغاربة القدماء في محاولة فهرسة المخطوطات فإنها لا تعدو أن تكون قوائم ولوائح لا تخضع لأي نظام أو ترتيب، والواقع أن الفهرسة بدأت مع بداية الخزانة المنظمة في المجتمع المغربي في العصر الحديث.

وصنف المكتبات المغربية، على مر العصور التي مرت بها، إلى ثلاثة أصناف: المكتبة الملكية والمكتبة العامة والمكتبة الخاصة، مع الحديث عن مدى تطور وازدهار ومدى انحطاط وتدهور المكتبة المغربية في عهد من العهود.

وتحدث عن دور الزوايا والمساجد الجامعية وإشعاعها الثقافي والعلمي بالموازاة مع توفرها على المكتبات التي أسهمت أساسا في هذا الإشعاع والأدوار الكبرى التي لعبتها في الازدهار الفكري للأمة المغربية عبر مختلف العصور.

وأشار إلى الأسباب التي كانت وراء ضعف الخزانات وتمثلت في حالة التعليم وأساليب التدريس التي كانت تمارس في المغرب، وتشتت المجموعات، بحيث تراجع دور المدارس والزوايا وعوضت المساجد الجامعية بمؤسسات أخرى وأفرغت هذه المساجد لصالح هذه المؤسسات، كما وزعت الكتب التي بقيت بالقرويين من قبل الملوك على العلماء وبقي اتجاهها مجهولا، واستعيرت أيضا لاستعمالهم الشخصي، كما أن دخول الأجانب دفع المغاربة لإيواء ثرواتهم المكتوبة وحتى الخزانات الملكية دفنت مخطوطاتها وأغلقت. كل هذه

العوامل أدت إلى وصول هذه المكتبات إلى حالة مزرية استلزمت تنفيذ تدابير فعالة من طرف الحماية، لا فيما يخص الصيانة، ولا فيما يخص الزيادة في الثروات وإعادة تنظيمها، بحيث شرعت الحماية في جرد الكتب المؤلفة لفائدة الخزانات لحمايتها من السرقة والضياع والتخريب، وأعطت الأسبقية لخزانة القرويين التي كانت تتمتع بشهرة كبيرة ثم خزانة بن يوسف بمراكش ومدن أخرى.

وبين الكاتب كيف أن سلطات الحماية اهتمت بإعادة تنظيم المكتبات، فشرعت في جرد ثرواتها، ووضعت بيانات من طرف علماء عينوا من طرف إدارة الأحباس، وتطورت وأتممت بفضل متخصصين عملوا على نشر الفهارس المنهجية، وبعد ملاحظة الحالة المقلقة للخزانات المغربية قررت الحماية الفرنسية إعادة تنظيم هذه المؤسسات وخلق مكتبات جديدة في مختلف المدن المغربية مثل مكتبات الدراسة والبحث التي تضم مكتبة البحث التاريخي ومكتبة البحث الاجتماعي ومكتبة المدرسة العليا للعربية واللهجة البربرية ومؤسسة الدراسات العليا المغربية ومكتبة المؤسسة العلمية الشريفة، وظهر نوعان من المكتبات: المكتبات العامة مثل: المكتبة العامة بتطوان، والمكتبة العامة بالرباط، والمكتبات البلدية.

وأبرز الباحث مدى إسهام المخطوطات المغربية في إغناء مكتبات العالم بذخائر متعددة المضامين والأشكال، وكيف لعبت المكتبات الخاصة بالمغرب إلى جانب المكتبة الملكية والمكتبات العامة دورا بارزا في حفظ وتنظيم هذه الحصيلة الحضارية وصيانتها ما أمكن من الضياع والإتلاف، مما جعلها فضاء نموذجيا لتداول ما ينفع الباحثين والمهتمين عن نوادر المخطوطات في مختلف المعارف والعلوم، وبشتى اللغات التي قد يعز نظيرها في جهات أخرى.

كما تناول الكتاب شغف الحكام المغاربة باقتناء الكتب واستنساخها وتسفيرها وتذهيبها في بعض الأحيان، وأجلى قيمة الكتاب في المجتمع المغربي حيث كان الملوك والأمراء يولون عناية خاصة بالكتب، لدرجة أنه كانت تتم مقايضة الأسرى الأوربيين الذين أسروا عبر عملية القرصنة بالكتب المغربية التي سرقت من المغرب أثناء الإستلاء على الثغور المغربية.

فنهب الكتب وسرقتها كان وراء ضياع أغلب الثروات، فقد تعرضت المؤسسات العلمية المغربية للحروب الداخلية والغزوات الأجنبية والإضطرابات السياسية، في خضم هذه الظروف وقعت سرقة خزانات الملوك السعديين التي انتهت إلى الإسكوريال في إسبانيا، كما أن مسؤولية القيمين على هذه المؤسسات ثابتة في نهب جزء كبير من التراث الوطني المكتوب، ورغم المحاولات المتعددة التي قام بها المغاربة لاستعادة تراثهم، ورغم جهود الملوك السعديون والعلويون لاستعادة المخطوطات، فقد لجأوا إلى التهديد تارة، والدبلوماسية تارة أخرى، لإرجاع كتبهم، إلا أنها لم تكن مفيدة وظلت محاولات دون جدوى.

وأوضح كيف كان المغاربة يمنعون الأوربيين من اقتناء الكتب المغربية، سواء بالإعارة من المكتبات أو بشرائها من الأسواق، فظاهرة احتكار الكتب وسرقتها كانت وراء حرمان المغرب من جزء كبير من تراثه الوطني المكتوب، فكثير من المجموعات اختفت بسبب إخفاء الكتب واحتكارها و الاستحواذ عليها إلى الأبد.

كتب بينبين مؤلفه برؤية مؤرخ ولغة محترف؛ فالكاتب لا يكتفي بتقديم الأحداث وروايتها بل يجادل ويناقش ويأتي بالحجة لتأكيد أو تفنيد رأي حول حدث أو أحداث تخص المكتبة أو المخطوط، فهو يدلي دوما برأيه بعدما يسوق الحجة والدليل.

يعج الكتاب بمصطلحات تقنية مرتبطة بالمكتبة والمخطوطات، وهذا ينم عن معرفة متبحرة في عالم المخطوط والمكتبات، فكل دراسة تحتاج إلى منظومة اصطلاحية مرتبطة بمجالها، وهكذا يلحظ القارئ المتخصص قدرة الكاتب على توظيف تلك المصطلحات لخدمة غرضه، كما يستفيد القارئ العادي من تلك المصطلحات التقنية ويغني رصيده المعرفي.

وفي الختام، أتوجه بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف الدكتور رضوان الخياطي لتفضله الكريم بالإشراف على هذه الرسالة، والذي لم يبخل علي بتوجيهاته وإرشاداته القيمة وآرائه السديدة التي كان لها الأثر البالغ في إثراء هذه الرسالة وتقويمها.

الشكر موصول أيضا إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة وتقييمها.

بيبليوغرافيا

1- مراجع باللغة العربية:

- سوزان باسنت: دراسات الترجمة، تر.فؤاد عبد المطلب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012، ص 22-23.
- عبد السلام بن محمد بن إسماعيل: "درة السلوك" مخطوط في الخزانة الملكية رقم 237.
- الأنصاري: "اختصار الأخبار: أبو القاسم الأنصاري السبتي"، تحقيق ليفي بروفنصال، مجلة هسبريس 1931، العدد 12، ص 145-176.
- العياشي (محمد): "زهر البستان"، مخطوط المكتبة العامة، 2152 د.
- البكري أبو عبد الله: "المسالك والممالك"، الجزائر 1911م.
- البرتلي الولاتي (الطالب): " فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور"، بيروت 1981م.
- أبو جندار (محمد): "مقدمة الفتح"، الرباط، 1926م.
- بتلر (ألفرد): "فتح العرب لمصر"، ترجمة أبي حديد: القاهرة، 1933.
- داغر (أسعد): "فهارس المكتبات العربية في الخافقين"، بيروت، 1949م.

  "دليل الأعارب الى الكتب وفن المكاتب".بيروت، 1949.
- دي طرازي (فليب): "إرشاد العارب إلى تنسيق الكتب في المكاتب"، بيروت 1949م.
- الفاسي (العابد): "الخزانة العلمية"، الرباط 1960م.
- الفاسي (العربي): "مرآة المحاسن"، طبعة حجرية، فاس 1324هـ/1905 م.
- الفاسي (المهدي): "ممتع الأسماع"، طبعة حجرية، فاس 1313هـ/1896م.
- الجزنائي (علي): "جني زهرة الآس"، الرباط 1967م، ترجمة ألفرد.بيل، الجزائر 1923م.
- الغساني: "رحلة الوزير في افتكاك الأسير"، طنجة 1940.
- الغماري (علي بن ميمون): "الرسالة المجازة"، ميكروفيلم في الخزانة العامة رقم 1343هـ
- الغزال (أحمد): "نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد"، تطوان 1941م.
- كنون (عبد الله): "رسائل سعدية"، تطوان، 1954م.
- الحلوجي (عبد الستار): "لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات"، مجلدان،القاهرة 1979م.
- حمادة (ماهر): "المكتبات في الإسلام"، القاهرة 1970.
- الخفاجي (شهاب الدين): "ريحانة الألباء وزهرة الحياة الدنيا"، القاهرة، 1273هـ / 1856م.
- حجي (محمد): "الزاوية الدلائية"، الرباط 1963.
- ابن عبد البر: "القصد والأمم"، (النجف؛ 1966م).
- ابن عبد الله (عبد العزيز): "الطب والأطباء بالمغرب"، الرباط، 1960م.

"معطيات الحضارة المغربية"، مجلدان الرباط 1963م.

- ابن عسكر محمد الشفشاوني: "دوحة الناشر" - النص بالعربية، الرباط 1976- ، ترجمة غرول، في الوثائق المغربية، 1913.
- أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي، ابن أبي أصيبعة: "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، بيروت، 1965م.
- محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن نصر، ابن الأحمر: "روضة النسرين"، النص والترجمة، باريز، 1917م.
- ابن عبد الملك: "الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة"، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1965، والجزء الثامن في مجلدين ، تحقيق ابن شريفة، الرباط 1984م.
- ابن أبي زرع الفاسي: "الأنيس المطرب بروض االقرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"، طبعة حجرية فاس 1303هـ/1886م، ترجمة بوميي 1860م.

"الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية"، الرباط، 1972م.

- القضاعي ابن الأبار: "التكملة لكتاب الصلة"، الجزائر 1919م.
- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد: "تاريخ العلماء والرواة بالأندلس"، القاهرة 1373هـ / 1954م.
- القاسم خلف الخزرجي بن عبد الملك، ابن بشكوال: "الصلة"، القاهرة، 1955م 1374هـ.
- ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد: "الديباج المذهب"، جزآن، القاهرة 1972.
- ابن خلدون (عبد الرحمان): "المقدمة"، القاهرة 1957 – 62.

"كتاب العبر"، بولاق، القاهرة 1284هـ / 1876م.

- لسان الدين ابن الخطيب: "الإحاطة في أخبار غرناطة"، القاهرة 4 أجزاء، 1973 – 1977.
- ابن إبراهيم المراكشي: "الإعلام"، 5 أجزاء، فاس 1936.
- ابن عذاري المراكشي: "البيان المغرب"، ليدن 1948.
- ابن مرزوق (الخطيب): "المسند الصحيح"، تحقيق ليفي بروفنصال، هسبريس 1925م.
- ابن النديم: "الفهرست"، فلوجل ليبزيغ، 1871م.
- ابن القاضي المكناسي: "جذوة الاقتباس"، ط ح، فاس 1891م.

"درة الحجال"، ثلاثة أجزاء، القاهرة 1970م.

- ابن السماك: "الحلل الموشية في الأخبار المراكشية"، البيضاء، 1979م.
- ابن عثمان المكناسي: "الإكسير في افتكاك الأسير"، الرباط، 1965م.
- ابن عثمان المراكشي: "الجامعة اليوسفية في تسعمائة سنة"، الرباط 1937م.
- ابن الوردي، أبو حفص عمر بن مظفر: "تاريخ" القاهرة 1285 / 1968م.
- السجلماسي، (عبد الرحمان بن محمد)، ابن زيدان:

"الإتحاف"، الرباط 1928.

"الدرر الفاخرة بمآثر العلويين بفاس الزاهرة"، مخطوط رقم 3182.

"النهضة العلمية على عهد الدولة العلوية"، مخطوط الخزانة العامة رقم 11772.

- ابن الزبير (أحمد): "صلة الصلة"، تحقيق ليفي بروفنصال 1938م.
- الإفراني، محمد الصغير: "روضة التعريف"، المطبعة الملكية الرباط، 1962م.

"نزهة الحادي"، ترجمة "هوداس" باريز، 1888م – 1889م.

- الإشبيلي (بكر بن إبراهيم)، "التيسير في صناعة التسفير"، تحقيق عبد الله كنون، مدريد 1959.
- الكانوني (العبدي): "آسفي وما إليه قديما وحديثا"، القاهرة 1935م.
- الكتاني (عبد الحي): "فهرس الفهارس"، جزآن، طبعة حجرية، فاس 1346 / 1927.

"المكتبات الإسلامية"، مخطوط في الخزانة العامة، الرباط رقم ك 3002.

- الكتاني (محمد بن جعفر): "سلوة الأنفاس"، طبعة حجرية 1318 / 1900.
- وزارة التربية الوطنية: "الكتاب الذهبي"، المحمدية 1960م.
- كتاب الاستبصار: "مخطوط الخزانة الوطنية"، باريز رقم 2225.
- مخلوف (محمد): "شجرة النور الزكية"، جزآن، القاهرة 1349 / 1930م.
- المنوني (محمد): "العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين"، الطبعة الثانية، الرباط 1977م.

"دور الكتب في ماضي المغرب"، مخطوط في الخزانة الملكية رقم 258.

"مظاهر يقظة المغرب الحديث"، الرباط 1973.

"ورقات عن الحضارة المغربية على عهد المرينيين"، الرباط 1982.

"المصادر العربية لتاريخ المغرب"، منشورات كلية الآداب، الرباط 1404/ 1983م.

- المقري (أحمد): "نفح الطيب"، بيروت 1968.

"أزهار الرياض في أخبار عياض" 5 أجزاء، الرباط 1978 / 1398.

- المقريزي: "الخطط"، 4 أجزاء، القاهرة 1924 تحقيق "ج.ويت".
- المراكشي (عبد الواحد): "المعجب"، سلا 1938.
- المختار السوسي: "المعسول"، الجزء 3، البيضاء 1963م.

"من خلال جزولة"، 4 أجزاء، تطوان 1959م.

"سوس العالمة"، المحمدية، 1380 / 1960م.

"إليغ قديما وحديثا"، الرباط 1386هـ 1966م.

- المحبي (محمد بن فضل الله): "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"، القاهرة، 1284هـ/ 1867م.
- المنجد: "دراسة في تاريخ الخط العربي"، بيروت 1971م.
- الناصري (أحمد): "طلعة المشتري في تحقيق النسب الجعفري"، طبعة حجرية 1320هـ 1902م.

"الإستقصا"، 9 أجزاء، البيضاء 1954.

- الناصري (محمد المكي بن موسى): "الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة"، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم ك 265.
- الناصري (محمد بن عبد السلام): "المزايا"، مخطوط في الخزانة الملكية، رقم 4297.
- القلقشندي (أبو العباس): "صبح الأعشى"، 1913 – 1919، القاهرة.

- القفطي (جمال الدين): "تاريخ الحكماء"، القاهرة 1903م.
- السعدي (عبد الرحمان): "تاريخ السودان"، تحقيق وترجمة "هوداس" باريز 1898 – 1900م.
- السفياني (أحمد): "صناعة تسفير الكتب وحل الذهب"، تحقيق "بياركار"، باريز، جوتنر، 1925م.
- التمكروتي(علي بن محمد): "النفحة المسكية في السفارة التركية"، تحقيق وترجمة "دوكستر"، باريز 1929م.
- التازي (عبد الهادي): "جامع القرويين"، بيروت 1972م.
- التنبكتي (أحمد بابا): "نيل الابتهاج"، القاهرة 1351هـ / 1932م.

"كفاية المحتاج"، مخطوط في الخزانة الملكية رقم 681.

- العمري ابن فضل الله: "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، ترجمة "دومومبين" باريز، 1927م.
- الونشريسي (عبد الواحد): "المعيار المعرب"، ج 7، طبعة 1981 / 1407، الرباط بيروت.
- ياقوت الحموي: "معجم البلدان" 10 أجزاء، القاهرة 1324 هـ 1906م.
- اليوسي (أبو علي): "القانون"، طبعة حجرية 1301هـ 1892م.
- الزرويلي (علي): "سنا المهتدي في ترجمات أبي الحسن اليحمدي"، مخطوط الخزانة الملكية رقم 521.
- الزياني (محمد بن أحمد): "الترجمانة الكبرى"، الرباط، 1387 – 1967.

"الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب"، مخطوط في الخزانة العامة رقم 658، ترجم "هوداس" جزءا منه، "باريز"، 1898 – 1900.

"الروضة السليمانية"، مخطوط في الخزانة العامة رقم د 1275.

2- المقـالات:

- علواش: "مخطوطات المكتبة العامة بالرباط" في مجلة معهد المخطوطات العربية 1955.
- أعراب (سعيد): "المكتبة المغربية وذخائرها"، مجلة دوحة الحق، يوليوز 1960.
- بنبين (أحمد شوقي): "خزانة مراكشية بالإسكوريال"، مجلة كلية الآداب بالرباط، 1982، العدد 9.
- الفاسي (العابد): "خزانة القرويين ونوادرها" في مجلة معهد المخطوطات العربية" 1959م.
- الفاسي (محمد): "مخطوطات الخزانة السلطانية" في مجلة البحث العلمي، سنة 1965م.

"الرسالة المجازة"، في مجلة رسالات المغرب، سنة 1943، عدد 11، ص 42-43.

- الجراري (عبد الله): "على هامش كتاب الخزانة العلمية بالمغرب" في مجلة دوحة الحق، 1961م.
- كنون (عبد الله): "المخطوطات العربية في تطوان"، في مجلة معهد المخطوطات العربية، 1965م.
- العراقي (حسين): "اكتشافات هامة في خزانة كلية القرويين"، في مجلة المغرب، 1932م.
- ابن شريفة (محمد): "دور المكتبة في المدينة الإسلامية: القرويين"، في أعمال المناظرة التجريبية للتنشيط الثقافي، فاس أبريل 1978، اليونسكو.
- ابن منصور: "المطبعة في المغرب في الوثائق المغربية"، الجزء 2، 1976م.
- كاغد: "في دائرة المعارف الإسلامية"، الجزء 4، الطبعة الثانية 1978، ص 437-438.
- الكتاني (إبراهيم): "الكتاب المغربي وقيمته"، في مجلة البحث العلمي، 1965.
- كتابخانة: "كرونوكوف وهفنيغ" دائرة المعارف الإسلامية، المجلد 3، الطبعة الأولى 1936.
- المنوني (محمد): "الوراقة المغربية"، في مجلة البحث العلمي 1970، العدد 16 و 1971 العدد 18، الجزء 1 و 2 . والجزء 3 و 4 في مجلة دعوة الحق 1975 العدد 10، و 1977 عدد 12.

"الزاوية الحمزية"، في مجلة تطوان العدد 8، 1963م.

"الكناشات المغربية"، في مجلة المناهل، العدد 2، 1975.

"مركز المصحف الشريف بالمغرب"، مجلة دعوة الحق، العدد 3، 1967م.

"الخزانة الملكية"، في مجلة الإعلامي العدد 2، 1982م.

"ترجمة عربية لفهرسة الغزيري"، في مجلة البحث العلمي 1965م.

- المغرب: "دائرة المعارف الإسلامية"، ص 313-342، ط 1، 1936، ج 3.
- مسجد: "دائرة المعارف الإسلامية"، ص 362-442، ط 1-1936 ج 3.
- الميمني (عبد العزيز): "من نوادر المخطوطات المغربية" في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، العدد 33، 1958.
- محمد عبد القادر أحمد: "المخطوطات العربية في المغرب"، في مجلة المورد، العدد 1، سنة 1979م.
- المنجد: "الكتاب العربي المخطوط إلى القرن العاشر"، في مجلة معهد المخطوطات العربية 1960.

"مكتبة القرويين"، في مجلة معهد المخطوطات العربية، العدد 5 سنة 1959.

- الرجراجي (عبد الله): "المكتبة العمومية بالمغرب الأقصى"، السعادة، دجنبر 1983م.

"نشاط الخزانة العامة"، في مجلة دوحة الحق، يوليوز 1960.

3- الفهارس والقوائم البيبليوغرافية:

- علوش والرجراجي: فهرس مخطوطات الخزانة العامة بالرباط 1954. 58، سفران باريس 1958.
- البغدادي (باشا): "إيضاح المكنون، وهدية العارفين"، إستانبول، 1945 و 1951م.
- البستاني: "فهرس الكتب العربية المحفوظة بالخزانة العامة بتطوان"، بيروت، 1939.
- دليرو وبوخبزة: "فهرس مخطوطات خزانة تطوان: الجزء الأول، القرآن 1981م، الجزء الثاني، الحديث والسيرة، 1984م.
- الفاسي (العابد): "فهرس مخطوطات خزانة القرويين"، في 3 أجزاء. الجزء 1 في 1979 والجزء 2 في 1980 والجزء 3 في 1983م.
- فهرس خزانة ابن يوسف:مراكش،1329هـ
- خليفة (حاجي): "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، إستانبول، 1941.
- الخطابي (محمد العربي): "فهارس الخزانة الملكية بالرباط"، المجلد الثاني، العلوم، الطب، الطب البيطري والحيوان والنبات، الرباط 1982م.

"فهارس الخزانة الحسنية"، المجلد الثالث، الرياضيات والفلك وأحكام النجوم والجغرافيا، الرباط 1983م.

- ابن العربي (الصديق) وابن المعلم: "الفهرس المفصل لمخطوطات خزانة ابن يوسف"، مراكش، 1965.
- ابن العربي (الصديق): "فهرس مخطوطات خزانة ابن يوسف"، مراكش، 1983م.

"الفهرس الموجز لمخطوطات خزانة مراكش"، مراكش 1975م.

- عنان (محمد عبد الله): "فهارس الخزانة الملكية"، المجلد 1، التاريخ، الرباط، 1980م.
- كحالة (عمر رضا): "معجم المؤلفين": 15 جزء، بيروت، 1975.
- المنوني (محمد): "منتخبات من نوادر المخطوطات"، الخزانة الحسنية، المحمدية، 1978م

"فهارس مخطوطات الخزانة الحسنية" الرباط، 1983م.

"فهرس الخزانة الكتانية المحفوظة بالرباط"، الرباط.

"قائمة مخطوطات تمكروت" الرباط 1973م.

"قائمة مخطوطات المسجد الأعظم بمكناس"، الرباط، 1973م.

"قائمة مخطوطات المسجد الأعظم بتازة"، الرباط، 1973م.

- مخطوطات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1980م.
- نوادر المخطوطات الحبسية؛ الأوقاف، الرباط، 1960م.
- فهرس المخطوطات العربية للمسجد الأعظم بتازة، الخزانة العامة بالرباط، 1973م.
- فهرس المخطوطات العربية بخزانة القرويين بفاس، الخزانة العامة بالرباط 1973م.
- فهرس المخطوطات العربية بالخزانة العامة؛ بتطوان، 1973م.
- فهرس مخطوطات خزانة ابن يوسف بمراكش، الخزانة العامة بالرباط 1973م.

- فهرس المخطوطات العربية بخزانة زاوية تنغملت؛ الخزانة العامة بالرباط 1973م.
- فهرس المؤلفات العربية المطبوعة في المغرب أو المرتبطة به في سنة 1930م، مجلة هسبريس سنة 1931.
- فهرس المخطوطات العربية بخزانة تمكروت، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 975، صفحة 74.
- فهرس المخطوطات العربية بخزانة تمكروت مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم: 5675، صفحة 82.
- سركيس: "معجم المطبوعات العربية والمعربة"، القاهرة، 1982م.
- ابن سودة (عبد السلام): "دليل مؤرخ المغرب الأقصى" جزآن، البيضاء، 1960م.
- الزركلي: "الأعلام"، بيروت، الطبعة 4، 1979م.

4- مـراجـــع باللغـات الأجنبيــة:

- AS^{C}AD TLĀS (M) :**L'Enseignement chez les Arabes** : La Médersa Niẓāmiyya et son histoire, Geuthner, Paris, 1939.
- BEAUMIER (A) : **Description sommaire du Maroc**, Paris, 1868.
- BEAUMIER (A) : **Itinéraire de Mogador à Maroc et de Maroc à Saffy**, Paris, 1868.
- BEL (A) : **Inscriptions Arabes de Fès**, Paris, 1919.
- BEN CHEKROUN (M) : **La vie intellectuelle sous les Mérinides et les Waṭṭasides**, Rabat, 1974.
- BEY AL-^{C}ABBĀSĪ ou (Badia y lieblich) : **Voyage d'Ali Bey AL-^{C}Abbāsī en Afrique et Asie**, Paris, Didot : 1814.
- MINISTERE DE LA CULTURE, **Les Bibliothèques en France** : Paris, Dalloz, 1982.
- BROCKELMANN (K) : **Geschechte der Arabischen literatur** (G.A.L) E.Leiden, volumes (1943- 49), 3 suppléments, Leiden, 1937- 42.
- BRUNEL (R) : **Le Monachisme errant dans l' Islam** : Sidi Haddi et les Haddawa, Paris, Larose, 1955.
- BRUNEL (R) : **Essai sur la confrérie religieuse des Aissawa au Maroc**, Paris, Geuthner,1926.
- CAIN (J) **: Humanisme et bibliothèque**, Nice, 1951.
- CAIN (J) : **Le Livre et la civilisation**, Paris, 1939.
- CASANOVA : **Incendie de la bibliothèque d'Alexandrie par les Arabes**, Paris, 1923.
- CASTRIES (H) de : **Sources inédites de l'histoire du Maroc**, Paris, 1905-1930.
- CHAVERBIERE **: Histoire du Maroc**, Paris, 1931.
- CHARMES (G) : **Une ambassade au Maroc**, Paris, Calmann, Lévy, 1887.
- CHAULEUR (A) **: Bibliothèque et archives**, Paris, 1978.
- DAHL (svend) : **Histoire du livre de l'antiquité à nos jours**, Paris, 1960.
- DE CHENIER : **Recherches historiques sur les Maures**, Paris, 1787.
- DE HEMSOE (Graberg) : **Précis de la littérature historique du Maġrib al-Aqsā**, Lyon, 1820.
- DE HEMSOE (G) : **Spéchio : Géographie, E, statisco dell impero di Marocco,** Genova, 1834.
- DEMEERSMANN : « L'imprimerie en Orient et au Maġrib», Tunis, extrait de la **revue Ibla**, t.XVII, 1954.
- DEMEERSMANN : « La lithographie Arabe et Tunisienne ». Tunis, extrait de la **revue Ibla**, t.XVI, 1953.
- DEMOMBYNES (G) : **L'Oeuvre française en matière d'enseignement au Maroc,** Geuthner, Paris, 1928.
- DE SLANE : **Prolégomènes :** Muqaddima d'Ibn H_aldūn : Trad. Paris, 1868.

- DE SLANE **: Histoire de Bérbéres :** Tārih_ al-ᶜIbar ; ed. Casanova, Paris, 1956.
- DEVERDUN (G) : **Marrakech des origines à 1912**, 2 vol. Rabat, 1966.
- DRAGUES (G) : **Esquisse d'histoire religieuse du Maroc** : confrérie et Zawiya, Paris, 1951.
- ECHE (Y) : **Les Bibliothèques arabes-publiques et semi-publiques au Moyen Orient**, Damas, 1967.
- FAGNAN (E) : **Histoire des Almohades**, Alger, 1893.
- FRENANDO VALDERRAMA (martinez) : **Historia de la Acción cultural de España en Marruecos (1912-1956)** ; 1956, Editoria Marroqui, Tetuάn.
- GODARD (L) : **Description et histoire du Maroc**, Paris, Tanéra ed . inter, 1860.
- GODARD (L) : **le Maroc, note d'un voyageur**, Alger, 1859.
- GOTTELAND (J) : **Bibliothèque générale du Protectorat**. historique 1912-1930, Rabat.
- GOTTELAND (J) : **Institut scientifique chérifien** : historique 1912-1930, Rabat.
- GOTTELAND (J) : **La section historique du Maroc**, 1830, Rabat.
- ḤIGĞĪ (M) : **La vie intellectuelle sous les saᶜadides**, Muḥammadia, 1978.
- HOBSON (A) : **Les grandes bibliothèques**, Paris, Stock, 1971.
- JULIEN (ch. André) : **Histoire de l'Afrique du Nord de la conquête arabe à 1830**, Paris, Payos, 1852.
- LAKHDAR (M) : **La vie intellectuelle sous les Alawites**, Rabat, 1971.
- LECLERC (L) **: Histoire de la médecine arabe**, Muḥammadia, Maroc, 1980.
- LEMPRIERE (J) : **Voyages dans l'empire du Maroc et le royaume de Fès pendant les années 1791-1792**, Trad. De l'anglais par Ste. Suzanne, Paris, 1801.
- LEON (Jean l'Africain) : **Description de l'Afrique** : Trad. G.Demombynes, Paris, Geuthner, 1927.
- LE TOURNEAU (R) : **Fès avant le Protectorat**, Casablanca, 1949.
- LE LIVRE FRANÇAIS : **Hier, aujourd'hui, demain**, Paris, 1972.
- LUCCIONI (J) : **Les Fondations pieuses « Habous » au Maroc depuis les origines jusqu'à 1956**, Rabat, 1982.
- MALCLES (L.N) : **Les sources du travail bibliographique**, Genève, Droz, Paris, Minard 1950-1958, 3 tonnes en 4 volumes.
- MARTIN (H.J et Febvre (L)) : **L'apparition du livre** : ed. Albin Michel, Paris, 1971.
- MASLOW (B) : **Les Mosquées du Fès et du Nord du Maroc**, Paris, 1937.
- MOCQUET (J) : **Voyages en Afrique,** Asie, Indes orientales et occidentales, Paris, 1830.
- MUZERELLE (Denis) : **Vocabulaire codicologique-**répértoire méthodique des termes français relatifs aux manuscrits. Paris, 1985.

- NEUMAYER (H) : **Philobiblion**, Paris, ed. Eryx, 1958.
- PEIGNOT (G) : **Dictionnaire raisonné de bibliologie**: 2 vol, Paris, Villier, 1802.
- PEIGNOT (G) : **Essai historique sur la lithographie**, Paris, villier, 1819.
- PEIGNOT (G) : **Recherche historiques et bibliographiques sur les autographes et sur l'autographie,** Paris, Techner, 1836.
- PEIGNOT (G) : **Répertoire bibliographique universel**, Paris, AA. Renaurd, 1812.
- PERÉS (H) : **l'Espagne vue par les voyageurs musulmans de 1610 à 1930,** Paris Adrien Maisonneuve, 1937.
- Petit Radel (L.C.F) : **Recherche sur les bibliothèques anciennes et modernes**, Paris, Reyet Gravier, 1819.
- Quatremére : « Mémoires sur le goût des livres chez les orientaux » : extrait du **Journal Asiatique**, 1838.
- « Reglamento de Archivos y Bibliotecas del Protectorado » in. **Boletin oficiel de la Zona de Protectora de Español en Marruecos**, Año XXXII, Tetuán, 20 de nov. 1944, num 32.
- SEZGIN (Fuat) : **Geschechte der arabischen schrifttums-**Brill, Leiden,7 vol. 1967-79.
- SARTON (G) : **A History of science**, t.IV, trad. arabe, Le Caire 1970.
- TERRASSE (CH) : **Les Médersas du Maroc**, Paris, 1928.
- TERRASSE (CH) : **Histoire du Maroc**, 2 vol, Casablanca, ed. Atlantides, 1940-50.
- TERRASSE (CH) : **La grande mosquée de Taza**, Paris, ed. d'art et d'histoire, 1943.
- TERRASSE (CH) : **La mosquée des Andalous à Fès**, Paris, 1942.
- THOMASSY (R) : **Des relations politiques et commerciales de la France avec le Maroc -** Paris A Bertrand**,** 1842.
- TISSOT (CH) : **Itinéraire de Tanger à Rabat**, Paris , 1876.
- TORRES (Diego de) : **Histoire des chérifs et des royaumes du Maroc**, de Fès, de Taroudant et autres provinces. Traduite de l'Espagnol par le duc d'Angouléme le père, Paris, 1667.
- ZAKI (Aḥmad Bāša) : **Rapport sur les manuscrits arabes conservés à l'Escurial en Espagne**, le Caire, 1894.

5- المقالات باللغات الأجنبية:

- AIMEL (Georges) : « Le Palis d'El Bédiᶜ à Marrakech », in **Archives berbères**, vol. III, 1918.
- ᶜARABIE : **«** Ecriture maġribine » : **Enc. De l'Isl**., T.l pp. 387-399, éd. 1913.
- AYYACHE (Germain) : « Apparition de l'imprimerie du Maroc » ; in **Hespéris-Tamuda**, 1964, pp. 143-161.
- BODIN (Marcel) : « Une rédemption de captifs musulmans en Espagne XVIIIème » in **Archives berbères**, vol. III, 1918.
- BODIN (Marcel) : « La Zawiya de Tamagrout », in **Archives berbères**, vol. III, 1918.
- DE CASTRIES (Henri) : « Autour d'une bibliothèque marocaine », in **Journal des débats**, 20 octobre, 1907.
- DAGHER (Asᶜad) : « L'état actuel de la bibliographie arabe », in **Arabica**, 1958.
- DELPHIN (G) : « Fès, son université », in **Bulletin trimestriel de géographie et archéologie**, 1889.
- DESTAING (Edmond) : « Les manuscrits arabes de l'Afrique occidentale », in **Revue africaine**, 1911-12-13.
- DEVERDUN et GIYĀTI : « Deux Taḥbis almohades » : in **Hespéris**, t. XLI, 1954, pp. 411-423.
- DEVERDUN et MASᶜŪDI : Note sur la Bibliothèque de la medersa Ben Youssef. Microfilm de la Bib. Nat. de Paris n° 511.
- DEVERDUN (G) : « Un registre d'inventaire et de prêt de la Bibliothèque de la mosquée Ali Ben youssef à Marrakech daté de 1111/1700 » : in **Hespéris**, t.XXXI, 1944, pp.55-59.
- AL-FĀSI (muḥammad) : « Les Bibliothèques au Maroc et quelques uns de leurs manuscrits les plus rares » : in **Hespéris-Tamuda**, vol. II, fasc I , 1961 pp. 135-144.
- GRYMOULT (Pierre) : « L'université de Fès et les intellectuels marocains », in **Mercure de France**, 1920, n° 140, 15 mai – 15 juin.
- HOENERBACH (W) : « Über einige arabische Handschriften, in Bagdad und Tetuan », in **Oriens** 8, (1955), pages, 96-119.
- HOUDAS (O) : « Essai sur l'écriture maġribine », in **Nouveaux mélanges orientaux**, 1886, pp.85-112.
- AL-ᶜIRĀQI (H_usayn) : « La Bibliothèque de l'université Qarawiyyin », in **Archives inédites des amis de Fès**, (1933-42).
- JABRE (F) : **«** Dans le Maroc nouveau : le rôle d'une université islamique », in **Annales d'histoire économique et sociale**, 1938.

- AL-KATTĀNI (Ibrāhīm) : « Les manuscrits de l'occident africain dans les bibliothèques du Maroc », in, **Hespéris-Tāmūda**, vol.IX, fasc.I, 1968. pp 57-63.
- AL-KATTĀNI (Ibrāhīm) : « Les sections d'archives et de manuscrits des bibliothèques Marocaines », in **Hespéris-Tamūda**, vol.IX, fasc.3, 1968. pp 459-468.
- LE TOURNEAU (R): « Les archives musulmanes en Afrique du Nord », in **Archivum**, vol. IV, 1954, pp. 175-177.
- LE TOURNEAU (R): « Notes sur les lettres latines de Nicolas Clénard relatant son séjour dans le royaume de Fès (1540-1541) » in **Hespéris**, Tome XIX, 1934, pp. 45-63.
- LEVI-PROVENÇAL (Evariste) : « La rescension maġribine du Saḥiḥ al Buh_āri », in **Journal Asiatique**, 1923.
- LEVI-PROVENÇAL (Evariste) : « Note sur un coran royal du XIVème siècle », in **Hespéris**, tome I, 1921, pp. 83-86.
- LEVI-PROVENÇAL (Evariste) : « Sur la prétendue existence d'une traduction arabe de l'œuvre de Tile-Live au Maroc », in **Revue archéologique**, 1925.
- LIBRARY WORLD : Tous les numéros parus à partir de 1958, le Caire.
- LOUANDRES (Charles) : « La bibliothèque royale et les Bibliothèques publiques », in **Revue des deux mondes**, Mars, 1846.
- LUCCIONI (J) : « Les Bibliothèques habous au Maroc », in **Bulletin économique et social du Maroc** 1955,vol XIX.
- LUCCIONI (J) : « Les Maristans au Maroc », in **Bulletin économique et social du Maroc**, XVI, 1953.
- MAILLARD (P) : **«** La Bibliothèque de la grande mosquée de Tanger, essai de bibliographie marocaine », **R.M.M**, t.II, 1918-19, 353-357.
- MICHAUX-BELLAIRE (E) : « Les biens habous et les biens du Makhzen », in **R.M.M**, V, 1908.
- MERCIER (L) : « Sur quelques manuscrits arabes achetés à Rabat et à Salé », in **Archives marocaines**, n° 7, année 1907.
- NEIGEL : **«** La médersa et les Bibliothèques de Bū Ǧa^{c}d », in **R.M.M**, 1913.
- PERETIE (M.A) : « Les médersas de Fès », in **Archives marocaines**, 1912.
- RENAUD (H.P.J) : **«** L'enseignement des sciences exactes et l'édition d'ouvrages scientifiques au Maroc avant l'occupation européenne **»,** in **Archeion**, vol. 13-1931.
- RENAUD (H.P.J) : « Un prétendu catalogue de la Bibliothèque de la grande mosquée de Fès », in **Hespéris**, tome XVIII, 1934, pp. 76-85.

- RENAUD (H.P.T) : « Les Manuscrits arabes relatifs à la médecine de la Bibliothèque de Rabat », in **Bulletin de la société française d'histoire de la médecine**, 17, 1923.
- RICARD (P) : « Reliures marocaines », in **Hespéris**, tome XVII, 1933, pp. 109-127.
- RICARD (Prosper) : La renaissance de la reliure d'art à Fès, in **Bulletin de l'enseignement public**, n° 39 mars, 1922.
- SALMON (G) : « Note sur l'alchimie à Fès », in **Archives marocaines**, n° 7, 1907.
- SALMON (G) : « Notes sur quelques manuscrits rencontrés à El-Qasr », in **Arch**. **Mar**, 1905.
- SCHACHT : « Sur quelques manuscrits de la Bibliothèque de la mosquée de la Qarawiyyin », in **Etudes d'orientalisme** dédiées à la mémoire de Levi-Provençal, Paris, 1952.
- TERRASSE (Henri) : « La mosquée de Lalla Aouda à Meknès », in **Revue africaine**, 1938, microfilm de B.N de Paris, n° 511.
- VAJDA (G) : « Note de bibliographie maġribine », in **Hespéris**, tome XLI, 1954, pp. 365-377.

6- الفهارس والقوائم البيبليوغرافية باللغات الأجنبية:

- BASSET (R) : « Les manuscrits arabes de deux Bibliothèques de Fès (Qarawiyyin et Rcif) », in **Bull de correspondance africaine**, 1883.
- BEL (A) : **Catalogue des livres arabes de la Bibliothèque de la Qarawiyyin**; Fès 1918.
- BEN CHENEB et L.PROVINÇAL : **Essai de répertoire chronologiques des éditions de Fès**, Alger, 1922.
- BLACHERE et RENAUD : « Inventaire sommaire des manuscrits arabes acquis par la B.G du Protectorat français au Maroc », année 1929-30, in **Hespéris** 12 , (1931).
- BLOCHET (E) : **Catalogue des manuscrits arabes des nouvelles acquisitions** (1884-1924), Paris, Leroux, 1925.
- BLOCHET (E) : « Une collection de manuscrits musulmans », **Catalogue du Musée de la Mission Scientifique au Maroc**, 1909.
- BRANLIO JUSTEL CALABORO : **La real biblioteca el Escurial y sus manuscritos arabes**, Madrid, 1978.
- Catalogue des manuscrits de la Bibliothèque Général de Rabat : t. III, Rabat,1973.
- Catalogue des livres de la Bibliothèque de la Grande Mosquée de Fès : **Mss de la B.N** de Paris n°4725. (Il est en réalité un catalogue de la bibliothèque de la Zawiya Ḥamziyya.
- Catalogue des manuscrits de la B.N de Tunis, **Ministère de la culture**, 1977-80.
- DERENBOURG (H) : **Notes critiques sur les manuscrits arabes de la B.N de Madrid**, Paris, G.Maurin, 1904.
- DERENBOURG (H) ET L.Provençal : **Les manuscrits arabes de l'Escurial**, Paris, 1884-1903.
- DOZY – **Supplément aux dictionnaires arabes** : 2 tomes, Leyde, E.J, Brill, 1881.
- ĠAZIRI (M) : « Bibliotheca arabico-Hispana Escurialensis 1760-1770 », 2 vol. Madrid 1770 , traduit en arabe au début du XIXème siècle, **Manuscrit de la Bibliothèque de Rabat**, n° 6792.
- HUISMAN (A.J.W) : **Les manuscrits arabes dans le monde :** une bibliographie des catalogues, Leiden, Brill, 1967.
- LEVI-PROVENÇAL - **Les manuscrits arabes de Rabat**, Paris, 1921.
- Liste des manuscrits de la bibliothèque de ben Youssef, Rabat, 1973.
- PEARSON (J.D) : « **Index Islamicus** » 1906-1980, Cambridge-England.

- P.N MORATA : « Un cataloga de los fondos arabes primitivos de El Escurial » in **Al Andalus**, vol.II fasc.I (1934).
- RICHE (J) et LILLE (O) : « Bibliographie marocaine », **Hespéris**, t.XXXIV, 1947.
- RICHE (J) et LILLE (O) : « Bibliographie marocaine », **Hespéris**, t.XXXVIII, 1951
- RICHE (J) et LILLE (O) : « Bibliographie marocaine », **Hespéris**, t.XLII, 1955.
- RIEU (Charles) : « Supplément to the catalogue of the arabic Manuscripts », in **British Museum**, London, 1894.
- SALMON (G) : « Catalogue des manuscrits d'une Bibliothèque privée de Tanger », in **Archives marocaines**, 1905.
- U.N.E.S.C.O : **Bibliothèques du Maroc**, Rabat, 1962.

Biliographie et webographie

1. المعاجم العربية :

- معجم عربي فرنسي: المنهل، سهيل إدريس، دار الآداب، 2010
- ابن منظور، " لسان العرب"، المجلد الثامن، الطبعة الأولى 2000

2. المعاجم الغربية :

-Dictionnaire de la langue française :"le petit Robert", édition 2000.

-Larousse Bordas, dictionnaire encyclopédique.

3. مو اقع الأنترنيت :

-Dictionnaire des synonymes, version numérisée: www.synonymes.com

-http://www.linternaute.com/dictionnaire/fr/

-www.le-dictionnaire.com

-http://www.larousse.fr

-http://www.lexilogos.com/francais_langue_dictionnaires.htm

الفهرس

مقدمة عامة 1

تقديم (روجي أرنالدز) 12

مقدمة الكتاب 14

الباب الأول:"المكتبات في التاريخ الثقافي للمغرب" 20

الفصل الأول:"بدايات المكتبات في المغرب(من القرن 1هـ-7م إلى 5هـ-11م)" 21

I- نشأة المكتبات في المغرب 26

1- المكتبات في المغرب قبل الأدارسة 26

2- المكتبات في المغرب في عهد الأدارسة 28

3- المكتبات المغربية في عهد الزناتيين 32

II- المكتبات في المغرب غداة المرابطين 34

1- الوضعية السياسية 34

2- المكتبات 34

الفصل الثاني: "نمو وتطور المكتبات في المغرب(من القرن 5هـ-11م إلى 7هـ-13م)" 39

I- الوضعية الثقافية 39

1- الحياة السياسية 39

2- الحياة الثقافية 42

2-1- تأثير الثقافة العربية الأندلسية 42

2-2- تأليف الكتب 45

II- المكتبات 48

1- المكتبة الملكية 49

1-1- الأصل والتأسيس 49

1-2- تنظيم ومميزات المكتبة الملكية 55

2- المكتبات الخاصة 60

2-1- الأصل والتأسيس 60

2-2- تنظيم ومميزات المكتبات الخاصة 64

3- المكتبات العمومية 66

3-1- الأصل والتأسيس 66

3-2- التنظيم والمميزات 70

خاتمة *71*

الفصل الثالث: "أوج المكتبات المغربية (من القرن 7هـ-13م إلى 13هـ *73*

I- الوضعية الثقافية في المغرب 74

1- الحياة السياسية 74

2- الحياة الثقافية 76

2-1- إنتاج الكتاب 76

2-2- تجارة الكتب..... 82

II- المكتبات..... 85

1- المكتبة الملكية..... 87

1-1- الأصل والتكوين..... 87

1-2- تنظيم ومميزات المكتبة الملكية..... 100

2- المكتبات الخاصة..... 107

2-1- الأصل والتكوين..... 107

2-2- مميزات المكتبات الخاصة..... 112

3- المكتبات العامة..... 116

3-1- مكتبات المساجد والمساجد الجامعية..... 116

3-2- مكتبات المدارس..... 128

3-3- مكتبات الزوايا..... 136

الفصل الرابع : "من المكتبة التقليدية إلى المكتبة العصرية"..... 149

I- المكتبات غداة الحماية..... 150

1- أسباب ضعف المكتبات..... 150

1-1- وضعية التعليم..... 150

1-2- تشتت المجموعات..... 150

1-3-الخوف من المصادرة..... 152

2 - الحكام المعاصرون وتقييمهم لوضعية المكتبات..... 153

II- المكتبات في عهد الحماية وبعد الاستقلال..... 154

1 - إعادة تنظيم المكتبات..... 155

1-1- الجرد والفهرسة 155
1-2- إعادة تنظيم المكتبات 156
2- تأسيس مكتبات جديدة 160
2-1- مكتبات الدراسة والبحث 160
2-2- المكتبات العمومية 166
الباب الثاني: "بنية المكتبات المغربية" 175
الفصل الأول : "أزمة المكتبات المغربية" 176
I- اختفاء المخطوطات 176
1- الأسباب الطبيعية: الحشرات 176
2- الأسباب البشرية 177
2-1- الإهمال وظاهرة إخفاء الكتب 177
2-2- إحراق الكتب 179
2-3- إعارة الكتب 181
2-4- نهب الكتب وسرقتها 185
II- محاولات إرجاع المخطوطات 189
1- جهود الملوك السعديين 190
2- جهود الملوك العلويين 191
الفصل الثاني: "وقف الكتب بالمغرب" 196
I- أصل وقف المخطوطات 196
1- وقف المخطوطات في الدول الإسلامية 196

1-1- اختلاف آراء الفقهاء حول وقف المخطوطات 196

1-2- طبيعة المؤلفات المحبسة 198

2- وقف المخطوطات في المغرب 199

2-1- موقف الفقهاء 199

2-2- تحبيس المخطوطات 202

II- بنية وقف المخطوطات 205

1- مختلف أنواع الوقف 205

1-1-أصناف الأفراد الواقفين 205

1-2-طبيعة المؤلفات المحبسة 213

2- تنظيم وقف المخطوطات 215

2-1- تنفيذ وقف المخطوطات 215

2-2- طرق تدوين وقف المخطوطات 219

الفصل الثالث : الوراقة والمكتبات 223

I - الوراقة 223

1- الوراقة: تعريفها ووظائفها 223

1-1- النساخة 224

1-2- الخط 230

1-3- مواد الكتابة 234

1-4- التجليد وفن ترميم الكتب 238

II- المطبعة في المغرب 242

1- الطباعة الحجرية 243

2- دخول الطباعة الحجرية إلى المغرب 244

الفصل الرابع : مخطوطات المكتبات المغربية 250

I - طبيعة ثروات المكتبة المغربية 250

1- في الماضي 250

2- في الحاضر 252

2-1- الفهرسة 253

2-2- الكناشات 255

2-3- المجاميع 258

II- المخطوطات النادرة 261

1 - المصاحف 261

2 - المخطوطات المنتسخة بيد مؤلفيها والمخطوطات المأخوذة عن الأصول والمخطوطات النادرة والفريدة 265

2-1- المخطوطات المنتسخة بيد مؤلفيها 265

2-2- المخطوطات المأخوذة عن الأصول 270

2-3- المخطوطات الفريدة أو النادرة النفيسة 273

3- مخطوطات اليونانية واللاتينية 278

خاتمة 284

خاتمة عامة..... 286

بيبليوغرافيا..... 291

الفهرس..... 307